

SHAKESPEARE AND COMPANY 12



# مكتبة شكسبير الباريسية

سيلفيا بيتش

ترجمة

عبد الهاب سليمان



منشورات جدل  
JADAL PUBLISHING

مكتبة  
t.me/soramnqraa

# مكتبة شكسبير الباريسيّة

اصحح الكود .. انضم إلى مكتبة

telegram @soramnqraa



# مكتبة شكسبير الباريسية

سيلفيا بيتش

ترجمة: عبد الوهاب سليمان

العنوان الأصلي باللغة الإنجليزية

Shakespeare and Company

Sylvia Beach

1959

الطبعة الأولى: أغسطس 2022م

ISBN: 978-9921-774-70-2

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر ©

مكتبة

t.me/soramnqraa

5 10 2023

دولة الكويت

المملكة العربية السعودية

جمهورية مصر العربية

☎ (+965) 99900912

☎ (+966) 554658820

WWW.JADALBOOKSTORE.COM

🐦 @ JADAL.PUBLISHING

🐦 @ JADALBOOKSTORE

J A D A L

سيلفيا بيتش

مكتبة

t.me/soramnqraa

سير ومذكرات

# مكتبة شكسبير الباريسيّة

ترجمة

عبدالوهاب سليمان



منشورات جدل ©  
JADAL PUBLISHING

# المحتويات

7	المقدمة
9	من هي سيلفيا؟
17	القصر الملكي
26	مكتبة خاصة بي
37	حجاج من أميركا
52	يوليسيس في باريس
67	شكسبير أند كومباني للنجدة
79	فاليري لاربو
96	عينا جويس
111	زبوني الأفضل
121	أولى نسخ يوليسيس
143	برايز
149	المتنوعة
165	فيتزجيرالد، شامسون، وبريفوست
178	السفينة الفضية
202	جول رومان و«الرفاق»

214	عزیزنا جید
223	منفیو جويس
238	قصائد الواحدة بينس
251	خليفة يوليسيس
261	بعيداً، بعيداً...
273	يوليسيس تذهب إلى أميركا
288	الحرب والاحتلال
294	التحرير

## المقدمة

كتبت سيلفيا بيتش قصة نجاح باهرة في العاصمة باريس، حيث كانت مكتبة شكسبير محلّ اهتمام كبير في الوسط الثقافي الفرنسي، ليداع صيتها في جميع أنحاء أوروبا والقارة الأمريكية بعد عناء طويل ومسيرة مرهقة.

كانت بدايات مكتبة شكسبير الباريسية متواضعة، امتلأت بالعشوائيات مهملة التنظيم على عكس ما كانت عليه المكتبات الأخرى إلى حدّ احتمله المنافسون من المكتبات ودور النشر بهذا الشكل التقليدي والمتواضع في عدد الكتب على الرفوف لمكتبة شكسبير، بأنّها مجرد ظهور سرعان ما يختفي وأنّها لا تمتلك النَّفس الطويل للبقاء، حيث لا إمكانيّات كافية للاستمرار، والوصول إلى قمة سيّتها التاريخ في شارع ضيق.

كتبت سيلفيا إلى والدتها: «أنا بحاجة إلى الأموال، سأفتح مكتبة». من هنا حاولت سيلفيا الاقتراض من أجل الحصول على الأموال الكافية لإقامة مشروع ثقافيّ كبير، وتوفير ما يحتاجه القارئ، واستقطاب أكبر عدد ممكن منهم لتكون المكتبة منارة ثقافية كانت تحلم ببنائها.

في هذا الكتاب تقدّم سيلفيا بيتش مذكراتها في صناعة النجاح، وكيف ابتدأت مستعرضة لنا العقبات التي واجهتها، كما سردت قصصها مع الزوّار من القراء والكتّاب، وبعض الناشرين، الذين ساهموا بشكل

كبير في إنجاز المكتبة. كما نقلت سيلفيا خوض تجربتها في عالم النشر، كانت هذه التجربة قفزة نوعية في سيرة المكتبة خاصة وأنها لم تعمل على نشر الكثير من الكتب، ولكن كان جُل اهتمامها طباعة ونشر عمل جيمس جويس المشهور يوليسيس.

لم تكن مكتبة شكسبير مجرد مكتبة لبيع الكتب، بل أصبحت محطة للقراء ولاستعارة الكتب، حيث ابتدأت بفكرة الاستعارة قبل أن تصنع فهرسًا خاصًا بها، ومع مرور الوقت، تحوّلت مكتبة شكسبير مزارًا ثقافيًا، ووجهة رئيسة لكل الكتاب والنقاد، حيث تكون الاجتماعات واللقاءات، كانت المكتبة بالنسبة إليهم مصنعًا لتلاقح الثقافات.

في هذا الكتاب، متعة المغامرة التي تخوضها سيلفيا في ظل صراعات الحياة وظروفها القاسية، الأمر الذي يجعلنا نفكر في اتجاهات مختلفة حول دور المكتبات في العالم، وكيف كانت بمثابة خارطة العالم للقارئ والبوق الأقوى للكاتب.

حرصنا في جلد على ترجمة هذا الكتاب، والاهتمام بتفاصيله الدقيقة، من منطلق الحفاظ على تاريخ مكتبة عريقة انطلق منها الكثير من الروائيين والشعراء، كذلك نقل من خلاله الدور الحقيقي للمكتبات ودور النشر تجاه مجتمعتها.

نوجز في مقدمة الكتاب ونتركه بين يدي القارئ، خشية إفساد متعته في اكتشاف حكاية لكل رفٍّ من مكتبة ما زالت تنبض بالحياة.

الناشر

مكتبة

t.me/soramnqraa



## من هي سيلفيا؟

كان والدي -سيلفيستر وودبريدج بيتش- كاهناً مشيخياً وراعياً للكنيسة المشيخية الأولى في برينستون، نيو جيرسي لسبعة عشر عاماً. وبحسب مقال نُشر في مجلة مونسي وعرضَ جذور الأسر البارزة في أميركا، كان آل وودبريدج -أسلاف والدي من جهة الأم- رجال دين على امتداد اثني عشر جيلاً أو ربّما ثلاثة عشر. وللأسف، قامت شقيقتي هولي -التي تفضّل معرفة الحقيقة مهما كلفها الأمر- بالتنبّط من الحكاية ففضحت زيفها، وقلّصت عدد الكهنة من الأسرة إلى تسعة، وكان علينا أن نرضى بتلك الحقيقة.

أما والدتي، من آل أوريسون، فقد انبثقت من نبع كما لو أنّها شخصية أسطورية. ذلك لأن أحد أسلافها -الكابتن جيمس هاريس- قد اكتشف نبعاً رائعاً بينما كان يتوكز فناء منزله الخلفي بعصاه، ومن هذا الموقع تأسست قرية في سلسلة جبال الليجاني سميت بـ بيلفونتي. كانت السيدة هاريس هي من فكرت بالاسم [بيلفونتي]، بيد أنني أفضل القصة التي اعتادت أُمي أن تحكيها لي، إذ أخبرتني أن الماركيز لافاييت قد توقف لشرب الماء من النبع ثم صاح متعجباً «بيل فونتاين!»<sup>1</sup> هذا على الرغم من أنه من غير المرجح أن يطلب فرنسي كوباً من الماء.

1 من الفرنسية Belle fontaine أي نبع رائع - المترجم

ملحوظة: جميع الهوامش في الكتاب من وضع المترجم

لم تلد والدتي في قربتها الجبلية في بنسلفانيا، بل في روالبيندي بالهند، حيث عمل والدها بالبعثة الطبية. أعاد جدي العائلة للوطن في بيلفونتي، وريّت أرملة أطفالهما الأربعة هناك وأمضت بقية حياتها في القرية، حيث كانت مبعلة بقدر النبع الشهير.

درست والدتي في أكاديمية بيلفونتي حيث تلقت دروسها في اللّغة اللاتينية على يدي سيلفستر وودبريدج بيتش الذي كان شابًا وسيماً في مقتبل العمر، لم يمض الكثير على تخرّجه من كلية برينستون ومعهد برنستون الديني. كانت في السادسة عشرة من عمرها حين توطدت علاقتها به فتوجت بالخطوبة في البداية وانتهت بزواجهما بعد سنتين.

عيّنت الكنيسة والدي بداية في بالتمور حيث وُلدت، ثمّ قامت بتعيينه في بريدجتون التي تقع في نيو جيرسي، حيث شغل رتبة راع للكنيسة المشيخية الأولى لاثني عشر عامًا.

كنت في حوالي الرابعة عشرة من عمري عندما أخذ والدي أفراد الأسرة المكوّنة من والدتي، وشقيقتي الصغيرتين هولي وسبيريان، وأنا، إلى باريس، حيث كُلف والدي بمسؤولية إدارة ما كانت تسمّى بالملتقيات الطلابية. كان ذلك قبل زمن نادي الطلبة الأميركيين الممتع، الذي يقع في بوليفار راسباي. كان الطلبة الأميركيون يأتون مدفوعين بحنين إلى الوطن مساء كل أحد إلى الأستوديو الكبير الواقع في حي مونبارناس، حيث يقدّم والدي برنامجًا حوارياً حميمًا مع أبرع المغنين آنذاك، مثل ماري جاردن وتشارلز كلارك، وبابلو كازالس عازف التشيللو العظيم، وغيرهم من الفنانين الذين ساهموا في تأثيث الفعاليات بمن فيهم الممثلة والراقصة لوي فولر، والتي أتت لا لترقص فحسب، بل لتتحدّث عن الرقص أيضًا.



الحدث الأهم بالنسبة إليّ في باريس كان لقائي بصديقة حياتي كارلوتا ويلز. عندما تسمعون اسم كارلوتا، قد تتخيلون أنها إيطالية، لكنها سمّيت هكذا بمحض الصدفة، إذ أراد والدها أن يسمّيها «شارلوت» بعد ولادتها في قرية ألاسيو الإيطالية، لكن المحكمة ترجمت اسمها إلى «كارلوتا» عندما سُجّل اسمها في السجلات. اعتاد السيد ويلز أن يقدم كارلوتا بوصفها «ابنتنا الإيطالية الصغيرة»، وكان يغضبها ذلك إذ كانت متعصبة لهويتها الأمريكية. عمل السيد ويلز ممثلًا لشركة ويسترن للكهرباء في باريس، وأشرف على افتتاح فروع للشركة في أرجاء أوروبا والشرق الأقصى، وكان رائدًا في مجال الكهرباء، واسمًا كبيرًا فيه.

كان آل ويلز أبناء بلدنا ولكنهم عاشوا في فرنسا، وتعرفت على فرنسا بواسطة كارلوتا وأسرتها، حيث امتلكوا بيتًا ريفيًا في مقاطعة تورين على نهر تشير القريب من قرية بوريه، وشاركهم أصدقاؤهم الإقامة فيه، ومنهم آل بيتش الذين كانوا من هؤلاء الأصدقاء المحظوظين. قضى السيد ويلز أوقات فراغه في إنشاء مكتبة منزلية رائعة، حيث كان يختفي لساعات، وبنى أيضًا قبوًا فاخرًا للنبيذ، إذ كان خبيرًا في أنواعه. انتظر السيد ويلز حتى بلوغ كارلوتا وزواجها من جيم بريغز ليحظى بشخص من العائلة يمكن النقاش معه عن أصناف النبيذ المعق، وكانت معلومات جيم بريغز عن النبيذ بقدر معلومات والد زوجته، ولكنه تفوق بمعرفته الكبيرة بالمطبخ الفرنسي.

فتنت الصغيرات من آل بيتش بالمكان؛ القصر المطل على نهر تشير الملتف والصغير، والمقام على أرض شبيهة بنسيج فرنسي قديم: البيتان، القديم منهما والجديد، البساتين الممتدة من مصطبة إلى أخرى، والغابة

الصغيرة المؤدية إلى التل، والحديقة المُسوَّرة المطلة على المطبخ قرب ضفة النهر، والجزيرة التي نصلها بقارب تجديف.

بقيت هناك لبرهة من الوقت مع كارلوتا ودُعيت لمرافقتها إثر نصيحة طبيب آل ويلز لهم بإخراجها من المدرسة وإبقائها خارجًا. هكذا نشأت صداقتنا الطويلة. كانت كارلوتا أوَّل شخصٍ مختصٍّ في مراقبة الطيور أعرَفُهُ، فقد قضت هذه الفتاة الصغيرة المستقلة، والساخرة - آل ويلز جميعهم ساخرين - ذات الفستان القطني أغلب وقتها خلف شجرة ضخمة بالتجسس على الطيور عبر المنظار.

خلال إقامتي الأولى في أوروبا، حظيت بأشهر قليلة من الدراسة. حضرت وشقيقتي هولي مدرسة في لوزان السويسرية، حيث بدا الانضباط - بفضل المفاهيم الغربية للسيدتين اللتين أدارتا المدرسة - يليق بمجموعة من الميثوس منهم في إصلاحية لا لعدد من العذراوات الوديعات. تعلمت هناك القليل من قواعد النحو الفرنسية، لكنني كنت بائسة، فأعادتي أمي إلى المنزل. في هذه اللحظة بقيت مع كارلوتا في بوريه، ولكنك أسعد لو أنني لم أفكر في هولي، التي ما زالت في المدرسة، تخرُج في مجموعاتٍ مكوَّنةٍ من شخصين مرَّتين في اليوم، وغير مسموح لها أن تطل من النافذة على بحيرة جنيف، ويمنع التحدث لأحد عدا في الممرات، والتمرن على الغناء وبين أسنانها فليَنِّ لإبقاء فمها مفتوحًا. كانت هولي، رغم كلِّ ذلك، رواقية في تحمُّلها.

اتجهنا من باريس إلى بلدة رينستون التي تقع بولاية نيو جيرسي. سعد أبي باستدعائه إلى برينستون، حيث أمضى سنوات دراسته هناك، واعتبرها موطنه. وسعدت أمي أيضًا، إذ كانت برينستون البلدة التي

ستختارها لو سُئلت أين توَدُّ العيش. استقررنا في بيت مخصص للقساوسة يقع في شارع المكتبة العامّة. هل كان لاسم الشارع أثر في اختياري لمهنة بيع الكتب؟ بدت برينستون، بأشجارها وعصافيرها، متنزّهاً متأنّقاً بالزهور أكثر منها بلدة، واعتبرت أسرة بيتش نفسها محظوظة. كانت صديقتي آنيس ستوكتون مرجعاً في تاريخ برينستون، وزرت معها ساحات المعارك بعربة عائلتها التي يجرها حصان يُدعى ريدي، وانحشر بيننا على المقعد روك، وهو كلب من فصيلة الدشهند الألماني. كانت آنيس هي من أخبرتني أن أحصنة مُرافقي الرئيس جورج واشنطن قد مضغت الشوفان قرب مقاعد الكنيسة المشيخية الأولى. انحدرت آنيس إلى سلالة من الموقعين على إعلان الاستقلال، وعلقت على حوائط منزل عائلتها صوراً لأسلافهما بنجامين فرانكلين وابنته سارة.

حظينا برؤية صنّاع التاريخ حتى في تجمعات والدي الكنسيّة، من الماضي كانوا أو من المستقبل: رؤساء الولايات المتحدة الأميركية جروفر كليفلاند، وجيمس غارفيلد، وودرو ويلسون. كان غروفر كليفلاند رجلاً ساحراً ومحبّاً للسلام، واستقر في برينستون بعد تقاعده للعيش بهدوء برفقة أسرته، والتقت والدتي بالسيدة كليفلاند، التي كانت امرأة جميلة، عندما كانا عروسين. أما أبناؤهم، ولدان وبنتان، تمتعوا بأخلاق رائعة من النوع الذي لن تشهدوه أبداً.

أما بالنسبة إلى وودرو ويلسون، فكان رجلاً مهتماً بالعلم، وأحب الحياة المسالمة، لكن الأمور جرت على ما لا يرغب<sup>1</sup>. لم يكن ويلسون

---

1 إشارة إلى قيادة ويلسون لبلاده في الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918).

كثير الكلام، لكن ما يقوله يكون مثيرًا لاهتمام كل من يستمع إليه. أحب ويلسون الجلوس في بيته، وكان محبوبًا من بناته، وإذا خرج، تقوم مارغريت وجيسي والينور بمسح الأرضيات حتى موعد عودته. مارست مارغريت الغناء، ولأن آل ويلسون لم يقتنوا بيانو، جاءت مارغريت لبيتنا لترافق شقيقتي سيريان في الغناء والعزف.

وبصدفة ظريفة، أشار وودرو ويلسون إلى شقيقتي هولي، وذكر أن عربة القطار التي أقلته من برينستون إلى واشنطن كانت تدعى «هولي بيتش».

ظل آل ويلسون يعتبرون والدي كاهنهم حتى بعد انتقالهم إلى واشنطن. أرسلوا بطلبه لأداء مراسم زواج جيسي والينور في البيت الأبيض، وكان والدي - بوصية ويلسون - أحد منظمي جنازة الرئيس.

خلال أعوام برينستون، غالبًا ما كنّا نذهب إلى فرنسا لزيارات قصيرة أو لإقامات طويلة، جميع أفراد الأسرة حينًا، أو واحدًا منّا أو اثنين في أحيان أخرى. تملكنا شغف حقيقي بفرنسا. ومن الصديقات التي شاركتنا هذا الشغف مارغريت سلون، ابنة البروفيسور وليام سلون، الذي كتب سيرة حياة نابليون. سعدت مارغريت ذات مرة، في صباح يوم أحدٍ حارٍ بالكنيسة المشيخية الأولى، حينَ رأت شقيقتي سيريان جالسة على المقعد الخشبي الطويل ويدها مروحة عليها قط أسود ومكتوب عليها اسم الحانة الأشهر في باريس: حانة القط الأسود.

لربما قد يتذكر السيد بين هوبش<sup>1</sup> امرأة تدعى سيلفيا بيتش جاءتة إلى نيويورك من برينستون حوالي العام 1916 للأخذ برأيه بشأن مسارها المهني، وأعجبت به كثيرًا، ولكن ذلك لم يكن عذرًا لأخذ الكثير من وقته. كان رجلًا شديد اللطف، وشجعني، كما أتذكر، على تطبيق خطة غامضة لافتتاح مكتبة تجارية. لا أشك في وجود رابط غامض بين السيد هوبش وتابعته المستقبلية في هذا المجال الجويسي<sup>2</sup>.

---

1 ناشر أميركي (1876 - 1964).

2 إشارة إلى جيمس جويس، أي الأدب الطبيعي.



## 2

### القصر الملكي

ذهبت إلى إسبانيا عام 1916، وقضيت بضعة أشهر هناك، ثم ذهبت إلى فرنسا في 1917 لقضاء بعض الوقت. كان لي اهتمام خاص بالكتابات الفرنسية المعاصرة، لذا أردت متابعة مجال دراستي في موطنها الأصل.

كانت شقيقتي سيبريان أيضًا في فرنسا، ولطالما أرادت أن تصبح مغنية أوبرا، ولكن، لم يكن الوقت ملائمًا بسبب استمرار الحرب، لذا حولت مسارها إلى التمثيل السينمائي. انضمت لسيبريان بعد وصولي باريس بقليل وأقمنا في محيط القصر الملكي لفترة من الزمن. عقدت سيبريان صداقات مع العديد من الأشخاص في عالم المسرح، وتعرّفت من خلالهم على مكان مثير للاهتمام كان يرتاده الممثلون - ولسبب ما - الإسبان. حجزنا غرفًا في فندق يقع في الطرف القصي من القصر، حيث أخبرونا أن جون هوارد باين<sup>1</sup> كتب كلمات أغنية «ما أحلى العودة إلى المنزل»<sup>2</sup> في إحدى غرف الفندق. فكّرتُ في كتابة باين للمطلع الحزين بالأغنية «وسط المتع والقصور» في «قصر» ربّ وقديم كهذا!

# مكتبة

t.me/soramnqraa

1 شاعر وكاتب مسرحي أميركي (1791 - 1851).

2 بالإنجليزية Home, sweet home.

أما الباب المجاور للفندق فكان لمسرح القصر الملكي، حيث أديت أكثر المسرحيات بذاة في باريس.

تمتع محيط القصر الملكي باحترام لائق على الرغم من وجود مسرح، ومكتبة أو مكتبتين، تتعاملان غالبًا مع الكتب الإيروتيكية. أمّا في الماضي فكان العكس تمامًا، إذ ذكر دليل إرشادي اقتنيته، أن دوق أورليانز فيليب الأول، أو ابنه الوصي، قد عاشا هناك وأقاما حفلات ذائعة الصيت. ذكر الدليل أيضًا أن الدوق علق لوحات رسمها كبار الفنانين على الحوائط واستضاف فيه قيصر روسيا الخامس [بطرس الأكبر] إثر زيارته لباريس. لم يُصلح حال حي القصر الملكي في تلك السنوات؛ فأسواقه الداخلية يرتادها الخليعون، ولا عجب من ذلك، بسبب «مجال المجوهرات، ومكتبات الإعارة، والبغايا شبه العاريات وهن يستعرضن مفاتهن». جذبت منطقة القصر الملكي جمهورًا غير مرغوب فيه وفي حاجة إلى «الوعظ الأخلاقي»، ولذلك فقدت المنطقة آنذاك شعبيتها وأهميتها. ولكن رغم ذلك، وجدنا المكان مثيرًا للاهتمام.

أطلت نوافذنا على الحداثق. ثمة نافورة في المنتصف، ومن بعيد يقف تمثال فيكتور هوغو لرودان<sup>1</sup>، وأطفال الحي يحفرون بمجارفهم الصغيرة مسارات المشي مخلّفين غيومًا من الغبار، وأشجارٌ عتيقة مليئة بالعصافير المغرّدة، بينما تبقي القطط، المالكة الفعلية للحداثق، عيونها على الطيور.

كانت نوافذنا مطلة أيضًا على شرفة عريضة حول الحي، وإذا كنت فضوليًا حيال معيشة جيرانك، فإنّ كلّ ما يمكنك فعله هو الوقوف عند

---

1 أوغوست رودان، نحات فرنسي (1840 - 1917).

النافذة، وهذا ما فعلناه. في ليلة ما، وبينما كنت وشقيقتي جالستين قرب النافذة المفتوحة، ظهر شاب مبتهج في الشرفة ثم دخل غرفتنا ويده ممتدتان بشكل حميمي، وقدّم نفسه وهو مبتسم مسرورٌ على أنه أحد فناني المسرح المجاور. شعرت بالخوف منه، ولم نحْتَفِ به، فدفعناه بعيداً وأغلقتنا النافذة. ارتديت وشقيقتي ثيابنا، ونزلنا لشباك تذاكر مسرح القصر الملكي في الوقت الذي سار فيه الرجل باتجاه الجرس المعلق والمخصص للإعلان عن بدء كل فصل مسرحي ثم اختفى هناك. استمع مدير المسرح لشكوانا بأدب، على الرغم من وجهه المتجهّم. وطلب منا أن نصف الجاني، وصفناه بأنه «شاب داكن بشارب». قال المدير إن الوصف قد يلائم العديد من فناني المسرح، فاقترح علينا الجلوس في مقصورة كي يتسنى لنا الإشارة إلى الجاني حال ظهوره على خشبة المسرح، وهذا ما فعلناه، وصحنا عندما ظهر «ها هو!» فضحك الجمهور والممثلون، بمن فيهم زائرنا، لا على المسرحية، بل علينا. أعترف بأننا ضحكنا معهم.

كانت سيربان جميلة جداً، إلى درجة لا يمكنك فيها أن تلوم أحداً على الدخول من النافذة دون دعوة، ولم تستطع المسكينة التنزه في أرجاء باريس دون مضايقات من ملاحقها. كان الفتيان يتعرفون عليها فوراً كونها «الحسنة ميريت»، وهي شخصية أدتها سيربان في سلسلة أفلام «غوديكس» والتي كانت تُعرض أسبوعياً في صالات الأفلام بأرجاء باريس، وأحاطها الجمهور حيثما ذهبت. وقع الموقف الأكثر إحراجاً عندما ذهبنا للاستماع إلى موسيقا فرنسية قديمة في نوتردام، حيث لاحظ جوقة الصبيان «الحسنة ميريت» وأشاروا نحوها متهامسين، ثم

غادرنا خارجين بعدما أخذتنا الشفقة بمدير الجوقة الشاب الذي نكن له احترامًا كبيرًا.

كان أراغون<sup>1</sup>، الناشط حينها في الحركة الدادائية، من المعجبين بسبيريان. أخبرني أراغون مرة، أن تقديره وإعجابه بمومياء كليوباترا في المتحف الباريسي قد تحوّل إلى سيريان. وفي الأعوام اللاحقة، زار أراغون المكتبة مرارًا بحثًا عن سيريان، وتلا عليّ في بعض المرات قصيدته «الأبجدية» وقصيدة أخرى تُدعى «طاولة». لم تكن قصيدة أراغون «الأبجدية» سوى ترديدًا للحروف الأبجدية ببطء، أما «طاولة»، فكانت ترديدًا لمفردة «طاولة» حتى نهاية النص.

في ليالي القصف الجوي<sup>2</sup>، كان لسبيريان ولي الخيار إمامًا أن نلتقط عدوى البرد في القبو أو الاستمتاع بالمنظر من الشرفة. عادة ما اخترنا الخيار الثاني. ما كان يخيفنا حقًا هو مدفع «بيغ بيرثا»<sup>3</sup> المفضل لدى الألمان والذي أشعل الشوارع آنذاك. في أصيل يوم ما - يوم جمعة الآلام - كنت في قصر العدل لأحضر محاكمة معلّم ومناضل سلمي كان صديقًا لي. فجأة، سمعنا صوت ارتطام، توقفت المحاكمة، هرعنا خارجًا، وإذ بنا نحدّق في كنيسة سانت جيرفايس مُدمرةً على الجانب الآخر من النهر، حيث جاء الناس من أرجاء المدينة بعيد سماعهم بمقتل جوقة المغنين الشهيرة والدمار المحزن للكنيسة المعروفة.

1 لويس أراغون، شاعر فرنسي (1897 - 1982).

2 سنة 1943

3 الاسم الشعبي لمدفع هاوتزر الألماني

في يوم ما، وأنا بالمكتبة الوطنية، لاحظت في مراجعة نقدية لكتاب بول فورت<sup>1</sup> الشعر والنثر - على ما أذكر - أن الكتاب يباع في مكتبة أدريان مونييه وعنوانها رقم 7 شارع أوديون، الدائرة السادسة بباريس. لم أسمع عن المكتبة من قبل، حتى حي أوديون لم يكن مألوفاً لدي، لكن جذبني شعور مفاجئ للذهاب إلى المكان الذي سيشهد أحد أهم الأحداث في حياتي. عبرت نهر السين ووصلت شارع أوديون في وقت قصير، حيث يقع المسرح في الركن القصي والذي ذكرني بالبيوت المبنية على النمط الاستعماري في برينستون. في منتصف الشارع وعلى الجانب الأيسر منه ثمة مكتبة رمادية صغيرة ولوحة (أ. مونييه) معلقة فوق الباب. حدقت في الكتب المشوكة والمصفوفة أمام النافذة، ودخلت المحل ونظراتي تحوم حول أرفف الحوائط التي احتوت على كتب ذات ورق الكريستال المتلألئ، حتى يحين موعد تغليفها بغلاف جلدي بعد انتظار عادة ما يكون طويلاً. كانت هناك أيضاً لوحات مثيرة للاهتمام تجسّد كتاباً، معلقة هنا وهناك.

جلست على الطاولة امرأة شابة، هي أدريان مونييه بلا شك. لاحظت مونييه ترددي عند الباب، فنهضت سريعاً وفتحته، ثم جذبتني إلى داخل المحل، ورحبت بي ترحيباً دافئاً، وهذا سلوك مفاجئ في فرنسا، حيث تحفظ الناس تجاه الغرباء هو القاعدة، لكنني علمت أن الترحاب من سمات أدريان مونييه، خاصةً عندما يكون الغرباء أمريكيين. ارتديت

1 شاعر فرنسي (1872 - 1960).

يومها عباءة إسبانية وقبعة، رغم ذلك عرفت أدريان أنني أميركية. «أنا أحب أميركا كثيرًا»، قالت أدريان، أجبته أنني أحببت فرنسا كثيرًا، وتأكدنا من جدية كلامنا بعد تعاوننا المستقبلي.

بينما وقفت عند الباب المفتوح، أطار ریحٌ عاتيةٌ قُبعتي الإسبانية وقذفتها عاليًا وألقت بها إلى منتصف الشارع، فظلت تتدحرج على مسافةٍ بعيدةٍ. لحقت أدريان بالقبعة، وركضت بسرعة فائقة بالنسبة إلى شخص يرتدي تنورة طويلة. انقضت أدريان على القبعة في اللحظة التي كادت أن تتعرض للدهس تحت الأقدام، وأعطتني القبعة بعد أن مسحتها بعناية.

كانت أدريان مونييه ممتلئة الجسم، وذات بشرة فاتحة كما الإسكندنافية، ذات خدود زهرية، وشعر مستقيم مُسرح إلى الخلف. أكثر ما كان ملفتًا للنظر هو عيناها؛ هما مزيج من الأزرق والرّمادي مع انتفاخ طفيف، يذكراني بعيني وليام بليك<sup>1</sup>. بدت أدريان مفعمة بالحياة، بلباسها الملائم لشخصيتها، والذي وصفه أحدهم بأنه مزيج من رداء راهبةٍ ورداء مزارعةٍ: تنورة طويلة تصل حتى القدمين، ومعطف مخملي ضيق فوق قميص حريري أبيض. كانت بيضاء ورمادية مثل مكتبتها، وذات صوت عال، فهي تنحدر من سلالة الجبلين الذين يرمون تحياتهم من قمةٍ ما فتبلغ القمة الأخرى.

---

1 شاعر ورسام إنجليزي (1757 - 1827).

جلسنا أنا وأدريان مونييه، وتحدثنا بطبيعة الحال عن الكتب، وأخبرتني أنها لطالما اهتمت بالكتابات الأمريكية، واشترت كل ما تيسر من ترجمات لمكتبها الشخصية، ابتداءً من كتابها المفضل: سيرة بنجامين فرانكلين. قلت لها إنَّها ستحبُّ مويي ديك، لكنها لم تترجم إلى الفرنسية بعد. (ظهرت ترجمة جان جيونو لاحقاً، وأحبَّت أدريان الرواية). لم تقرأ أدريان للكتَّاب الأميركيين المعاصرين، إذ لم يكونوا معروفين في فرنسا بعد.

كنت مبتدئة في الكتابة الفرنسية المعاصرة، ولكنني مبتدئة أحملُ موهبةً، حسب رأي أدريان، عندما علمت أنني أعشق أعمال بول فاليري<sup>1</sup> وأملك نسخة من بارك الشابة<sup>2</sup>. اتفقنا على القراءة لجول رومان، والذي بدأت بالقراءة له وأنا في أميركا، وعرضت أدريان مساعدتها في قراءة أشعار بول كلوديل<sup>3</sup>، لذا، سجلت عضويتي في مكتبة مونييه المخصصة للإعارة: بيت الأصدقاء والكتب. سجَّلت عضويتي لعام واحد، ثم لأعوام أخرى عديدة.

قضيت ساعات عديدة في مكتبة أدريان مونييه الرمادية الصغيرة مع اقتراب البنادق من باريس أكثر فأكثر خلال الشهور الأخيرة من الحرب<sup>4</sup>. فلطالما ارتاد الكتَّابُ الفرنسيون المكان، فقد كان بعضهم يتوافدُ من الجبهة بملابسهم العسكرية، وينغمسون في أحاديث حيَّة مع أدريان، أحدهم لم يرضَ سوى بالجلوس معها على نفس الطاولة دائماً.

---

1 شاعر فرنسي (1871 - 1945).

2 قصيدة لفاليري.

3 شاعر ومسرحي فرنسي (1868 - 1955).

4 الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918).

لم أفوت البتّة القراءات التي يُدعى إليها أعضاء بيت الأصدقاء والكتب، والمخصصة للمخطوطات غير المنشورة والتي يقرؤها المؤلّفون على الأعضاء، أو أصدقاؤهم كما جرى مع أندريه جيد<sup>1</sup> عندما قرأ لفاليري نيابة عنه، كنّا نستمع إلى النصوص بأنفاس لاهثة متكدّسين داخل المكتبة الصغيرة.

استمعنا في بيت الأصدقاء والكتب إلى جول رومان<sup>2</sup> بلباسه العسكري وهو يقرأ قصيدته الداعية للسلام: «أوروبا»، وهناك، حدث أن قرأ فاليري مرّة نصّاً حول قصيدة يوريكا لإدغار آلان بو، كما كانت لأندريه جيد قراءاتٌ هناك أكثر من مرّة. ومن الآخرين الذين قرؤوا لنا أذكرُ جان شلمبرغير<sup>3</sup> وفاليري لاربو<sup>4</sup> وليون بول فارغ<sup>5</sup>، كما نظّمت المكتبة أحياناً برنامجاً موسيقياً مع إيريك ساتيه<sup>6</sup> وفرانسيس بولنك<sup>7</sup> وجيمس جويس - بعد ظهور شكسبير أند كومباني - لاحقاً.

أظني كنت الأميركية الوحيدة التي اكتشفت شارع الأوديون واندمجت في حياته الأدبية الشّيقة آنذاك. أدين بنجاح مكتبتي لكل الأصدقاء الفرنسيين الذين تعرّفْتُ إليهم في مكتبة أدريان مونييه.

---

1 كاتب فرنسي (1869 - 1951).

2 شاعر وكاتب فرنسي (1885 - 1972).

3 كاتب فرنسي (1877 - 1968).

4 كاتب فرنسي (1881 - 1957).

5 شاعر فرنسي (1876 - 1947).

6 موسيقي فرنسي (1866 - 1925).

7 موسيقي فرنسي (1899 - 1963).



فهنالك، حاولت الانخراط في تجارب متنوعة بعيداً عن العالم الأدبي، فتطوعت ذات صيف للعمل في المزارع، حيث غادر جميع الفلاحين من الرجال إلى الجبهة، وعملت في حصد القمح، وبعد ذلك التقطت الكروم في مزارع النبيذ بتورين. ودبّرت لي شقيقتي هولبي عملاً في الصليب الأحمر الأمريكي، وذهبنا إلى بلغراد، حيث وزّعنا ملابس النوم ومناشف الحمام على الصرب الصامدين قبل أن أعودَ إلى باريس في يوليو 1919.

## مكتبة خاصة بي

لطالما أردت أن أفتح مكتبة، وبمرور الوقت تحوّلت هذه الرغبة إلى هوس. حلمت بافتتاح مكتبة فرنسية على أن تكون فرعاً لمكتبة مونييه، وتتخذ من نيويورك مقراً لها. أردت أن أساعد الكتاب الفرنسيين الذين أقدّرههم كثيراً لكي يزداد عدد قرائهم في بلادي. ولكنني أدركت، لاحقاً، أن مدخرات أمي الضئيلة، والتي أرادت أن تجازف بها لصالح مشروعِي، لا تكفي لتغطية تكاليف فتح محلّ في نيويورك. وكان مؤسفاً حينها، أن أتخلّى عن تلك الفكرة المدهشة.

ظننت أن أدريان مونييه سوف تحبط من انهيار مخططنا لفرع من مكتبتها في بلادي. ولكنها، على عكس ما توقعت، كانت مبتهجة. لذا، تحولت الفكرة في لمح البصر إلى مكتبة أميركية في باريس. بإمكان رأس المال الذي أملكه الذهاب بي بعيداً في باريس؛ كانت الإيجارات منخفضة وكذلك تكاليف المعيشة آنذاك.

أخذت بكل هذه المميزات في الحسبان، وبالإضافة إلى أنني مغرمة بباريس، وأعترف، أن ذلك لم يكن باعثاً صغيراً على الاستقرار ولكي أصبح باريسية. هناك أيضاً عامل أدريان، التي تملك خبرة أربعة أعوام في بيع الكتب. إذ افتتحت مكتبها وسط أجواء الحرب وحافظت

على استمرارية مكتبها. وعدتني أدريان بتوجيهي في خطواتي الأولى، ومساعدتي من خلال إرسال العديد من الزبائن إليّ. كان الفرنسيون - حسب ما علمت - متحمسين للاطلاع على الجيل الجديد من كتابنا الأميركيين، وبدا لي أن مكتبة أميركية صغيرة على الضفة الغربية من السين سوف تكون موضع ترحيب من قبلهم.

كانت الصُعوبة تكمنُ في إيجاد محلّ شاغرٍ في باريس، ربّما كنتُ سأضطرُّ إلى الانتظار لوقت أطول للعثور على ما أريدُ لو لم تنتبه أدريان إلى وجود محلّ للإيجار في شارع دوبيتران الصغير، يقع في زاوية من شارع الأوديون. وجدت أدريان الوقت لمساعدتي في تحضيراتي على الرغم من انشغالها بمكتبها، ومنشوراتها، وكتاباتها الخاصة. هرعنا إلى شارع دوبيتران، حيث حمل المحل العنوان رقم 8 من أصل 10 محالّ هي مجمل عقارات ذلك الشارع الصغير والمرتفع، وجدنا شيش النافذة مفتوحًا، وفي الأعلى كانت ثمة لافتة مكتوبٌ عليها: «محلّ للإيجار». قالت أدريان إنّ المحلّ كان مصبغةً في وقتٍ ما، وأشارت إلى كلمتي «سميكة» و«رقيقة» ما يعني أن المصبغة كانت تستقبل البياضات السميكة والرقيقة معًا. وقفت أدريان، التي كانت ممتلئة الجسم نوعًا ما، تحت كلمة «سميكة»، وطلبت مني الوقوف تحت كلمة «رقيقة»، وقالت «هكذا نحن».

توصلنا إلى مسؤولة المبنى، امرأة عجوز تغطي رأسها بالدانتيل الأسود، تقطن مكانًا أشبه بالقفص بين طابقين، كحال مسؤولي المباني في تلك البيوت الباريسية القديمة، وبدورها أخذتنا في جولة لترينا المحل من الداخل، الذي قرّرتُ دون تردّد أنّه محلّي أنا. كان المحل يتكوّن من غرفتين، يفصلهما باب زجاجي، وسلّم يفضي إلى الغرفة

الخلفية، أما الغرفة الأمامية فحوت موقد المصبغة وأمام الموقد مكواة. رسم ليون بول فارغ ذات مرة الموقد كما بدا في الماضي ومن أمامه آلات الكي، بدا على الأغلب أن المكان مألوف لديه بسبب عاملة المصبغة الجميلة التي كانت تكوي البياضات. ووقع على الرسم باسم «ليون بويل فارغ» كنوع من التلاعب اللغوي مع كلمة موقد بالفرنسية .poêle

تذكرت أدريان - وهي تنظر إلى الباب الزجاجي - أنها رأت المكان من قبل. ففي طفولتها، رافقت والدتها للمصبغة ذاتها. وبينما كانت النسوة منشغلات، تسلّت الفتاة الصغيرة [أدريان] بأرجحة الباب، وبطبيعة الحال تهشّم الزجاج، وتذكرت الصفحة التي تلقتها من والدتها فور عودتها للمنزل.

أبهجني كل شيء: المحل، ومسؤولة المبنى «الأم غاروست» كما أسماها الجميع، والمطبخ الصغير المتفرع من الغرفة الخلفية، وباب أدريان الزجاجي، ناهيك عن الإيجار المنخفض. على الرغم من ذلك فكرت ملياً بالموضوع، حتى الأم غاروست طلبت مهلة للتفكير بي ليوم أو اثنين، وفق الأعراف الفرنسية الأصيلة.

استقبلت والدتي في وقت قصير برقية مني، كتبت ببساطة: «سأفتح مكتبة في باريس، أرسلني المال من فضلك». فأرسلت لي كل مدّخراتها.

استمتعت بتهيئة محلي الصغير لتجارة الكتب. استمعت إلى نصيحة أصدقائي من آل رايت وورثينغ، أصحاب محل مصباح علاء الدين في شارع دي سان بير؛ بتغطية الحوائط الرطبة بالخيش، وأنجز العمل منجد أحذب افتخر بنتيجة تزيينه للزوايا، ثم جاء النجار ووضع الأرفف ونوافذ عرض الكتب، وأتى الدهان لطلاء واجهة المحل، ووعد بأن عمله سيظهر على نحو لائق كحال إنجازه الأخير: بازار فندق ديفيل. ثم جاء «مختص» لخط «شكسبير أند كومباني» بعرض الواجهة. خطر لي اسم المكتبة ذات ليلة وأنا راقدة على الفراش. أبدى «الشريك بيل»<sup>1</sup> كما لقبته صديقتي بيني أوليري، كما شعرت دومًا، تعاطفًا مع مشروعني، وكان بجانب ذلك، الكاتب الأفضل مبيعًا.

صمم تشارلز وينزر<sup>2</sup>، صديق أدريان الإنجليزي ذو الأصل البولندي، لافتة إعلانية مرسومًا عليها بورترته لشكسبير لتعلق خارجًا. لم ترق الفكرة لأدريان، ولكنني أردت تنفيذها في كل الأحوال. علقت اللافتة فوق الباب بواسطة عارضة. اعتدت على إزالة اللافتة حين تحين ساعة الإغلاق ليلاً، وذات يوم، نسيت إزالتها فوجدتها قد سُرقت. صنع تشارلز لافتة أخرى، واختفت أيضًا. فصنعت شقيقة أدريان لافتة ثالثة، بدت فيها ملامح شكسبير فرنسية إلى حد ما، وهذه اللافتة هي التي ما زلت أملكها إلى الآن.

1 إشارة إلى ويليام شكسبير، وبيل هو اسم التديل لويليام في الثقافة الشعبية للغرب.

2 رسام (1886 - 1940).

لعل البعض في فرنسا وقتها لا يعرفون معنى كلمة Bookshop التي خطها المختص بعناية على الجانب الأيمن من واجهة المحل فوق النافذة، وعلى الجانب الآخر خط كلمتي مكتبة للإعارة Lending Library. أبقيت على كلمة «محل كتب» لفترة طويلة، لأنها عبرت عن الظهور الأول لشكسبير أند كومباني في بيع الكتب.<sup>1</sup>

على الرغم من اهتمام جميع هؤلاء الحرفيين بالمكان، إلا أن حضورهم كان متقطعاً. تساءلت في بعض الأوقات، إن كانوا سيقون منشغلين بالتنجيد والنجارة والدهان حتى في يوم الافتتاح. هَوْنْتُ على نفسي الأمر، قائلة بأن المكان سيعج بالناس على الأقل.

أما بالنسبة إلى «الأثاث المكتبي» في محل فجله كان من الأثاث القديم. إذ أهداني آل رايت وورثينغ مرآة فاتنة وطاولة خشبية يمكن طيها، أما بقية الأثاث فابتعته من سوق السلع المستخدمة، حيث تتوفر أفضل الصفقات آنذاك.

أما بخصوص الكتب في قسم الاستعارة، فقد استلمتها من محال الكتب الإنجليزية المستعملة ذوات المخازن الممثلة في باريس، عدا التي وصلتني لاحقاً. كانت الكتب تعد من الأنتيكات أيضاً، ومنها ما كان قيماً إلى درجة حفظها بعيداً عن التداول، ولولا أمانة الأعضاء المشتركين لفقدت العديد من المجلدات الموضوعة على الأرفف. كانت مكتبة بيوفو وشيفيليه المذهلة والواقعة بالقرب من سوق الأسهم حقلاً للاستكشاف لدى المنقبين عن الكتب، حيث كانوا يهبطون للقبو، حاملين شموعهم التي زودهم بها السيد شيفيليه ذاته - يا لها من مخاطرة منه! - للبحث عن الكنوز المدفونة تحت طبقات من الأغراض والكتب.

---

1 غيرت سيلفيا الكلمة لاحقاً إلى باعة كتب Book Sellers.

أرسلت سييريان، والتي كانت في أميركا آنذاك، أحدث الإصدارات الأمريكية. وذهبت بدوري إلى لندن جالبة معي صندوقين مليئين بالكتب الإنجليزية، أغلبها دواوين شعر، والتقيت هناك بالسيدة أليدا مونرو، التي أدارت مع زوجها هارولد (مكتبة الشعر) الرائعة، ومدتني بلطف بمعلومات وافرة عن الإصدارات الشعرية وطريقة الحصول عليها. عقدت لقاءات مع الناشرين، وكانوا جميعهم دميين ومشجعين للمكتبة الجديدة في باريس، ومنحوني كافة التسهيلات رغم أنهم لا يعرفون عني أي شيء سوى أنني مغامرة. وفي الواقع، كنت كذلك.

توقفت في شارع كورك بطريقي إلى القطار الذي سيأخذني إلى سفينة العودة لباريس، حيث المكتبة الصغيرة للناشر وبائع الكتب إلكين ماثيوز لأطلب منه إصداراته لويليام بيتس وجيمس جويس وإزرا باوند. وجدت ماثيوز جالسًا في مكان بدا معرضًا فنيًا، وتراكت الكتب حوله زاحفة لتصل حتى قدميه، وتبادلنا حديثًا ممتعًا، ووجدته شخصًا لطيفًا. ذكرت لماثيوز أنني رأيت بحوزته رسومات للشاعر والفنان ويليام بليك - لو بإمكانني أن أملك شيئًا من رسومات بليك في محلي! - وبناء على ملاحظتي، باعني ماثيوز رسمتين أصليتين لبليك، بمبلغ وصفه الخبراء بأعمال بليك بعد أن رأوها لاحقًا بالضئيل على نحو لا يُصدق.

طلبت عناوين بيتس وجويس وباوند شفهيًا، عوضًا عن كتابة العناوين التي أردتها من إلكين ماثيوز - إذ لم أملك الوقت لذلك - ولأننا فهمنا بعضنا بعضًا في كل الأحوال، وطلبت لوحات مرسومة لهم إن توافرت. في باريس، وبعد بضعة أيام، وصلني من إلكين ماثيوز

كيسًا ضخماً من الإصدارات التي طلبتها، وضم الكيس العشرات مما يلقبها الفرنسيون بأسلوب شاعري «طيور العندليب» كناية عن السلع المتعذر بيعها. بدا واضحاً أن ماثيوز انتهز الفرصة ليتخلص من هذه السلع بإرسالها إليّ. احتوى الكيس، بجانب الكتب، على ما لا يقل عن نصف دزينة من لوحات رسم عليها اللورد بايرون، أما بقية اللوحات فكانت للأدميرال نيلسون، ودوق ولينغتون، وشخصيات أخرى من التاريخ الإنجليزي. حكمت بناء على أحجام اللوحات بأنها مخصصة لكي تعلق في المباني الرسمية، فأعدت إرسالهم إلى إلكين وويخته بشدة، ولكن، وبسبب لوحات بليك لم أتعامل عليه، واحتفظت بذكريات عطرة تجاه هذا العجوز المهذب.

### شكسبير أند كومباني تفتتح أبوابها

قررت افتتاح المكتبة حالما تجهز عوضاً عن تحديد تاريخ للافتتاح. حان اليوم الموعود أخيراً بعدما صُفّت جميع الكتب التي تمكنت من اقتنائها على الأرفف، وصار في وسع المرء التجول في أرجاء المحل من دون التعثر بالسلالم أو بدلاء الطلاء. افتتحت شكسبير أند كومباني أبوابها، وحدث ذلك في يوم 19 نوفمبر 1919. تطلب الوصول لهذه النقطة عملاً متواصلًا منذ شهر أغسطس. عرضت على النافذة أعمال تشوسر<sup>1</sup> وتي. إس. إليوت، وجويس وغيرهم، وعرضت أيضًا كتاب أدريان المفضل رواية ثلاثة رجال في قارب لجيرون جيرون<sup>2</sup>. وفي داخل

1 جيفري تشوسر، شاعر إنجليزي (1343 - 1400).

2 كاتب إنجليزي (1859 - 1927).



المكتبة، اصطفت المجلات الأدبية والفكرية الأميركية والإنجليزية كمجلات ذا نيشن [الأمة] ونيو ريبابليك [الجمهورية الجديدة] وذا ديال [الاتصال] ونيو ماسيس [الجماهير الجديدة] وذا تشابوك [كتيب الحكايات والأناشيد الشعبية] وذا إيجويست [الأنا] وذا نيو إنجلش ريفيو [المجلة الإنجليزية الجديدة] وغيرها من المجلات الأدبية. وُعَلِّقَتْ على الحوائط لوحًا بليك، وصورتان لوالث ويطمان وإدغار آلان بو، ثم عُلِّقَتْ صورتان لأوسكار وايلد مرتديًا عباءة وبنطالًا قصيرًا. وُضِعَتْ صورتا وايلد في برواز مع بعض من رسائل وايلد المرسله إلى صديق شقيقتي سيبيريان بايرون كوهن<sup>1</sup> الذي أهداهم إلي. وعرضت أيضًا بضعة مخطوطات قصيرة لوالث ويطمان كتبها على عجاله في الصفحات الخلفية لرسائله، وجاءتني المخطوطات هدية من خالتي آغنيس أوربيسون، التي كانت طالبة في كلية برين ماور للبنات، حيث رافقت صديقتها آليس سميث إلى مدينة كامدن بولاية نيو جيرسي لزيارة ويطمان. (تزوجت أليس لاحقًا من برتراند راسل، أما شقيقتها ماريشن فارتبطت ببرنارد بيرينسون<sup>2</sup>، وشقيقتها كان الكاتب والناقد لوغان بيرسال سميث<sup>3</sup>، الذي وصف أنشطة وأعمال أسرته المثيرة للاهتمام في سيرته الذاتية السنوات المنسية). ذات مرة أهدت والدة آليس، السيدة هانا ويطهال سميث، لويتمان كرسيًا بذراع، وعندما غادرتا آليس وآغنيس إلى كامدن التقتا ويطمان وهو جالس على الكرسي ذاته، لا على

1 هاوي آثار أميركي (1896 - 1954).

2 مؤرخ فني أميركي (1865 - 1959).

3 كاتب وناقد أميركي (1865 - 1946).

«بوابة»<sup>1</sup>، ووجدتا المخطوطات متناثرة على الأرض، وبعضها في سلة المهملات، كما استدركت آغنيس الخجولة. امتلكت آغنيس الشجاعة لالتقاط تلك الخريشات، وأغلبها كُتِبَتْ في الصفحات الخلفية للرسائل التي أرسلت إلى الفاضل والت ويتمان، وسألته إن أمكنها الاحتفاظ بها، وأجابها: «بالتأكيد، يا عزيزتي». هكذا حصلت عائلتنا على المخطوطات.

انتظر العديد من الأصدقاء الطيبين افتتاح شكسبير أند كومباني، ووصلتهم أخبار الموعد المرتقب. على الرغم من ذلك، إلا أنني لم أتوقع حضور أحد في اليوم الأول، وإضافة إلى ذلك، احتجت إلى أربع وعشرين ساعة كي أستوعب حقيقة افتتاح شكسبير أند كومباني، ووجدت صعوبة في تحريك شيش النوافذ المغلقة ليلاً (ساعدني نادل في مقهى قريب على رفعها) حينها بدأ الأصدقاء بالتوافد. ومن تلك اللحظة، ولعشرين عاماً، لم يمنحني هؤلاء الأصدقاء فرصة للتأمل أثناء ساعات العمل في المكتبة.

كانت إغارة الكتب، كما تنبأت، أسهل كثيراً من بيعها في باريس. إذ كانت إصدارات تاوشنيتز<sup>2</sup> وأعمال جوزيف كونراد هي الأرخص ثمنًا، ولم تُبَعْ أكثر مما بيعت من أعمال لروديارد كييلينغ وتوماس هاردي. أما كتابنا الحديثون، وتحديدًا عند تحويل الجنيهات الإسترلينية والدولارات إلى فرنكات فرنسية، فكان اقتناء كتبهم نوعًا من الرفاهية

1 إشارة إلى أغنية A sitting on a gate في قصة لويس كارول (أليس عبر المرأة).

2 كريستيان بيرنهارد تاوشنيتز (1816 - 1895) ناشر ألماني أصدر أعمالاً عديدة للكتاب البريطانيين مثل تشارلز ديكنز.

التي لا يقدر عليها الفرنسيون ولا قاطنو الضفة الغربية من نهر السين، ولهذا السبب اهتمت بقسم الإعارة من المكتبة، لذا، أشركت الآخرين في باريس فيما أحببته شخصياً من كتب عبر خدمة الإعارة.

أدرت قسم الإعارة في المكتبة بطريقة وصفتها أدريان - ولا أعلم لماذا - بـ «الطريقة الأميركية». كانت أدريان تخيف من يستعرون الكتب من الأميركيين بفهارسها وبطاقات العناوين والآلات الميكانيكية. أما في مكتبتي، فالوضع كان ملائماً، فلا فهارس - فضلت أن أدع الزوار يكتشفون العناوين المتوافرة والمنقوصة، ولا بطاقات عناوين - إذ كان عليك الاطلاع على بطاقات العضوية لتعرف مصير أحد المجلدات إلا في حال امتلاك ذاكرة رائعة كتلك التي تمتعت بها أدريان وتذكر ماذا أعرت ولمن.

كانت هناك، وبغرض التحقق، بطاقات كبيرة، حملت كل واحدة منها اسم العضو وعنوانه، وتاريخ الاشتراك، ومبلغ الاشتراك زائد التأمين، عنوان الكتاب أو الكتب واسم من استعاره أو استعارته. بإمكان العضو استعارة مجلد أو اثنين، ودفع الرسوم متى ما شاء والاحتفاظ بالعناوين لمدة أسبوعين (استعار جويس العشرات من العناوين، وأبقى بعضها عنده لسنوات). حاز كل عضو على بطاقة تعريف صغيرة، وكان عليه تقديمها لاستعادة مبلغ التأمين عند انتهاء الاشتراك أو في حالة الإفلاس. كانت بطاقة الاشتراك توازي أهمية جواز السفر، هذا ما قيل لي. كانت طالبة في كلية الطب هي من أوائل الأعضاء في المكتبة وجاءت صدفة لشارع دوبيتران وكان اسمها تريز بيرتراند، واسمها الآن دكتورة بيرتراند فونتائين. وشهدت مسيرتها المهنية بابتهاج، إذ لطالما

اجتازت اختباراتنا بنجاح، وصعدت إلى القمة في مهنتها، وكانت أول امرأة حظيت بشرف لقب «طبيب مستشفى». انحدرت تريز من عائلة اشتهر رجالها بالعلم، وعلى الرغم من انشغالها، إلا أنها وجدت الوقت لقراءة كل الكتب الأميركية الجديدة في قسم الاستعارة من مكتبتني، وبقيت محتفظة بعضويتها إلى اليوم الذي أغلقت فيه المكتبة أبوابها.

أما العضو التالي (أو الأرنب bunny، كما أسمتهم شقيقتي هولتي، لأن كلمة عضو بالفرنسية تنطق أبون abonné) فكان أندريه جيد، الذي رأيتة وهو آت من زاوية شارع الأوديون وترافقه أدريان مونييه. بدا على جيد العجلة في إبداء تشجيعه لمشروعني، ولطالما كنت خجولة في حضور جيد، على الرغم من رد أدريان عليّ بكلمة «هراء!» عندما قلت لها ذلك. غمرت بشرف رغبة جيد بالاشتراك، وكتبت على البطاقة: «أندريه جيد: رقم 1 حي فيلا مونتورنسي، الدائرة 16 باريس، عام واحد، مجلد واحد» متسببة بلطخة كبيرة كالبطاقة السابقة.

كان جيد طويلًا ووسيمًا، وعلى رأسه يومها قبعة ستيتسون عريضة، وبدا شبيها بوليام س. هارت<sup>1</sup>، وارتدى أيضًا إمامًا عباءة أو ما يشبه معطف الدب تيدي على كتفيه، ومع طول قامته، كانت خطواته الطويلة مشيرة للإعجاب. استمر جيد بالاهتمام بشكسبير أند كومباني ومالكتها على مر الأعوام.

ومن أوائل من عبّروا لي عن أطيب التمنيات أندريه موروا<sup>2</sup> الذي جلب معه نسخة من رائعته الصغيرة الصادرة حديثًا صمت الكولونيل برامبل.

1 ممثل أميركي (1864 - 1946).

2 روائي فرنسي (1885 - 1967).

## حجاج من أميركا

كنت بعيدة جداً من بلادي لدرجة لا يمكنني فيها أن أتابع عن كتب معاناة الكتاب هناك في التعبير عن أنفسهم، وعندما افتتحت مكتبي في عام 1919، لم أتنبأ أنها ستستفيد مادياً من تكميم الأفواه في الجانب الآخر من المحيط. إلى حد ما، أظن أنه بسبب ذلك القمع والأجواء التي تسبب بها، هو ما جعلني أحظى بالعديد من الزبائن - كل أولئك الحجاج في سنوات العشرينيات والذين عبروا المحيط واستقروا في باريس واستوطنوا الضفة الغربية من نهر السين.

تفاجأت بانتشار الأخبار المتعلقة بمكتبي في جميع أرجاء الولايات المتحدة، وكانت المكتبة هي الوجهة الأولى التي بحث عنها أولئك الحجاج في باريس، فصاروا جميعهم زبائن لشكسبير أند كومباني، واعتبر العديدون منهم المكان نادياً اجتماعياً خاصاً بهم، وغالباً ما يخبروني بأنهم جعلوا عنوانهم البريدي هو شكسبير أند كومباني، وأملوا ألا أمانع. لم أمانع، خاصة وأنه قد فات الأوان لفعل شيء ما عدا إنني أحاول إدارة مكتب البريد الذي نشأ في المكتبة بالقدر الممكن من الكفاءة.

يظهر في المكتبة - وفي كل يوم - شخص ما قرأت له في مجلة  
ذا ليتل ريفيو أو في مجلة ذا ديال. جلب كل قارب قادم من الساحل  
المزيد من الزبائن لشكسبير أند كومباني. وبطبيعة الحال، لا يمكننا لوم  
القمع وحظر المشروبات الكحولية<sup>1</sup> بالمطلق على هجرة تلك الطيور  
البرية من أميركا، إذ كان لوجود كل من جويس وإزرا باوند وبيكاسو  
وسترافينسكي<sup>2</sup> والجميع - عدا تي إس إليوت الذي عاد إلى لندن - سبباً  
في الهجرة إلى باريس. واستقر عدد كبير من أصدقائي في مونبارناس،  
التي كانت بمثابة سان جيرمان دي بري ذلك الزمان، ولم يكن عليهم  
سوى عبور حدائق لوكس لزيارتي في المكتبة.

قدم أحد أوائل زبائني الأميركيين من برلين، وهو الموسيقي جورج  
أنتيل، الذي دخل المحل برفقة زوجته بوسك يداً بيد في أحد نهارات عام  
1920، حسبما أتذكر. كان جورج ذا بنية ممتلئة، وخصلات شعره بلون  
الجبال، وأنف محطم، وعينين مشيرتين للاهتمام رغم مظهرهما الذي  
يوحي بالشر، وفم كبير وابتسامة كبيرة. بدا جورج وكأنه صبي أميركي  
من أصول بولندية في المرحلة الثانوية. أما زوجته الهنغارية، بوسك،  
فكانت صغيرة وجميلة وذات شعر داكن، تتحدثُ بإنجليزية ركيكة.

أثارت أفكار أنتيل اهتمامي، وعزز الرابط بيننا حقيقة أنه من نيو  
جيرسي مثلي أنا. كان والد جورج مالك محل ذا فريندلي شو ستور  
للأحذية في ترينتون المجاورة لبرينستون، والآن يوشك جورج أن يكون

1 امتد حظر الكحوليات في أميركا من 17 يناير 1920 إلى 5 ديسمبر 1933.

2 إيغور سترافينسكي، موسيقي روسي (1882 - 1971).

جاري في باريس. بسط الابن اهتمامه على الموسيقى بدلاً من الأحذية، وفي الثامنة عشرة من عمره، باءت كل جهود والده في تدريب ابنه ليخلفه في العمل بالفشل. واضطر الشاب جورج للرحيل إلى فيلادلفيا بحثاً عن حظه مع الموسيقى. وكان محظوظاً جداً لجذبه انتباه زوجة السيد إدوارد بوك<sup>1</sup> إليه، التي رأت أنه سيصبح موهبة المستقبل في البيانو فدفعت رسوم تعليمه. أصبح جورج عازفاً للبيانو في الحفلات، ولكنه، وفي منتصف جولة موسيقية في ألمانيا، قرر أنه مهتم أكثر بتأليف الموسيقى لا بعزف مؤلفات الآخرين، فتوجه إلى باريس برفقة زوجته بوسك، الطالبة من بودابست التي التقى بها في برلين.

كان تخلي جورج عن صقل موهبته في العزف على البيانو مبعثاً لخيبة الأمل لدى داعمته اللطيفة السيدة بوك، فتخلت عنه حتى يثبت لها جورج أن خطوته في الاتجاه إلى التأليف الموسيقي مبررة. اضطر كل من جورج وبوسك أن يتخذا تدابير عديدة حتى يمكنهما العيش على ما تبقى من الأموال التي اكتسبها جورج من مسيرته القصيرة عازفاً على البيانو. وكانت مهمة بوسك هي إعداد حساء الغولاش لها ولجورج بينسات ضئيلة. اطلعت على جميع المشاكل التي واجهت جورج.

لطالما توافد الزوار الجدد على المكتبة برفقة روبرت مكالمون<sup>2</sup>. متى جاءني ذلك الشاعر الشاب، والآتي من الغرب الأوسط الأميركي؟ جاءني بمجرد ما افتتحت المكتبة. واقتسمت بوب<sup>3</sup> مكالمون مع مقهى دوم وحانة دينغو وأماكن أخرى، لكن عنوانه الدائم كان مكتبة

1 كاتب ومحرر أميركي (1863 - 1930).

2 شاعر وناشر أميركي (1895 - 1956).

3 لقب التجب لروبرت في الثقافة الغربية

شكسبير أند كومباني، حيث يتجول في أرجائها مرة واحدة في اليوم على الأقل. كان روبرت مكالمون الابن الأصغر في عائلة كبيرة عمادها «القس الرحالة» كما وصف روبرت والده، ذو الأصول الأسكتلندية والإيرلندية. وكانت فيكتوريا، شقيقة روبرت التي أحبها كثيرًا، هي الفرد الوحيد التي قابلتها من عائلته. خاضت فكتوريا غمار السياسة وتألفت، ورشحت نفسها لأحد المجالس ونسيت أيها كانت.

لم يكن مكالمون طويلًا، وعدا عينيه الزرقاوين اللامعتين، لا يمكنني وصف باقي مظهره بالحسن. ولكن، وفيما أشبهه بالقاعدة، فقد استطاع أن يجذب الناس إليه، وأعرف قلة منهم انجذبوا إليه بشدة. حتى أن صوته البطيء، والذي يبدو خارجًا من أنفه، بدا جزءًا من جاذبيته. وكان من المؤكد أنه الفرد الأكثر شعبية من «الحشد» كما أطلق على أصدقائه. كان روبرت، وبطريقة ما، هو الشخصية المهيمنة في أي مجموعة يكون معها، وعندما يرتاد روبرت أي مقهى أو حانة تجد الجميع معه هناك. انشغل بوب كثيرًا في مشاركة أفكاره المثيرة مع أصدقائه، أو الاستماع إليهم بانتباه والتعاطف مع قصصهم الباعثة على الإحباط إلى درجة أنه أهمل ما يفترض أن تكون حرفته: الكتابة. جميعنا ممن كان مهتمًا بروبرت مكالمون تطلعنا قدمًا لإسهامه في الكتابة في سنوات العشرينيات. لسوء الحظ، كلما فكر روبرت أكثر بالكتابة، اقتنع أكثر بعدم جدوى الجهد المبذول للكتابة. وكتب إليّ مرة: «لتذهب قواعد النحو إلى الجحيم»، و«ألقيتها خارجًا من النافذة». وأخبرني أنه سيرحل إلى جنوب فرنسا، بحثًا عن مكان يستطيع الابتعاد فيه عن الناس والقيام ببعض الكتابة، واستقبلت منه برقية كتب فيها: «وجدت مكانًا ملائمًا وغرفة هادئة». وبعد فترة وجيزة ذكر أحدهم رؤيته لبوب هناك قائلاً عنه: «تقع غرفته في أعلى الخمارة التي نلتقي جميعنا فيها».



كانت وظيفتي نهارية، ولأن النهار طويل، لم ارتد النوادي الليلية مع أصدقائي، ولكن في المناسبات التي زرتها، كان من الممكن تحمّلها وذلك بسبب المتعة التي يمنحنا إيّاها بوب مكالمون وهو ثمل.

## السيد والسيدة باوند

كان من أوائل زوار مكتبتي عبر البحر - القنال هذه المرة - إزرا باوند وزوجته، دوروثي شكسبير باوند. اللذان انتقلا تَوًّا من لندن، معجبرين على الفرار، والسبب، كما شرح لي السيد باوند: إن الماء يزحف، وقد يستيقظ يومًا وزوجته ويجدا أقدامها قد أصبحت كأقدام البط. بدت السيدة باوند غير منزعجة من هذا التصوير لحال بلدها. واكتشفت أن والدتها هي السيدة شكسبير Shakespear من دون الحرف «e» صاحبة الصالون الأدبي الشهير في إنجلترا.

أبدت السيدة باوند تخوفها من مواجهة الناس لصعوبة العثور على شارع دوويرتان، حيث تقع المكتبة، وسررت عندما عرضت عليّ رسم خارطة توضيحية صغيرة خلف النشرة الورقية للمكتبة. أرشدت هذه الخارطة الموقعة باسم «د. شكسبير» العديد من الزبائن إلى مكتبة شكسبير أند كومباني، واعتبرتها من كنوز الأيام الأولى من افتتاح المكتبة. بدا السيد باوند تمامًا كما في صورته المرسومة على الصفحات الأولى من مجموعاته الشعرية، مرتديًا معطفًا مخمليًا وقميصًا مفتوح الأزرار - وفق الموضة الإنجليزية في تلك الفترة، وتمتع صوته بنبرة عالية، أما لغته، على الجانب الآخر، فكانت شبيهة بشخصية هاكلييري فن<sup>1</sup>.

---

1 رواية لمارك توين.

لم يكن السيد باوند من طينة الكتاب الذين يتحدثون عن كتبهم أو كتب غيرهم، معي أنا على الأقل. وجدت أن القائد المتوج لحركة الحداثة غير متغطرس، ولم يتباه، على مدى حواراتنا، إلا بمهاراته في النجارة. وسألني مرّة ما إن كان في المحل ما يستدعي التصليح، فأصلح لي كرسيًا وصندوق السجائر، أثبتت على مهارته، فدعاني إلى زيارة شقته الصّغيرة الواقعة في شارع نوتردام دي شان لإلقاء نظرة على الأثاث الذي صنعه بنفسه بالكامل، وتولّى أيضًا دهن الأثاث الخشبي.

علق جيمس جويس على أثاث باوند قائلاً إنّ على المرء العمل بما يعرفه فقط، لكنني متأكد أن الهوايات مفيدة جدًا للكتاب. إذ تعلمت وباهتمام من كتاب المؤلفة كاثرين كارسويل<sup>1</sup> عن حب د. هـ. لورنس<sup>2</sup> لغسل القدور والأوعية، وحرصه على إبقاء مناشف الشاي التي يجفف بها ما غسله نظيفة. وعلمت من دوروثي بريث<sup>3</sup> أن لورنس، عندما كان في المكسيك، قد دهن دورة المياه بلون لَمَاع وزيّنه برسم طائر الفينيق. نادرًا ما كنت أرى السيد باوند، إذ كان مشغولًا بعمله وشعرائه الشباب، وانشغل بموسيقاه أيضًا، إذ كان وجورج أنتيل يخططان لثورة في الموسيقى.

---

1 كاتبة إسكتلندية (1879 - 1946).

2 كاتب إنجليزي (1885 - 1930).

3 رسامة إنجليزية (1883 - 1977).

جاءت إلى شارع دوبيرتان امرأتان بعد فترة ليست بطويلة من افتتاح المكتبة. كانت إحداهما ذات وجه حسن، وممتلئة الجسم، مرتدية عباءة طويلة، وعلى رأسها قبعة أشبه بالسلة. وترافقها امرأة نحيلة وغريبة الأطوار بطريقة تذكّرني بالفجر. كانتا غيرترود ستاين وأليس ب. توكلاس.

سعدت كثيرا بالزبونتين الجديديتين، كوني قرأت «أزرار رقيقة وثلاث حيوات»<sup>2</sup> فور صدورهما، وسعدت أيضًا بمزاحهما المستمر. كانت غيرترود دائمًا ما تداعبني حول عملي في بيع الكتب، وكان ذلك مسليًا لها، ولي أيضًا.

لم يكن بالإمكان الفصل بين ملاحظات كل من غيرترود وأليس بشكل عام. بدا واضحًا أنهما كانتا تنظران للأمر من ذات الزاوية، كحال أي شخصين متجانسين تمامًا. بيد أن شخصيتهما، بدت لي مستقلة واحدة منهما عن الأخرى؛ إذ تمتعت أليس ببراعة أكبر مما كانت لدى غيرترود، وكانت تتصرف كشخص بالغ على العكس من غيرترود الطفولية، أو الطفلة المعجزة بالأحرى.

اشتركت غيرترود في خدمة الإعارة بالمكتبة، لكنها اشتركت خلو قسم الإعارة من الكتب المسلية، حيث سألت بسخط، ما أن تعدان في

1 شارع الزهور بالفرنسية

2 كتابان لغيرترود ستاين، الأول شعري والآخر قصصي.

أثر شجرة الصنوبر المهجورة<sup>1</sup> وفتاة لمبرلوس<sup>2</sup> من الأعمال الأميركية الكبرى كي تكونا متاحيتين للاستعارة؟ هذا أسلوب مهين لأي أمين مكتبة. وفرت كل ما استطعت تدبره من أعمال لغيرترود ستاين، وتساءلت إن كانت تستطيع ذكر مكتبة أخرى في باريس تتوافر لديها نسختان من أزرار رقيقة. منحت غيرترود المكتبة العديد من إصداراتها تعويضاً عن انتقادها الظالم لشكسبير أند كومباني، ومنها ما كان نادراً مثل صورة لميل دودج في فيلا كورونيا<sup>3</sup> والكتيب ذي العنوان المروّع هل هاجموا ماري: لقد قهقهه - كاريكاتير سياسي. وأهدتني ستاين العدد الخاص من مجلة كاميرا وورك [عمل الكاميرا] لستيغليتز<sup>4</sup>، التي حوت مقالاتها عن بيكاسو وهنري ماتيس<sup>5</sup>. أما الإهداء الذي قدرته كثيراً فكانت نسخة من الطبعة الأولى من قصتها ميلانتا<sup>6</sup> وزخرفتها لي خصيصاً، وكان عليّ أن أضعها في مكان آمن؛ إذ سرقها أحدهم من المكتبة. كان اشتراك غيرترود في خدمة الاستعارة مجرد بادرة ودية، إذ إنها لم تهتم إلا بكتبها. بيد أنها كتبت قصيدة مهداة إلى مكتبي، وأحضرتها لي في يوم من أيام عام 1920. حملت القصيدة عنوان: «أغنياء وفقراء

- 
- 1 رواية رومانسية لجون فوكس جونيور صدرت عام 1908 وحققت نجاحاً تجارياً آنذاك.
  - 2 رواية لجين ستراتون بورتر صدرت عام 1909 وحققت نجاحاً تجارياً آنذاك. لامبير لوست هو اسم لمستنقع في ولاية إنديانا الأميركية.
  - 3 مقال طويل لستاين عن امرأة وزوجها وسكنهما في إيطاليا، وصدرت في طبعة خاصة 300 نسخة فقط، وبيعت إحداها لاحقاً في مزاد بلندن بعام 2002 بسعر تعدى 17 ألف دولار.
  - 4 ألفريد ستيغليتز، مصور أميركي (1864 - 1946).
  - 5 رسام فرنسي (1869 - 1954).
  - 6 وتعني الوردة السوداء بالإغريقية، وضمت ستاين القصة لاحقاً إلى مجموعتها (ثلاث حيوات).

بالإنجليزية» أمَّا العنوان الفرعي فكان: «للاشتراك باللغة الفرنسية أو باللغات اللاتينية الأخرى». يمكنكم العثور على القصيدة في المجلد الخامس من «خيطة ملون» طبعة جامعة ييل.

رأيت غيرترود وأليس في أحيان كثيرة. كانتا إما تأتيان للمكتبة لمراقبة العمل في بيع الكتب أو عندما كنت أذهب إلى سكنهما في رو دي فلوريس قرب حدائق لوكسمبورغ الواقع خلف فناء سكنهما، ودائمًا ما وجدت غيرترود مضطجعة على كنبه وتمزح وتداعب. كان السكن أو البافيلون<sup>1</sup> كما أسمته غيرترود مبهراً كساكنتيه، ووضعت على جدرانها تلك اللوحات الرائعة لبيكاسو التي تعود إلى «الفترة الزرقاء»<sup>2</sup>. وأرتني غيرترود ألبومات حَوّت على رسومات لبيكاسو، والتي بدورها جمعت العديد منها، وأخبرتني أنها قد اتفقت مع شقيقها ليو يومًا على تقاسم الرسومات بينهما، فاختر شقيقها لوحات هنري ماتيس، أما هي فاخترت بيكاسو. وأتذكر أيضًا رؤية بعض اللوحات لخوان غريس<sup>3</sup>.

اصطحبنتي غيرترود وأليس مرة إلى الريف، وقادتنا بشكل صاخب سيارة فورد قديمة أسماها غودي، والتي خدمتهما ورافقتهما في عملهما الصحفي فترة الحرب<sup>4</sup>. وأرتني غيرترود ما الجديد في غودي: أضواء أمامية يمكن تشغيلها أو إطفائها من داخل السيارة وولاعة سجائر تعمل

---

1 من الفرنسية Pavillon أي جناح سكني.

2 مصطلح لتعريف الأعمال التي أنتجها بيكاسو من 1901 إلى 1904 بسبب سيطرة اللون الأزرق بجميع درجاته على تلك الأعمال.

3 رسام إسباني (1887 - 1927).

4 الحرب العالمية الأولى

بالكهرباء. كانت غيرترود تدخن باستمرار. جلست على المقعد الأمامي بجانب غيرترود وأليس، وانطلقنا إلى «قمة تل مارن»<sup>1</sup> حيث الصحافية ميلدريد ألدريش. تولت غيرترود القيادة، وعندما انفجر الإطار، كانت هي من أصلحته، بينما تبادلتُ وأليس الحديث على جانب الطريق.

كان المعجبون بغيرترود ستاين، وقبل أن يلتقوا بها ويكتشفوا دمايتها، غالبًا ما تحاشوا الاقتراب منها من دون حماية. لذا، كان على هؤلاء المساكين اللجوء إليّ، كما لو أنني دليل يعمل في وكالة سياحية، ويتوسلون أخذهم معي لرؤية غيرترود ستاين. وكانت الجولات السياحية تخطط مسبقًا مع غيرترود وأليس، وتقام في أوقات المساء. وكانت السيدتان في «البافيلون» تستقبلان الضيوف بابتهاج كبير، ودائمًا ما كانتا مضيافتين وودودتين.

وكان من أوائل السياح الذين زاروا غيرترود وأليس صديق لي شاب كثيرًا ما تسكع في أرجاء شكسبير أند كومباني بين عامي 1919 و1920، اسمه ستيفن بينيه<sup>2</sup>. ويمكن رؤية ستيفن في أولى الصور الصحافية التي التقطت في المكتبة، وبدا فيها ذلك الرجل يحدق البصر من نظارته على كتاب وبوجه جاد مقارنة بي وبشقيقتي هولبي في مؤخرة المحل.

أخذت ستيفن لرؤية غيرترود ستاين وفق طلبه، وعلى مسؤوليته الشخصية. وجرى ذلك قبل زواجه من تلك الفتاة روزماري، التي

---

1 وهو أيضًا عنوان كتاب لميلدريد ألدريش، الكاتبة والصحافية الأميركية (1853 - 1928)، وحوى مراسلات كتبتها من محل إقامتها في فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى.

2 شاعر وروائي أميركي (1898 - 1943).

أحضرها إلى المكتبة لاحقًا. تمت الزيارة لغيرترود بشكل لطيف. أظن أن ستيفن قد ذكر أن دماء إسبانية تجري في عروقه، وهذا ما راق لغيرترود وأليس، اللتين كانتا تحبان كل ما له علاقة بإسبانيا، ولكن، لا أعتقد أن ذلك اللقاء قد ترك أي أثر عليهم لاحقًا.

## شيروود أندرسون

أما «السائح» الآخر الذي طلب مني أخذه إلى رودي فلوريس فكان شيروود أندرسون<sup>1</sup>. لاحظت ذات يوم، رجلًا بمظهر مشير للاهتمام يتلکأ في سيره على عتبة الباب، والتقطت عيناه كتابًا عُرضَ على النافذة. كان الكتاب: واينزبيرغ، أوهايو<sup>2</sup>، والذي نشر مؤخرًا في الولايات المتحدة. جاء الرجل وقدم نفسه على أنه المؤلف، وقال إنه لم يرَ نسخة أخرى من كتابه في باريس، ولم أتفاجأ من ذلك، إذ بحثت بنفسي في كل مكان عن نسخة أخرى، وقالوا لي في مكان ما: «أندرسون، أندرسون؟ عذرًا، لدينا الحكايات الخرافية فقط»<sup>3</sup>.

كان شيروود أندرسون مشحونًا بشيء ما جرى به، بخطوة اتخذها، بقرار كان له أثر عظيم على حياته، واستمعت بتشوق لقصة تخليه المفاجئ عن منزله وعمله المزدهر في الأصباغ، وابتعد ببساطة في ذات صباح، وهو يحل عن يديه أغلال الاحترام وأحمال الأمان.

1 روائي وقاص أميركي (1876 - 1941).

2 مجموعة، أو متوالية قصصية نشرت عام 1919.

3 في إشارة إلى هانز كريستيان أندرسون وحكاياته الخرافية.

كان شيروود أندرسون رجلاً ذا جاذبية عظيمة، وأعجبت به. ورأيت فيه مزيجاً من شاعر ومبشر إنجيلي (من دون الوعظ)، وربما مع لمسة من ممثل. كان رجلاً مثيراً للاهتمام على كل حال.

علمت أن أدريان مونييه ستعجب بشيروود أندرسون وسيعجب بها بدوره، لذا أخذته معي إلى مكتبتها، وانجذبت إليه بالفعل، ودعوته فوراً إلى العشاء. طهت أدريان دجاجة بطريقتها الخاصة، ونجحت الطبخة بامتياز. توافق أندرسون وأدريان معاً، هي تحدثت بإنجليزية مبسطة، وهو تحدث بفرنسية مبسطة، واكتشفا أن ثمة تشابهاً كبيراً في الأفكار فيما بينهما. وعلى الرغم من حاجز اللغة، فهمت أدريان من شيروود أكثر ممّا فهمته أنا. وصفت لي أدريان شيروود لاحقاً، وقالت إنه يجسد امرأة مسنة، هندية حمراء، تدخنُ غليونها قرب النار. رأت أدريان نساء من الهنود الحمر من قبل، في استعراض بوفالو بيل بباريس.

طلب مني أندرسون، أول مجيئه إلى باريس، أن أذهب معه إلى ناشره الفرنسي، إذ لم يكن يتحدث الفرنسية. أراد أندرسون معرفة ما جرى مع أعماله. وبعد أن طال انتظاره للدخول إلى مكتب المحرر، غضب أندرسون وهدد بتحطيم المكان. بدت اللحظة شبيهة بأننا سنشهد جانباً اعتيادياً من حياة الغرب الأميركي ولحسن الحظ، فتحت الأبواب ودّعينا إلى الدّخول.

أخبرني شيروود أن كتابات غيرترود ستاين قد ألهمته، وأنه يقدرها أيما تقدير، وسألني إذا يمكنني أن أعرفها إليه. كنت أعلم أن شيروود ليس بحاجة إلى تقديم، بيد أنني وافقت بسرور على وصله بشارع دي فلوريس. جرى اللقاء وكأنه حدث كبير، شخصية شيروود المختلفة



والإعجاب الذي أبداه لكتابات غيرترود أسعدت الأخيرة كثيرًا، وبدا التأثير عليها ظاهرًا. أما زوجة شيروود، تينيسي، والتي رافقتنا، فلم تتصرف على نحو حسن. إذ حاولت أن تشارك بلا جدوى في الحديث الممتع بين الكاتيبين، لكن أليس أوقفها عن ذلك. كنت على علم بالقواعد والاشتراطات لدى غيرترود والمتعلقة بزوجات الكتّاب، واللاتي لم تستطع منعهن من المجيء، بيد أن أليس اتبعت تعليمات مشددة لإبعادهم عن أي أحاديث لغيرترود مع أزواجهم. لم تكن تينيسي سهلة الانقياد كالأخريات، وأجلست نفسها على الطاولة استعدادًا للمشاركة في الحديث، وقاومت أليس التي عرضت عليها أن تريها شيئًا على الطرف الآخر من غرفة الجلوس. لم تنجح تينيسي في سماع كلمة واحدة من الحديث بين زوجها وغيرترود. أشفقت على تلك السيدة خائبة الأمل، إذ لم أرَ داعيًا للقسوة التي تُمارس ضد الزوجات في رودي فلوريس. وعلى الرغم من ذلك، لم أستطع منع نفسي من الاستمتاع بتقنيات أليس المقاومة للزوجات. الأمر الغريب هو أن هذا المنع يسري فقط على الزوجات، أما غيرهن فيسمح لهن بالانضمام إلى الحوار مع غيرترود. اتخذ الكتّاب الشباب أحكامًا قاسية بحق شيروود أندرسون، وعانى شيروود كثيرًا من انحسار المعجبين، بيد أنه كان سباقًا. وسواء قد اعترفوا بذلك أم لا: فجيل العشرينيات مدين له بالكثير.

تمتعت غيرترود ستاين بجاذبية شديدة إلى درجة أنها غالبًا - إن لم نقل دائمًا - ما تستطيع الإفلات من أسخف المواقف، والتي تكون على شاكلة تلفظ بحقد طفولي. وكان هدفها من ذلك هو معاكسة أحد ما، كانت هذه تسليتها المفضلة. أخذت أدريان مونييه مرة إلى غيرترود، والتي لم ترق لها أدريان. «أنتم الفرنسيين»، أعلنت غيرترود. «أدبكم

يخلو من جبال الألب، ومن شكسبير. جل عبقريتكم تكمن في خطابات الجنرالات العسكريين. خطابات صارخة من قبيل: (لن يعبروا)»<sup>1</sup>

اختلفت مع غيرترود بشأن الكتابات الفرنسية وغيرها من الكتابات، ومنها على سبيل المثال: كتابات جيمس جويس. شعرت غيرترود بخيبة الأمل مني عندما نشرتُ رواية يوليسيس، إلى درجة أنها جاءتني مع أليس إلى المكتبة لتعلنا أنهما نقلتا عضويتهما في خدمة الاستعارة إلى (المكتبة الأميركية) في الضفة اليمنى من نهر السين. شعرت بالأسف بطبيعة الحال، للخسارة المفاجئة لاثنتين من الزبائن، بيد أن على المرء ألا يمارس الإكراه. وعليّ أن أعترف، ففي شارع أوديون، تعاملنا مع الصداقات بالحدود الدنيا.

وهكذا، فإن «الصداقة ذبلت قبل أن تدبل وردة الصداقة»<sup>2</sup> تتحقق لبعض الوقت. وحتى مشاعر الاستياء تدبل أيضاً، ويصعب عليّ تذكر ما اختلفنا بشأنه. وكانت هناك كتابات غيرترود ستاين، لا شيء يمنعني من الاستمتاع بها.

رأيت غيرترود وأليس مجدداً بعد برهة من الوقت. جاءتا لرؤية ما إن كان لديّ أي كتب لوليام دين هاولز، وهو كاتب كبير، وفقاً لغيرترود، ونتاجه مُهمَل بصورة غير عادلة. كانت الأعمال الكاملة لهاولز متوافرة، وجعلت غيروتد وأليس تأخذانها كلها.

---

1 من الفرنسية On ne passera pas وهي عبارة شهيرة أطلقها الجنرال روبيرت نيفيل في معركة فردان بالحرب العالمية الأولى وطُبعت على الملصقات الدعائية.

2 من قصيدة لغيرترود ستاين.

ذهبت مع جويس يومًا في أواخر عام 1930 إلى حفل في أستوديو صديقنا جو ديفيدسون<sup>1</sup>، وكانت غيرترود ستاين حاضرة أيضًا، ولم يسبق لجويس وستاين أن يلتقيا من قبل، لذا، وبموافقة الطرفين، قدمتهما لبعضهما البعض ورأيتهما يتصافحان بطريقة مسالمة.

جو ديفيدسون العزيز! لكم افتقدناه عندما غادر [عائدًا إلى أميركا]. كانت آخر مرة رافقت شخصًا «يخشى» رؤية غيرترود هي عندما أخبرني إرنست هيمنجواي أنه يريد الصلح بعد خلافه مع غيرترود ولكنه لا يملك الشجاعة لمقابلتها وحيدًا. شجعت هيمنجواي على تنفيذ خطته، ووعدته بأنني سأرافقه إلى شارع كريستين حيث انتقلتا غيرترود وأليس لاحقًا. ظننت أنه من الأفضل ذهاب هيمنجواي بمفرده إلى هناك، لذا، أخذته معي وصولًا إلى الباب وتركته متمنية له حظًا سعيدًا، وعاد لاحقًا ليخبرني بأن الأمور عادت جيدة بينهما مجددًا.

تندلع الحروب بين الكتاب في كثير من الأحيان، بيد أنني لاحظت أنها تستقر في النهاية لتصير مجرد لطمخة.

---

1 نحات أميركي (1883 - 1952).

## بوليسيس في باريس

التقيت بجيمس جويس في صيف عام 1920، حين مضى عام على افتتاح المكتبة.

في عصر يوم أحد قانظ، كانت أدريان ذاهبة إلى حفل في شقة أندريه سير، وأصرت عليّ أن أرافقها، مؤكدة لي أن آل سير سيسعدون بقدومي، لكنني ترددت في الذهاب. رغم إعجابي بشاعرية سير، إلا أنني لا أعرفه شخصياً. في النهاية، كانت لأدريان طريقتها الخاصة، كالعادة، وانطلقنا معاً إلى كميونة نويي، حيث كان آل سير يعيشون آنذاك.

كانت الشقة في الطابق الثاني لمنزل في رقم 34 شارع غابة بولونيا، وأتذكر الأشجار الظليلة المحيطة بالشارع. رحب سير بضيوفه غير المدعوين بحفاوة، وبدا إلى حد ما شبيهاً بوليام بليك بلحيته الإنجيلية وشعره المتموج. نحاني سير جانباً، وهمس في أذني: «الكاتب الإيرلندي جيمس جويس موجود هنا».

لطالما قدّست جيمس جويس، وبمجرد سماعي بالخبر غير المتوقع بشأن وجوده هنا في الحفل، فزعت إلى درجة الرغبة بالجري بعيداً،

1 شاعر وناشط صهيوني فرنسي (1868 - 1966).

لكن سبير أخبرني بأن آل باوند هما من دعيا آل جويس إلى هنا - كان بالإمكان رؤية إزرا عبر الباب المفتوح. كنت أعرف آل باوند، فدخلت. كان إزرا في الداخل متمدداً على كرسي كبير ذي ذراع. ووفق مقال كتبته في مجلة ميركيور دي فرانس، لبس باوند قميصاً أزرق يطابق لون عينيه، ولكنه كتب إليّ من فوره قائلاً إنه لم تكن لديه عينان زرقاوان من قبل، فتراجعت عن جزئية اللون الأزرق للعينين.

رأيت السيدة باوند، واقتربت منها للتحدث معها، كانت تتحدث مع شابة جذابة قدمتها إليّ على أنها السيدة جويس، التي تركتني بدورها مع السيدة باوند.

كانت السيدة جويس طويلة القامة، ليست بنحيلة ولا بممتلئة. وبدت فاتنة بشعرها المجعد والرموش المائلة إلى الاحمرار، وعينيها الوامضتين، وصوتها ذي النبرة الإيرلندية، ودرجة من الوقار الإيرلندي الأصيل. أظهرت السيدة جويس سعادتها بأنها وجدت من يمكنها التحدث معها بالإنجليزية، إذ إنها لم تفهم كلمة واحدة مما قيل. لو كان الحديث بالإيطالية على الأقل! عاش الزوجان جويس في تريبستي، ويعرفان التحدث بالإيطالية، حتى أنهما يتحدثانها في المنزل.

انقطع الحديث عندما دعانا سبير للجلوس على مائدة ممتدة وعليها عشاء بارد وشهي. وبينما كنا نأكل ونشرب، انتبهتُ إلى وجود ضيفٍ لم يقرب الشراب بتاتاً، وقاوم جهود سبير المتكررة لملء كأسه، وأخيراً، قلب الضيف كأسه رأساً على عقب، منهياً بذلك الأمر. كان الضيف هو جيمس جويس، الذي احمر وجهه خجلاً بعدما صف له باوند كل زجاجات الشراب على المائدة أمام طبقه. بدأت أدريان مونييه بعد العشاء

بمناقشة جوليان بيندا<sup>1</sup> عن آرائه بشأن كبار الكتاب من تلك الفترة. تحلّق جمع من المستمعين حول الطرفين، حاملين أكواب قهوتهم. كان هجوم بيندا موجّهاً إلى فاليري، وجيد، وبول كلوديل وآخرين. تجوّلت داخلَ غرفة صغيرة اصطفت فيها الكتب وصولاً للسقف، تاركة أدريان وهي تدافع عن أصدقائها. وهناك، وجدت جويس مسترخياً بين خزانتي كتب.

سألته مرتعشة: «جيمس جويس العظيم؟».

«جيمس جويس». أجاب.

تصافحنا بأن وضع يده الرخوة التي بدت وكأنها خالية من العظم على كفي الصغيرة والقاسية - إن كان بإمكاننا تسميتها بمصافحة.

كان جويس متوسط القامة، نحيفاً، محدودب الظهر إلى حد ما، وأنيقاً. عندما يلحظ المرء يدي جويس، سيجدهما هزيلتين جدّاً، وعلى الإصبعين الوسطى والبنصر في يده اليسرى خاتمين استقر عليهما حجرين ثقيلين. أما عيناه، فجميلتان بلونهما الأزرق الغامق، وذات التماعة تشي بالعبقرية، لكنني لاحظت أن مظهر عينه اليمنى بدا غريباً، والعدسة اليمنى لنظارته أكثر سُمكاً من العدسة اليسرى. أما شعره فكان كثيفاً ورملياً و متموّجاً ومسرحاً إلى الخلف، وجبينه مخطط على امتداد رأسه الطويل. ترك جويس انطباعاً برهافة الحس تحطت كل من عرفتهم قبله. أما بشرته، فكانت متفتحة، مع بعض النمش، أو بعض التورّد على الأصح، وعلى ذقنه لحية صغيرة، وأنفه ذو شكل حسن، وشفّاه نحيلتان. تصوّرتَه شديد الوسامة في فترة شبابه.

---

1 فيلسوف وروائي فرنسي (1867 - 1956).

سحرنى صوت جويس بنغماته الحلوة والشبيهة بمغنيّ ذي طبقة  
 تينور، ونطقه الصافي للكلمات لا مثيل له، إذ كان ينطق كلمات  
 مثل [كتاب] و[أنظر] هكذا: (بو-ك) و(لو-ك)، وأما الكلمات  
 التي تبدأ بـ «th» فينطقها بطريقة إيرلندية، والصوت إيرلندي النبرة  
 تحديداً، وعدا ذلك لا شيء يمكن أن يميّز لغته الإنجليزية عن لغة  
 الرجل الإنجليزي. عبّر جويس عن نفسه ببساطة، لكن، وكما لاحظت،  
 مع اعتناء بالكلمات والأصوات، ويعود ذلك جزئياً، بلا شك، إلى حبه  
 للغة ولأذنه الموسيقية، ويعود ذلك أيضاً، حسب ظني، إلى قضائه أعواماً  
 عديدة في تدريس اللغة الإنجليزية.

أخبرني جويس أنه وصل باريس تَوّاً، وأن إزرا باوند هو من اقترح  
 عليه الانتقال مع عائلته إلى هنا، والتقى جويس - عبر باوند - بمدام  
 لودميلا سافيتسكي<sup>1</sup>، التي أتاحت شقتها الواقعة في منطقة باسي لآل  
 جويس لبضعة أسابيع، مانحة إياهم وقتاً للبحث عن سكن خاص.  
 كانت مدام سافيتسكي من أوائل أصدقاء جويس في باريس، وترجمت  
 روايته صورة الفنان في شبابه (عنوان الرواية بالفرنسية: ديدالوس)<sup>2</sup>.  
 ومن أوائل أصدقاء جويس أيضاً كانت السيدة جيني برادلي<sup>3</sup>، والتي  
 ترجمت لجويس مسرحية «المنفيون».

1 كاتبة ومترجمة وممثلة روسية (1881 - 1957).

2 على اسم ستيفن ديدالوس، بطل الرواية.

3 وكيلة أدبية أميركية ( - 1886 1983).

سألني جويس: «ماذا تعملين هنا؟»، فحدثته عن شكسبير أند كومباني، واستلطف اسم المكتبة، وانفجرت شفتاه عن ابتسامة ساحرة، ثم أخرج دفتر ملاحظات صغير من جيبه. لاحظت بحزن، كيف قرّب الدفتر كثيرًا من عينيه، مدوّنًا اسم المكتبة وعنوانها، وقال إنه يوّد القدوم لرؤيتي هناك.

سمعنا نباح كلب فجأة، وشحب لون جويس، وارتجف فعليًا. صدر النباح عبر الجانب الآخر من الطريق. نظرت خارجًا من النافذة فرأيت كلبًا يجري وراء كرة. كان نباح الكلب مدويًا، ولكن، يمكنني القول إنه لم يعض أحدًا.

«أهو آت؟ أهو شرس؟» سألني جويس باضطراب، نطق شرس هكذا: «شررس». أكدت له أن الكلب لن يأتي للداخل، وأنه لا يبدو بتلك الشراسة، لكن جويس بقي متخوفًا ومرتاعًا مع كل نبحة. وأخبرني أنه يخاف الكلاب منذ سن الخامسة، حين عضّه أحد «الحيوانات» على ذقنه، مشيرًا إلى لحيته الصغيرة، قائلاً إنه تركها تنمو لإخفاء الندبة.

استمررنا بالتحدث، كان سلوك جويس في منتهى البساطة إلى درجة أنني نسيت أنني في حضرة أعظم كاتب في عصري، وشعرت بالارتياح معه. كنت واعية تمامًا بعبقريته في هذا اللقاء الأول وما تلاه من لقاءات، وأنه لا يمكنني التحدث مع أحد بالسهولة التي أتحدثها معه.

بدأ الضيوف بالمغادرة، وبحثت أدريان عني لتوديع آل سبير، وسألني أندريه سبير بعدما شكرته على حسن ضيافته ما إذا شعرت بالملل. ملل؟ لقد التقيت بجيمس جويس.



جاءني جويس في اليوم التالي سيرًا عبر الشارع الصغير والمنحدر  
ببدلة زرقاء داكنة، وقبعة سوداء استقرت في مؤخرة رأسه، وعلى قدميه  
النحيلتين حذاء ان ليسا أبيضين تمامًا. كان جويس يبرم عكازًا، وعندما  
رآني أحرق النظر إليه، قال إنها عصاة مصنوعة من رماد شتلات من  
إيرلندا، وأهداها له ضابط إيرلندي توقفت سفينته الحربية في ميناء  
تريستي. («ستيفن ديدالوس»، فكرت، «ما زالت عكازه معه»)<sup>1</sup>.  
لطالما كان جويس رثًا بعض الشيء، بيد أن تحمله كان حميدًا وسلوكه  
مبجل إلى درجة تندر أن يلحظ المرء ما يلبسه من ثياب. ترك جويس  
في كل مكان ذهب إليه أثرًا عميقًا في كل من قابله.

خطا جويس إلى داخل المكتبة، وأطل عن قرب على صور والت  
ويتمان وإدغار آلن بو، ثم نظر إلى رسمتي بليك، وأخيرًا، تفحص  
الصورتين اللتين أمتلكهما لأوسكار وايلد، ثم جلس بجانب طاولتي  
على الكرسي ذي الذراع الصغيرة غير المريح.

أخبرني جويس مجددًا أن باوند هو من أقنعه بالمجيء إلى باريس،  
وأنه يعاني الآن من ثلاث مشاكل: إيجاد سقف يأوي أربعة أشخاص،  
إطعامهم وإلباسهم، وإنهاء رواية يولييسيس. كانت المشكلة الأولى هي  
الأكثر إلحاحًا، إذ منحت مدام سافيتسكي شقتها لعائلة جويس لمدة  
أسبوعين، وعلى جيمس العثور على سكن آخر لعائلته قبل انقضاء المهلة.

ثم هناك المشكلة المالية، إذ أنفق جويس كافة مدخراته في الانتقال  
إلى باريس. لذا، فإن عليه العثور على تلاميذ. إن سمعت عن أناس  
يريدون دروسًا، فهل عليّ أن أرسلهم إلى البروفيسور جويس؟ الذي

---

1 إشارة إلى امتلاك بطل رواية جويس لنفس العكاز.

قال إنه تمتع بخبرة واسعة. عمل جويس في تريستي معلمًا بمدرسة بيرليتز للغات، وأعطى دروسًا خاصة، ودرّس في زيوريخ أيضًا. سألته «ما اللغات التي درّستها؟».

«الإنجليزية» أجاب.

«هذه طاولة، وهذا قلم»<sup>1</sup>. «ودرّست الألمانية أيضًا، واللاتينية، والفرنسية حتى». «وماذا عن اليونانية؟» سألته. لم يكن يعرف اليونانية القديمة، أما اليونانية المعاصرة فكان يتحدثها بطلاقة، إذ تعلمها من البحارة اليونانيين في تريستي.

كان واضحًا أن اللغات هي رياضة جويس المفضلة، وسألته كم لغة يستطيع التحدث بها. كانت تسع لغات على الأقل، وعددناهم، ف بجانب لغته الأم، فقد كان يتحدث الإيطالية والفرنسية والألمانية واليونانية والإسبانية والهولندية وثلاث لغات إسكندنافية؛ تعلم النرويجية كي يقرأ لإيسن<sup>2</sup>، ثم أتبعها بالسويدية ثم الدنماركية. وتحدث أيضًا اللغة اليديشية<sup>3</sup>، ويعرف القليل من العبرية. ولم يأتِ على ذكر الصينية واليابانية، لعله تركهما لباوند.

أخبرني جويس عن كيفية خروجه من تريستي عند اقتراب الحرب منها، ونجاته بأعجوبة، إذ أراد النمساويون اعتقاله بتهمة التجسس، ولكن صديقه - البارون رالي - استطاع أن يتدبر له تأشيرة سفر في

1 إجابة ساخرة من جويس عن تمكنه في الحديث بالإنجليزية.

2 هنريك إيسن: كاتب مسرحي نرويجي (1828 - 1906)

3 لغة يهود أوروبا، والأشكناز غالبًا.

الوقت المناسب كي يغادر إيطاليا برفقة عائلته، واستطاعوا الوصول إلى زيورخ، حيث ظلوا هناك حتى انتهاء الحرب.

تساءلت متى وجد جويس وقتًا للكتابة. في الليل، أجاب، وبعد الانتهاء من تقديم الدروس. وذكر أنه بدأ يشعر بالإجهاد في عينيه، وبدأت معاناته منذ وصوله إلى زيورخ، وشخصت إصابته بالجلوكوما الحادة. كانت هذه المرة الأولى التي أسمع بها بهذا المرض ذي الاسم الجميل. «عينا طائر البوم الرمادي الأثيني» حسب وصف جويس.

أجرى جويس عملية في عينه اليمنى، ولعلي لاحظت سماكة العدسة اليمنى لنظارتها، فوصف العملية بأسلوب مبسّط (لاحظت اعتياده على شرح الأمور للطلبة المتواضعين دراسيًا من أمثالي). ورسم لي أيضًا موضحًا طريقة إجراء العملية. وبحسب رأيه، كان من الخطأ إجراء العملية في منتصف نوبة التهاب المفاصل، ونتيجة لذلك، حسب ظنه، فإن عينه أصابها الضعف.

ألم تكن الكتابة صعبة بالنسبة إليه، مع هذه المشكلة في عينه؟ ألم يملِ على أحد ما يكتبه؟ «أبدًا»، أجاب متعجبًا. فهو دائمًا ما يكتب بيده، وأحب أن يكون متكتمًا. لطالما كنت متشوقة لسماع أخبار يوليسيس، فسألته ما إن أحرز تقدمًا في كتابتها. «أحرز تقدمًا»، أجاب (الرجل الإيرلندي لا يجيب أبدًا بكلمة «نعم») مضى على اشتغاله بالكتاب سبعة أعوام وكان يحاول إنهاءه. كان يمضي في كتابته حال استقراره في باريس.

واتضح لي أن السيد جون كوين، المحامي الأميركي - الإيرلندي اللامع والمقيم في نيويورك، كان يشتري مخطوطات يوليسيس دفعة بعد أخرى، وبمجرد ما أن يُكمل جويس دفعة، حتى يرسل بنسخة مصححة إلى كوين، الذي يرسل بدوره إلى جويس المبلغ المتفق عليه عبر دفعات أعانت جويس على العيش رغم ضآلتها.

ذكرت لجويس مجلة ليتل ريفيو<sup>1</sup>، وسألته ما إذا نجحت مارغريت أندرسون<sup>2</sup> في جهودها لنشر يوليسيس؟ وهل تعرضت الرواية للرقابة؟ بدا جويس قلقاً، فالأخبار من نيويورك بدت تنذر بالخطر، وقال إنه سوف يبقيني على اطلاع.

سألني جويس قبل خروجه من المكتبة عن طريقة الانتساب لخدمة الاستعارة، واستل من الرف نسخة من «الراكبون إلى البحر»<sup>3</sup> مبدياً رغبته في استعارتها، وقال إنّه ترجم المسرحية إلى الألمانية كي تؤديها فرقة مسرحية صغيرة أشرف على تنظيمها في زيورخ.

دوّنت: «جيمس جويس، رقم 5 شارع لوسومبشن، باريس. اشتراك لشهر واحد، سبعة فرنكات». وودعنا بعضنا بعضاً.

تأثرت كثيراً بعدما علمت من جويس عن الظروف التي أحاطت بعمله طيلة هذه السنوات.

- 
- 1 مجلة أدبية أميركية (1914 - 1929).
  - 2 مؤسسة ومحركة وناشرة مجلة ليتل ريفيو (1886 - 1973).
  - 3 مسرحية للكاتب الإيرلندي جون ميلينغتون سينغ (1871 - 1909).

أصبح جويس فردًا من عائلة شكسبير أند كومباني وعضوها الألمع، وغالبًا ما تواجد في المكتبة. بدا واضحًا أنه استمتع بصحبة أبناء بلدي، وأسر لي بأنه أحبنا وأحب لهجتنا، ومن المؤكد أنه قد استخدم العديد من الكلمات الأميركية العامية في كتبه.

التقى جويس في المكتبة بالعديد من الكتاب الشباب الذين أصبحوا أصدقاءه: روبرت مكالمون ووليام بيرد وإيرنست هيمنغواي وآرشيالد ماكليش<sup>1</sup> وسكوت فيتزجيرالد والمؤلف الموسيقي جورج أنتيل. كان جويس بمثابة الإله بالنسبة إليهم، بيد أن سلوكهم تجاهه نابع من صداقة أكثر من كونه تبجيلًا.

أما جويس، فقد عامل الناس دومًا بوصفهم نظراء له، سواء أكانوا كتّابًا، أطفالًا، نُدلاً، أميرات أو خادمات. وبدا كل ما يقوله أحدهم له مثيرًا لاهتمامه، وأخبرني مرة أنه لم يلتق أبدًا بشخص مضجر. وأجده في بعض الأوقات يستمع بانتباه إلى حارسة المبنى ريثما ينتظر وصولي للمكتبة، وعندما يصل بواسطة أجرة، فإنه لا يخرج من المركبة حتى ينتهي السائق من كلامه. أذهل جويس الجميع، ولم يستطع أحد أن يقاوم جاذبيته.

أحببت رؤية جويس وهو يسير في الشارع يبرم عكازه، وقبعته على الجزء الخلفي من رأسه. «يسوع الحزين»، كان هذا لقبه الذي اعتدنا أنا وأدريان مونييه أن نناديه به، وتعلمت هذا التعبير من جويس نفسه، وتعلمت منه أيضًا «يسوع المخادع» (أو «المخا - دع» كما يلفظها).

---

1 شاعر وناقد أميركي (1892 - 1982).

وكانت لجويس طريقة مسلية في تجعيد وجهه ليجعله أشبه بالقرد،  
وأما طريقته بالجلوس، فيمكنني وصفها بالـ «مفككة».

اعتاد جويس على إبداء التعجب في كثير من الأحيان (لقبته ابنته  
بـ «المتعجب») بيد أن لغته كانت دومًا معتدلة، وتخلو من السباب أو  
الحد الأدنى من الفظاظ. وكانت كلمته المفضلة لإبداء التعجب هي  
الكلمة الإيطالية «جيا!» ترافقها تنهيدة طويلة. وكان سلوكه أحيانًا في  
التعبير عن نفسه؛ إذ لم يستخدم صيغ التفضيل. حتى في أسوأ الأحداث  
كان يكتفي بقول «متعب» بدلًا من «متعب جدًا»، «متعب» وحسب.  
أظنه كان يكره استخدام كلمة «جداً». سمعته يشكو مرة: «لماذا نقول  
جميلة جدًا؟ كلمة جميلة تكفي».

دائمًا ما كان جويس مهذبًا وشديد المراعاة لمشاعر الآخرين. واعتاد  
أبناء وطني غير المتقيدين بالسلوك المهذب أن يأتوا ويغادروا المكتبة  
دون تحية أحد أو توديعه، كما لو أن المكتبة محطة قطار، وعندما كانوا  
يحيون أحدًا، فإنهم يكتفون بـ «مرحبًا هيم» أو «مرحبًا بوب». ففي  
هذا المحيط غير الرسمي، كان وحده جويس شديد الرسمية. في الوسط  
الأدبي الفرنسي، جرى العرف على مناداة الكتاب بأسمائهم الأخيرة.  
وعلى الرغم من شخصيات مثل السيد تيس<sup>1</sup> والسيد شارلوس<sup>2</sup>، إلا  
أنك لا تفكر أبدًا بمناداة تلك الشخصيتين بالسيد فاليري والسيد  
بروست، وإن كنت أحد مريديهم فستناديهما بـ «الأستاذان». ودائمًا ما

1 شخصية متخيلة في كتاب بول فاليري بالعنوان ذاته (1896) ويجري المؤلف معها حوارًا متخيلاً عن الفكر والوجود.

2 البارون شارلوس: شخصية ظهرت في المجلد السابع من رواية مارسيل بروست (البحث عن الزمن المفقود).

كان فاليري ينادي أدريان بـ «مونييه» ويناديني بـ «سيلفيا» كحال بقية الأصدقاء الفرنسيين. أعلم أن هذا العرف قد صدم جويس، وحاول بلا جدوى أن يخاطبنا بـ «الآنسة بيتش» و«الآنسة مونييه»، بيد أنه لم يدع أحدًا يتجرأ على مخاطبته بلقب آخر عدا «السيد جويس»!

كان السيد جويس طريفًا إلى حد ما في تطرقه إلى أمور معينة أمام السيدات، ويحمر وجهه خجلًا من القصص التي يحكيها ليون بول فارغ إلى الجمهور المختلط في مكتبة أدريان. أما السيدات، واللاتي يعشن في بلد لا يختلي رجاله بأنفسهم، فلم ينزعجن إطلاقًا. أنا متيقنة من أن جويس قد ندم على إطلاع السيدة اللطيفة محررة أعماله على هذه الأمور، وأخشى أنني تأقلمت على جلسات فارغ.

على الرغم من ذلك، إلا أن جويس لم يعترض على وضع يولييس بين أيدي النساء، أو النساء اللاتي سينشرنها.

كان جويس يأتي يوميًا إلى المكتبة، بيد أنه عليّ زيارة منزله كي أقابل بقية أفراد عائلته وأعجبت بهم جميعًا: جورجيو، بفظاظته وإخفاء أو محاولة إخفاء مشاعره، ولوسيا، صاحبة روح الدعابة في العائلة. لم يكن الاثنان سعيدين بالظروف الغريبة التي تربيا فيها. ونورا، الزوجة والأم، السليطة عليهم، بما فيهم زوجها، بسبب كسلهم. راق لجويس منح نورا له لقب «الذي لا يجيد شيئًا»؛ كانت فسحة راحة له من سلوك الآخرين المحترم معه، وكان يستمتع بدفعها ولكزها له.

لم تكن لنورا علاقة مع الكتب، وهذا أيضًا ما أعجب زوجها بها. وصرحت لي بأنها لم تقرأ صفحة من «ذلك الكتاب» مشيرة إلى يولييس. لا شيء كان يحثها على فتح الكتاب. ارتأيت أنه ليس ضروريًا أن تقرأ نورا يولييس، ألم تكن هي مصدر إلهامه؟ تدمرت نورا

من أن زوجها لم يتوقف عن الخريشة قط.. إذ تراه كل صباح وهو على السرير يحاول الوصول إلى الورقة وقلم الرصاص على الأرض من دون أن يعلم كم الساعة! وكيف استطاعت أن تحافظ على الخادمة عندما غادر المنزل في اللحظة التي كانت تضع بها طعام الغداء على المائدة؟ «انظري إليه الآن! يتمدد على السرير ويخريش!» وقالت إن الطفلين أيضًا لا يمدان يد العون لها. «عائلة لا تجيد شيئًا!». عندئذ، تنفجر العائلة التي لا تجيد شيئًا ضاحكةً، بمن فيهم جويس. بدا أن لا أحد كان يأخذ بتوبيخات نورا على محمل الجد.

اعتادت نورا أن تقول لي إنها نادمة على عدم الارتباط بمزارع أو مصرفي، أو حتى بتاجر للملابس المهترئة، بدلًا من الارتباط بكاتب. قالت ذلك وهي تقلب شفيتها بازدياد. بيد أن اختيار نورا لجويس كان أمرًا صالحًا بالنسبة له. إذ فكرت، بأنها قد اختارته، وما الذي يمكن لجويس فعله من دون نورا؟ وكيف لعمله أن ينجز من دونها؟ فزواجه من نورا هو من أفضل ضربات الحظ التي أصابته، والمؤكد أن زواجه هو من أسعد الزيجات من بين الكتاب الذين عرفتهم. تأثرت كثيرًا بجهود جويس في أن يكون زوجًا صالحًا ومواطنًا محترمًا، «المواطن جويس»، كما لقبه شيروود أندرسون. لم تتسق هذه الشخصية مع شخصية الفنان في الصورة<sup>1</sup>، بيد أنها ساعدت على فهم رواية يولييسيس. إذ كان مثيرًا للاهتمام رؤية ستيفن<sup>2</sup> وهو يتقهقر ويخفت، بينما يظهر بلوم<sup>3</sup> ويبرز أكثر فأكثر، ليستولي أخيرًا على المشهد كاملاً. شعرت أن جويس قد

1 إشارة إلى رواية (صورة الفنان في شبابه) لجويس.

2 ستيفن ديدالوس: شخصية ظهرت في روايتي (صورة الفنان في شبابه) و(يولييسيس).

3 ليوبولد بلوم: الشخصية الرئيسة في رواية (يولييسيس).



فقد الاهتمام بستيفن وكان السيد بلوم هو من حال بينهما. وعلى كل حال، فإن هناك الكثير من جويس قد تجسد في بلوم.

كانت مخاوف جويس حقيقية إزاء العديد من الأشياء، رغم أنني أعتقد بأن تلك المخاوف قد غرست فيه لكي تتوازن مع انعدام الخوف في شخصيته. وبدا أنه قد خشي من «اصطياده» بهذه الحالة من قبل الرب القدير. لا بد من أن اليسوعيين قد نجحوا في زرع الخوف من الرب في داخله. رأيت جويس، وهو ينكمش في صالة شقته عندما تدوي عاصفة رعديّة حتى تنتهي. كان يخاف من المرتفعات، البحر، والعدوى. ثم يأتي دور الخرافات، والتي تشاطره فيها عائلته. فرؤية راهبتين في الشارع تعني سوء الطالع (وفي مناسبة رأى فيها راهبتين كان جويس يستقل مركبة أجرة اصطدمت مع مركبة أخرى)، والأرقام والتواريخ إما أن تكون جالبة للحظ أو العكس. واعتبر فتح مظلة في داخل المنزل ووضع قبعة رجالية على السرير من علامات الشؤم. وعلى النقيض من الآخرين، كان يعتبر القطط السوداء جالبة للحظ. وفي يوم زرت فيه العائلة، رأيت نورا وهي تحث قطة سوداء على دخول غرفة النوم حيث يرقد زوجها، الذي يراق بدوره جهود زوجته بقلق عبر الباب المفتوح. لم يكتفِ جويس باعتبار القطط جالبة للحظ، بل أحب وجودها حوله. وذات مرة، انزعج جويس كما ابنته من سقوط قططها الصغيرة من نافذة المطبخ.

وعلى النقيض من القطط، لطالما اشتبه جويس بشراسة الكلاب. واعتدت أن أخرج كلبى الأبيض الصغير والبريء بعجالة من المكتبة قبل أن يصل جويس. ولم تفد محاولاتي في تذكيره ببطله أوديسيوس، والذي فرح كلبه المخلص أرغوس كثيرًا بعد رؤيته عائداً إليه. ولم يعلق جويس سوى بعبارة التعجب «جيا!» وهو يضحك.

وبأفكاره الأبوية، ندم جويس على عدم إنجابه لعشرة أطفال. كان قد كرس نفسه لطفليه، ولم يستغرق كثيرًا في عمله من أجل أن يحفز طفليه على إنجاز أعمالهما. وكان فخورًا جدًا بجورجيو، أو «جورجي» كما أسمته والدته، وبصوته الحسن. تمتع جميع أفراد آل جويس بأصوات غنائية، ولم ينقطع جويس الأب عن ترديد ندمه باختياره الكتابة عوضًا عن امتهان الغناء. «لعلني سأتفوق أكثر في الغناء». «ربما، لكنك أبلت حسنًا في الكتابة»، أجبت.

## شكسبير أند كومباني للنجدة

كان مصير يولييسيس هو هم جويس الرئيس آنذاك. كانت فصول الرواية ما زالت تظهر، أو تحاول الظهور، في مجلة ليتل ريفيو، لكن المستقبل بدا مظلمًا للاتنين معًا: الكتاب والمجلة.

في إنجلترا، قاتلت الأنسة هاربيت ويفر<sup>1</sup> وخسرت المعركة من أجل يولييسيس. كانت الأنسة ويفر من الرعاة الأوائل لجويس، عبر نشرها لصورة الفنان في شبابه في مجلتها ذا إيجويست<sup>2</sup>، مسجلة بذلك الاعتراف الأول بالكاتب الإيرلندي الجديد جيمس جويس، والذي اكتشفه إزرا باوند، رجل الاستعراض الكبير وزعيم العصاة التي تسكعت في أرجاء مجلة ذا إيجويست وضمت عددًا من الشخصيات «المشوهة» مثل ريتشارد ألدينغتون<sup>3</sup> وهيلدا دوليتل<sup>4</sup> وتي. أس. إليوت وويندهام لويس<sup>5</sup> وآخرين.

1 ناشطة سياسية إنجليزية ومحرة صحفية (1876 - 1961).

2 مجلة أدبية إنجليزية (1914 - 1919).

3 كاتب وشاعر إنجليزي (1892 - 1962).

4 شاعرة وروائية أمريكية (1886 - 1961).

5 كاتب وناقد إنجليزي (1882 - 1957).

تركت صورة الفنان في شبابه انطباعاً عظيماً في إنجلترا، حتى أن ه.ج. ويلز أشاد علناً بالرواية، وأرادت الآنسة ويفر أن تهدي لمشتركي مجلتها رواية «السيد جويس» الثانية: يولييسيس. ظهرت خمسة أجزاء من الرواية بمجلة ذا إيجويست عام 1919، ولم تصل الرواية إلى أبعاد من الحلقة العاشرة (صخور التيه). عانت الآنسة ويفر من مشاكل تتعلق بالطباعة، وتلقت بجانب ذلك رسائل من مشتركين يشكون بأن يولييسيس لا تليق بمجلة فصلية مكانها على منضدة صالة المعيشة وتُقرأ من قبل العائلة، حتى أن بعضهم ألغوا اشتراكاتهم بالمجلة.

ضحت الآنسة ويفر بالمجلة عوضاً عن الاستسلام للاعتراضات على نشر يولييسيس في مجلة فصلية، وحوّلت مجلة ذا إيجويست إلى ذا إيجويست للنشر «في ليلة وضحاها» كما عبرت. وكان هدفها الوحيد من هذه النقلة هو نشر كافة أعمال جيمس جويس، وأعلنت عن «اقتراب نشر يولييسيس»، بيد أنها لم تستطع إكمال خطتها.

حاولت الآنسة ويفر أن تخرج صورة الفنان في شبابه على هيئة كتاب، ولكنها لم تستطع إيجاد مطبعة تتولى تنفيذ ذلك؛ كانت المطابع الإنجليزية حذرة إزاء اسم جويس. لذا اتفقت [ويفر] مع ناشر جويس في نيويورك، السيد هوبش، بأن يرسل إليها ملزمات الطبعة الأميركية كي تصدر لاحقاً تحت اسم ذا إيجويست.

شرحت لي الآنسة ويفر سبب تطلب المطابع الإنجليزية، ووجدت احتراماتهم مقبولة؛ ففي حالة اعتراض السلطات على كتاب ما، فإن المطبعة تتحمل المسؤولية مثل الناشر وسيتعيّن عليها حينها دفع غرامة. لا عجب أن يدقق صاحب المطبعة على كل كلمة قد توقعه في مشكلة.

وأراني جويس مرة نسخة من الطبعة الجديدة لصورة الفنان في شبابه قام بتدقيقها السيد جوناثان كيب<sup>1</sup>، وأتذكر دهشتي من استفسارات صاحب المطبعة والموضوعة على الهوامش.

رأت الآنسة ويفر أن الصعوبات سوف تكون أكبر إن استمرت في جهودها لإصدار يوليسيس، ولم ترَ بريق أمل، في الحاضر على الأقل، بالنجاح في مهمتها. زيادة على ذلك، فقد حذرنا أصدقائها من الوقوع في مشاعر البغض. ولذلك، جالت يوليسيس عابرة البحار وصولاً إلى مجلة ليتل ريفيو، ووقعت في المشاكل مجدداً. ووقع تقائل كبير بين ليتل ريفيو والسلطات الأمريكية، وجلب لي جويس أخباراً مزعجة من ساحة المعركة.

لم تُكسر شوكة محررتي المجلة، مارغريت أندرسون وجين هيب، رغم مصادرة المجلة في ثلاث مناسبات من قبل مكتب البريد الأمريكي بدعوى نشر الفاحشة. بيد أن المصادرة الرابعة، والتي حرض عليها جون س. سومر، العضو في جمعية منع الرذيلة، قد وضعت نهاية للمجلة. وحوكمت الآنستان أندرسون وهيب بتهمة نشر مطبوعات تدعو إلى الفاحشة. وبفضل الدفاع المتميز للمحامي جون كوين عنهما، فقد حُكم عليهما بغرامة قدرها مئة دولار، ولكنهما كانتا مفلستين. كان مُحزناً اختفاء واحدة من أكثر المجالات حيوية في تلك الفترة! جاءني جويس بالخبر، وكانت ضربة قوية له، وشعرت أنا أيضاً، بأن كبرياءه قد أُصيب. وقال بنبرة محبطة: «لن يخرج كتابي الآن أبداً».

مكتبة  
t.me/soramnqraa

1 ناشر إنجليزي (1879 - 1937).

تبدد كل أمل بنشر الكتاب في البلدان الناطقة بالإنجليزية لفترة طويلة قادمة. وجلس جويس هنا في مكتبي الصغيرة وهو يتهدد بعمق. وطراً في بالي أن شيئاً يمكن القيام به، وسألت: «هل ستمنح شكسبير أند كومباني شرف إصدار روايتك يوليسيس؟».

قبل عرضي فوراً وبفرح. ظننت أنه قد تسرع في أن يعهد بروايته العظيمة يوليسيس إلى ناشرة صغيرة وغريبة. لكنه بدا مبتهجاً، وأنا كذلك. وافترقنا على وقع شعور بالحركة أخيراً، إذ كان عليه أن يأتي في اليوم التالي لسماع رأي أدريان مونييه - «مستشارة شكسبير أند كومباني» كما كان يلقبها - بشأن خطتي في نشر الرواية. دائماً ما استشرت أدريان قبل اتخاذ أي خطوة مهمة. وكانت مستشارة حكيمة، وكانت، بشكل ما، بمثابة شريكة في العمل.

استحسنت أدريان فكرتي، وسمعت مني الكثير عن جويس، ولم تكن لدي مشكلة في إقناعها بأهمية إنقاذ يوليسيس. سررت برؤية جويس مبتهجاً عندما عاد في اليوم التالي. وبالنسبة إليّ، لكم أن تتخيلوا قدر سعادتني بأنني وجدت نفسي وعلى نحو مفاجئ ناشرة للعمل الذي قدرته أيما تقدير. ظننت أنني كنت محظوظة.

لم تردعني ضآلة رأس المال، الخبرة، وكل المقتضيات الأخرى للناشر، فباشرت العمل على يوليسيس على الفور.

جاء لرؤيتي صاحب المطبعة الذي تتعامل أدريان مونيه معه: السيد موريس دارانتير، الذي لُقّب ووالده من قبله بـ «أساتذة الطباعة»، إذ طبعت أعمال ويسمانس<sup>1</sup> والعديد من الكتاب المعاصرين حينها من قبل دارانتير في ديجون<sup>2</sup>.

اهتم دارانتير بما قلته عن منع يوليسيس في البلدان الناطقة بالإنجليزية. وأعلنت رغبتني في إخراج هذا العمل من فرنسا، وسألته إن كان يود طباعته، وكاشفته عن وضعي المالي في نفس الوقت، محذرة من أنه ليس في مقدوري دفع تكاليف الطباعة حتى تصلني مبالغ اشتراكات المكتبة - هذا إن وصلت. كان على العمل أن يُنجز وفقاً لهذا التفاهم. وافق موريس دارانتير على طباعة يوليسيس بهذه الشروط. عليّ أن أقول كم كان لطيفاً منه!

تردد جويس على المكتبة باستمرار ليقبى على صلة بالأحداث خطوة بخطوة. وسألته عن اقتراحاته، والتي عادة ما أخذتُ بها. ولكن ليس على الدوام؛ فعلى سبيل المثال، ظن أنه ستكون هنالك دزينة أو أكثر من النسخ الزائدة من الكتاب، فقلت له بصرامة: ستطبع ألف نسخة فقط. (بلا نسخ زائدة).

طبعت نشرة إعلانية أعلن فيها عن نشر رواية يوليسيس، لجيمس جويس، «كاملة كما كُتبت» (النقطة الأهم في الإعلان) من قبل شكسبير أند كومباني في باريس، وذلك في «خريف عام 1921».

1 جوريس - كارل ويسمانس: روائي فرنسي (1848 - 1907).

2 عاصمة إقليم بورغندي في شرق فرنسا.

وذكرت النشرة الإعلانية أن الطبعة ستكون محدودة بعدد 1000 نسخة: 100 منها ستكون مطبوعة على الورق الهولندي وموقعة من قبل المؤلف بسعر 350 فرنكًا، 150 نسخة ستطبع على ورق آشر<sup>1</sup> بسعر 250 فرنكًا، وأما بقية النسخ 750 فستكون مطبوعة على الورق العادي وبسعر 150 فرنكًا. ووضعت على النشرة صورة للمؤلف بحجم طابع البريد وبدا فيها نحيلًا وملتحياً - التقطت الصورة في زيورخ - ومقتطفات من مقالات لنقاد تلقفوا يوليسيس في ظهورها الأول بمجلة ليلت ريفيو. وعلى الصفحة الخلفية من النشرة كانت هناك صفحة فارغة كي يكتب المشترك اسمه وخياره من أنواع النسخ التي يريدتها. كانت أدريان، التي مارست مهنة النشر، هي من بادرت بتعريفي على العالم الغامض للنسخ ذات الإصدار المحدود، وذلك أمر كنت أجهله، فظهرت النشرة الإعلانية بشكل احترافي بفضلها. قد تظنون أنني كنت خبيرة في هذه الأمور.

وجلب لي السيد دارانتير نماذج من أفضل أنواع الورق التي لديه وعيّنة من حروف الطباعة التي اشتهر بها، وتعلمت للمرة الأولى القواعد التي تحتكم إليها النسخ الفاخرة من الإصدارات.

كنت في حينها ما أزال في مرحلة مبتدئة من العمل في بيع الكتب، وإدارة خدمة الاستعارة أيضًا، ويحوم حول المكان كتاب شباب مع مشاريعهم الناشئة. وفجأة، وجدتني ناشرة كذلك، ويا له من كتاب الذي بدأت فيه مشروعني هذا! وحن الوقت للبحث عن من يساعدني في العمل. الآنسة ميرسيني موسكوس، فتاة يونانية فاتنة، وعضو في

---

1 ورق مجفف بالهواء، ولونه أبيض مائل إلى الاصفرار، وسمي تيمناً بقرية آشر الفرنسية.



خدمة الاستعارة، قالت إنَّها تود أن تساعدني. كانت الوظيفة ذات راتب ضئيل، وبذلت ما استطعت لثني الآنسة موسكوس من قبول الوظيفة، مشيرة إلى أنها قد تجد عملاً أفضل، بيد أنها حسمت أمرها وظلت مصرَّةً على المجيء، كان من حسن حظ شكسبير أند كومباني.

ابتهج جويس بسماعه عن مساعدتي اليونانية، ظانا بأنها فال حسن ليوليسيس. سواء أكانت فألاً أو لا، سعدت بأني سأحظى بشخص يساعدني، ويا لها من شخصية رائعة تلك التي تساعدني. عملت ميرسيني بجانبني لتسعة أعوام. كانت ميرسيني بوصفها مساعدة لا تقدر بثمن، ومهتمة بقدر ما أنا كنت مهتمة بكل ما يجري، ولا تهاب العمل اليدوي، والذي يتطلب قدرًا كبيرًا منه في المكتبة، ولا تهاب العمل الأصعب والأدق، أي التعامل مع الزبائن وفهم احتياجات أعضاء خدمة الاستعارة، تلك الخدمة التي تتطلب قدرًا كبيرًا من التفهم.

ومن أكبر النعم التي حظيت بها ميرسيني هي عائلتها الكبيرة من الشقيقات، واللاتي يمكننا دومًا الاستعانة بهن في ساعة الحاجة. هيلين، الشقيقة الأصغر من بين فتيات آل موسكوس، قامت بدور الرسول بين المكتبة وجويس. كانت تنطلق صباحًا ومعها حقيبة متخمة بالرسائل البريدية، الكتب، تذاكر المسرح وأشياء أخرى، وتعود مع حمولة أخرى بذات الثقل. لطالما انتظر جويس من أسماها بـ «الخطوة المدوية» - إذ كانت هيلين ذات خطوات ثقيلة بالنسبة إلى شخص ضئيل مثلها. وعندما تنتهي من عملها بالمراسلات، كان جويس يستبقي هيلين لتقرأ له المجلات بصوت عالٍ، وكان مهتمًا بطريقتها في التهجئة أكثر مما كان مهتمًا بالمقال نفسه، فمثلًا، كانت تنطق اسم و.ب. بيتس هكذا: «دوبليفي في ياتس».

أما الدكتور موسكوس، والد ميرسيني، فكان طبيياً جَوَّالاً. إذ جال بقدر ما جال أوديسيوس، وأنجب تسعة أبناء في العديد من البلدان. عرفني الدكتور موسكوس على رجل تفوق على يولييسيس<sup>1</sup> بالدهاء، ولكنه دهاء يرتد على صاحبه كعصا البوميرانغ. كان الرجل أصم كالصخر، ولكنه لم يكن كذلك دائماً، وتظاهر بالصمم للتهرب من إلحاقه بالخدمة العسكرية. وأعفي من الخدمة، ولكنه أبقى على صممه لبعض الوقت تحسباً حتى يشعر بالأمان. وفي اللحظة التي انتفت فيها الحاجة للتظاهر بالصمم، وجد نفسه فاقد السمع إلى الأبد. لا أعلم ما إن كانت تلك الحالة المحيرة قد سمع عنها أصحاب العلم، أو أن مختصاً في السمع قد يصدقها أو لا، لكنها قصة حقيقية.

حظيت ميرسيني بالعديد من الأصدقاء من البلدان الشرقية، ومن بينهم أمير شاب وورث لعرش كمبوديا قدم إلى باريس لدراسة الطب، وغير ذلك الرجل اسمه من ريتاراسي إلى يولييسيس تيمناً بتحفة جويس.

## مشتركٌ مفقود

بدأت طلبات المشتركين لنسخ يولييسيس بالوصول سريعاً، وكُذِّست الطلبات وفقاً لجنسيات المشتركين، ومن بينهم جميع زبائني والعديد من زبائن أدريان. لم يخرج أحد من شارع أوديون من دون أن يشترك. وأذهلني بعض من أصدقاء أدريان من الفرنسيين عندما اعترفوا بأن مفردات اللغة الإنجليزية لديهم محدودة ولكنهم يعلقون آمالهم على قراءة يولييسيس لتوسعة مفرداتهم. حتى أندريه جيد، أول من أسرع إلى المكتبة لتعبئة ورقة الاشتراك من أصدقائنا الفرنسيين، لا بد وأنه

1 الإشارة هنا إلى أوديسيوس، واسمه يولييسيس في الإغريقية، لا رواية جويس.

وجد صعوبة في قراءة يوليسيس، على الرغم من أنه دائماً ما حمل معه كتاباً بالإنجليزية في جيبه. بيد أنني متأكدة، أن مجيء جيد من فوره للاشتراك لم يكن من أجل اقتناء يوليسيس بقدر رغبته في إظهار الود، كما فعل دومًا، مع أي شأن من شؤون شارع أوديون. دائماً ما كان جيد يعبر عن دعمه لقضية حرية التعبير في كل مناسبة. لم أتفاجأ ببادرة جيد، ووجدتها مؤثرة جداً، وقالت أدريان إنها صفة مميزة في شخصه. وأثار إزرا باوند ضجة بعدما أودع ورقة اشتراك حملت توقيع و.ب. بيتس. وحجز إيرنست هيمغواي عدة نسخ من الكتاب.

ثم جاء روبرت مكالمون، والذي لم يكل من تمشيظ الأندية الليلية بحثاً عن المشتركين، وفي كل صباح، وفي طريق عودته إلى المنزل، كان يترك لنا «حفنة متسعة»<sup>1</sup> من طلبات الاشتراك، والتي وُقعت بعضها بخطوط متعرجة. عندما صدرت يوليسيس، التقيت بأناس تفاجؤوا من أنهم وجدوا أنفسهم مشتركين، ولكنهم سرعان ما يبتهجون حالما يشرح مكالمون لهم الأمر.

مع مرور الوقت، بدأت بالتساؤل لماذا لم أجد اسم برنارد شو على قائمة المشتركين ليوليسيس. ثمة سببان لاعتقادي بأن برنارد شو قد سجل اسمه، أولاً: على الجانب الثوري ليوليسيس أن يثير اهتمامه، والثاني: علمه بظروف جويس، ولعلمي أنه لن يمتنع عن مساعدته، وأن مساعدة زميله في الكتابة ستكون على هيئة اشتراك. ثمة سبب لاعتقادي بذلك، فالسيد شور رجل لطيف، إذ ذكرت لي السيدة ديسموند فيتزجيرالد<sup>2</sup>، والتي عملت سكرتيرة لبرنارد شو، أنه يتمتع بكرم استثنائي ويقوم به بالخفاء.

1 إحالة إلى مجموعة قصصية لمكالمون بعنوان (حفنة متسعة) نُشرت في عام 1922.

2 لا علاقة لها بالكاتب سكوت فيتزجيرالد.

أخبرت جويس عن نيتي إرسال نشرة إعلانية إلى برنارد شو، وبأنني متيقنة بأنه سيشارك من فوره. وهنا علق جويس ضاحكاً: «لن يشارك أبداً». ظلت على رأبي.

«أترهين على ذلك؟» سألتني جويس. نظرت إليه.

قررت إن فاز هو بالرهان سيحظى بصندوق من السيجار صغير الحجم المفضل لديه من شركة فولتيجيرز، وإن كسبت أنا فسأطلب مندبلاً حريراً (لتجفيف عيني؟).

تلقيت بعدها رسالة من برنارد شو - وسمح لي بنشرها:

السيدة العزيزة

قرأت أجزاء من يوليسيس في شكلها المتسلسل. إنها تسجيل مثير للاشمئزاز لمرحلة مقززة من الحضارة الإنسانية، بيد أنها سجلٌ صادق، وأود أن أحيط دبلن بحبل، ومحاصرة كل ذكر يبلغ من العمر بين 15 و30 عامًا، وإجبارهم على قراءة كل هذه البذاءة والعقلية الكريهة والفحش، والتي تروق لك بوصفها فنًا. قد تكونين على الأرجح (فأنا كما ترين لا أعرفك) شابة همجية أغوتها الإثارة والحماس اللذان يضرهما الفن بشكل ملموس، ولكنها بالنسبة إليّ محض واقع بشع: إذ إنني قد سرت في تلك الشوارع وأعرف تلك المحال واستمعت وشاركت في تلك النقاشات. وهربت من كل ذلك إلى إنجلترا في العشرين من عمري، وبعد أربعين عامًا علمت من كتب السيد جويس أن دبلن ظلت على ما كانت عليه، وأن الشباب ما زالوا ينطقون الهراء بألسنتهم البذيئة والمشدوهة تمامًا كما لو أنهم في عام 1870. ولكن، ثمة عزاء في أن نجد شخصًا تمتع بشعور عميق لمجابهة الرعب من كتابة كل هذا، مستغلًا عبقريته الأدبية لإجبار الناس على مواجهة الحقيقة. ففي إيرلندا

يمرغ الناس أنف القطة في قذارتها كي تصبح نظيفة، وجرب السيد جويس ذات العلاج على الإنسان. وآمل أن ينجح في ذلك.

أنا مدرك بأن هنالك صفات ومقاطع أخرى في يوليسيس، ولكنها لا تستدعي أي تعليق خاص من قبلي. عليّ أن أضيف، بما أن النشرة الإعلانية تلمح للدعوة إلى شراء الكتاب، فإنني رجل إيرلندي عجوز، وإن تخيلت يوماً أي رجل إيرلندي، ناهيك عن كونه عجوزاً، قد ينفق 150 فرنكاً لشراء كتاب كهذا، فإنك تعرفين القليل عن أبناء جلدتي.

المخلص

ج. برنارد شو

كان جويس محقاً إذن، وكسب صندوق سيجار فولتجيرز. رأيت أن رسالة شو مسلية ومميزة. وأضحكني وصفه لي بـ «الشابة الهمجية التي أغوتها الإثارة والحماس اللذان يضرهما الفن بشكل ملموس». وبدا لي أن شو قد واجه صعوبة في التعبير عن رأيه إزاء يوليسيس، أمّا بخصوص اقتنائه لنسخة خاصة، فلم يكن ملزماً بذلك. بيد أنني أعترف بشعوري بخيبة الأمل.

توقفت عن الحديث بالموضوع، بسبب انشغالي الشديد. وتولى إزرا باوند الموضوع لاحقاً كما سمعت من جويس. ولم أرَ أيّاً من الرسائل التي تبادلها كل من باوند وشو، ولكن من الواضح، وكما أراني جويس في بطاقة بريدية، فإن الكلمة الأخيرة كانت لشو. حملت البطاقة البريدية نسخة مصورة من لوحة جسدت دفن السيد المسيح، وعلى أسفل اللوحة كتب شو: «جيمس جويس وهو يدفن في قبره بواسطة

محررة أعماله بعد رفض جورج برنارد شو لشراء نسخة من يوليسيس». ثم كتب متسائلاً: «هل عليّ أن أحب كل ما تحبه، يا إزرا؟ بالنسبة إليّ، أنا حريص على البنسات بينما أترك الباوندات تعتني بنفسها».

سلّت رسالة شو جويس كثيرًا.

وعلى الرغم من شو، دفع الآخرون من «الإيرلنديين العجز» 150 فرنكًا ليوليسيس. حتى أن بعضهم اختار النسخة ذات الورق الهولندي والموقعة من المؤلف بسعر 350 فرنكًا.

## فاليري لاربو

قال لي جويس يومًا بأنه يود مقابلة بعض الكتاب الفرنسيين. وتفخر شكسبير أند كومباني لكونها الابنة الروحية لفاليري لاربو، أحد أكثر الكتاب المبدعين في فرنسا، وقررت أن على جويس ولاربو التعرف إلى بعضهما البعض.

افتتن الجيل الشاب برواية لابو بارنابوث، التي استوحاها من سيرته الذاتية، إلى درجة أنهم ترددوا بين أفضليتها وأفضلية رواية لافكاديو لأندريه جيد. حتى أعماله الأخرى كانت أيضًا مفضلة لدى جيل الشباب. وأما روايته ذات العنوان الإسباني: فيرمينا ماركيز، فكانت عن أيامه في المدرسة. إذ أرسل لاربو إلى مدرسة ارتادها عدد كبير من الطلبة الأرجنتينيين، حيث تعلم الحديث بالإسبانية كما لو كانت لغته الأم. وامتاز مجلد القصص القصيرة الذي حمل عنوان (أشياء طفولية) كونه أكثر أعمال لاربو تكثيفًا. وكان «لارباديانز»، أو بالإنجليزية «لاربالديانز» الاسم الذي أطلق على معجبي لاربو.

كان لاربو كاتب مقالات ممتع أيضًا. فكتاباته كانت من النوع الذي قال عنها سيريل كونولي<sup>1</sup> (نسيت الكلمات الدقيقة) بأنها متداولة على ألسنة الناس.

1 ناقد أدبي إنجليزي (1903 - 1974).

أشعر بالأسف لكون لاربو معروفاً على نطاق محدود للغاية في الولايات المتحدة، بينما يتمتع بشعبية كبيرة في أميركا الجنوبية. أما أبناء بلدي، مع وجود استثناءات محدودة، فقد بدأوا للتو في الانتباه بأن هنالك شخصاً يدعى لاربو. فكان السيد جستن أوبريان<sup>1</sup> من أوائل اللاربالديانز، وأما يوجين جولاس، ولكونه ثنائي اللغة، فقد أبدى تقديره لكتابات لاربو ذات الطابع الحساس. وقيل لي إنَّ ويليام جاي سميث<sup>2</sup> قد ترجم كتاب أشعار ثري هاو<sup>3</sup> بالإنجليزية إلى أشعار رجل مليونير لعل قدرًا أكبر من أبناء وطني يستمتعون بقراءة أعمال لاربو، صاحب قصيدة «بوكيه» التي تذكرني بأصناف معينة من النيذ الفرنسي، والتي يصعب إيصالها مترجمة، وربما هذه واحدة من الأسباب، لماذا كاتب ذو سمعة في فرنسا كلاربو ليس معروفاً بشكل واسع في أميركا.

ارتبط اسم لاربو بنبع هو واحد من أشهر ينابيع مدينة فيشي، لاربو سانت يور، والذي أكتشف من قبل والد لاربو، ومنه كوّنت العائلة ثروتها. أما والدته فقد انحدرت من عائلة بروتستانتية عريقة من أصول سويسرية في إقليم بوربونيه حسبما أخبرني لاربو.

كان فاليري طفلاً صغيراً عندما توفي والده، وتربى على يد والدته وخالته، وكلتاها لم تستطيعا فهمه. لماذا؟ فقد اشتكتا من قضاء فاليري لوقته في القراءة والكتابة منذ أن استطاع حمل قلم الرصاص، بدلاً من أن يقضي وقته في اللعب خارجاً كالأولاد الآخرين. من حسن حظ الأدب الفرنسي أن فاليري لاربو قد استمر في الكتابة.

1 أستاذ جامعي ومترجم أميركي (1906 - 1968).

2 شاعر ومترجم أميركي (1918 - 2015).

3 في الفرنسية poèmes par un riche amateur



ما جعلني ولاربو على وفاق كان حبه للأدب الأميركي. عملت على أن أقدم إليه كتابنا الجدد، وكان يحمل كتبهم معه بعد كل زيارة إلى المكتبة، حيث قابل عينات حية من كتاب الجيل الجديد.

جلب لي لاربو ذات يوم هدية، أو بالأحرى هدية لابنته الروحية شكسبير أند كومباني. سحب لاربو الغلاف الورقي كاشفًا عن خرف صيني على شكل منزل شكسبير كان بحوزته منذ الطفولة. لم يكن ذلك كل شيء، استخرج لاربو من صندوق يحمل اسم ليفيفر، الشركة المعروفة بصناعة دمي الجنود. دمي جسدت جورج واشنطن وطاقمه وهم يمتطون أحصنة في وضعية القفز ذوات ألوان متعددة، وبرفتهم طلاب عسكريون من كلية ويست بوينت. شرح لي لاربو أن هذه الكتيبة من القوات هي الحامية لمنزل شكسبير.

أشرف لاربو على صناعة هذه الدمي بنفسه، مستندًا على وثائق المكتبة الوطنية، التي كانت دقيقة في تفاصيل الأزياء العسكرية، حتى في ألوان الأزهار، التي لونها لاربو بيده، وقال إنه لم يثق بأحد في مسألة الأزهار.

لطالما احتفظت بقواتنا المسلحة في خزانة صغيرة قرب الباب المخصص للزبائن، وثبتنا مقبضًا سرّيًا لقفل المرأة الزجاجية للخزانة لحماية أولئك الرجال الصغار من الخطف على يد الطفولين والمتوحشين من الزبائن.

اقتنى لاربو عددًا ضخمًا ومتناميًا من دمي الجنود بالنسبة إلى شخص محب للسلام. واشتكى بمرارة من أن الدمي احتشدت إلى درجة إخراجه من الغرف، ولم يقم بأي جهد للسيطرة عليهم. كان لاربو

ويبير دي لانوكس<sup>1</sup>، صديقه ومنافسه في الوقت نفسه، في حالة بحث دائم عن القطع النادرة، وبوسعهما الذهاب إلى أقصى أطراف الأرض حتى يعثرا على القطعة التي تنقصهما، وتبادلا القطع معًا ومع الآخرين من الهواة، وخططا لحملة دعائية، ودعيا في بعض الأحيان أصدقاء من ذوي الحظوة كي يعرضوا عليهم قواتهم. حظيت وأدريان بشرف حضور واحدة من تلك المناسبات، وعندما رأينا الظروف المعيشية في سكن لاربو، لم نتساءل لم لاربو كان غير مستقر؛ فالقوات غزت شقته الصغيرة، واحتشدت في جميع أرجاء المكان. ومن ناحية أخرى، أكد لاربو لنا أن نسبة كبيرة من الجنود قد وضعت في صناديق أسفل السرير.

لعل هواية جمع الدمى العسكرية مسؤولة عن هواية أخرى للاربو: الألوان. لَوْن لاربو جنوده بالأزرق، والأصفر، والأبيض، حتى أن ربطة عنقه وأزرار أكمامه حملت نفس الألوان. وكانت ألوانه ترفرف من على سقف منزله الريفي كلما تواجد هناك، وإن لم يكن يتواجد كثيرًا هناك كونه يفضل التواجد في باريس أو السفر. كان لاربو مسافرًا عظيمًا ولغويًا عظيمًا أيضًا. كان يتقن الإنجليزية باقتدار حتى أنه كان يمكنه الدخول في نقاش مع المختصين بشكسبير في مجلة ذا تايمز لبتراي سبلمنت<sup>2</sup> حول استخدام شكسبير لكلمة<sup>3</sup> Motley.

1 دبلوماسي فرنسي (1887 - 1955).

2 مجلة أدبية أسبوعية إنجليزية، تصدر منذ 1902 وحتى الآن.

3 تحمل الكلمة أكثر من معنى ومنها: متعدد الألوان لدرجة التنافر - مهرج البلاط

كان لاربو بهيًا على المستوى الشخصي، وكانت عيناه الكبيرتان جميلتين وتعبران عن أطف التعبيرات. وكانت بنيته ثقيلة، ورأسه قريب من كتفيه. أما جماله الرئيسي فكان يكمن في يديه اللتين افتخر بهما، وكان فخورًا أيضًا بقدميه اللتين يحشرهما في حذاء ذي مقاس أصغر من المقاس المريح. ومن الأمور الجاذبة فيه طريقته في الضحك بالاهتزاز دون صوت، واحمرار وجنتيه، وشحوب وجهه عندما يقتبس سطرًا من قصيدة أحبها.

وبالمناسبة، يعود الوصف الأفضل للاربو إلى كتاب المقالات الكاملة لأدريان مونييه.

كان لاربو دائمًا ما يسألني عندما يزور المكتبة عما يجب عليه أن يقرأه بالإنجليزية، وجاءني في ذات مرة فسألته إن كان قد قرأ من قبل أي من كتابات الإيرلندي جيمس جويس. أجابني بالنفي، لذا أعطيته صورة الفنان في شبابه، وأعادها إليّ بعد فترة قصيرة، معربًا عن اهتمامه الكبير بالرواية، وبأنه يود الالتقاء بالمؤلف.

رتبت اللقاء بين الكاتبين في شكسبير أند كومباني في ليلة رأس سنة 1920، وأصبحت في الحال صديقين مقربين. ولعلي أدرك أكثر من أي شخص آخر ما أهمية صداقة لاربو بالنسبة إلى جويس. فالكرم ونكران الذات اللذان عامل لاربو بهما زميله في الكتابة جويس كانا من النوع النادر.

كان علي لاربو أن يتعرف على يولييسيس. وبمجرد سماعي برقود لاربو على الفراش بسبب الإنفلونزا عرفت أنها اللحظة المناسبة كي يقدم السيد بلوم نفسه. جمعت كل أعداد ليتل ريفيو التي احتوت على أجزاء يولييسيس، وأرسلتها مع بعض الورود.

تلقيت في اليوم التالي رسالة من لاربو كتب فيها أنه «مأخوذ بيوليسيس إلى درجة الجنون»، وأنه منذ أن قرأ لويتمان، «عندما كنت في الثامنة عشر»، فإنه لم يكن متحمسًا لأيّ كتاب. «إنه لكتاب رائع! عظيم بعظمة رابليه»<sup>1</sup>

استتبع لاربو مديحه ليوليسيس بخطط لتعزيز مكانة أعمال جويس، وبمجرد أن استطاع النهوض من الفراش، سارع لاربو إلى بيت الأصدقاء والكتب لرسم خططه مع أدريان. وكتب لي في رسالة، أنه ينوي ترجمة ونشر بعض المقاطع من يوليسيس في مجلة أدبية. وأعلن أيضًا أنه سيكتب مقالة عن جويس في مجلة نوفيل ريفيو فرانسيه<sup>2</sup> [المجلة الفرنسية الجديدة]، وأنه قد تقبل اقتراح أدريان بإعطاء حديث عن الموضوع في مكتبتها، وأوضح لاربو أنه سيقراً ترجمته لتلك المقاطع، ثم اتفق وأدريان كذلك على قراءة مقاطع بالإنجليزية. واتفق لاربو وأدريان على أن يدفع الجمهور رسومًا لحضور تلك القراءة، وأن تعود الأموال لجويس.

طُلبَ من جويس أن يختار مقتطفًا من يوليسيس كي يُقرأ بالإنجليزية، واختار اقتباسًا من الحلقة الحادية عشرة (عرائس البحر). وحصلنا على الممثل الشاب والموهوب جيمي لايت، والذي كان أحد قراء ليتل ريفيو في مونبارناس، ووافق على قراءة المقطع شريطة أن

1 فرانسوا رابليه، كاتب فرنسي ( ت 1553 ).

2 مجلة أدبية فرنسية، وتصدر منذ 1909 وإلى اليوم.

يدريه جويس على قراءته. واستمعت إلى صوتيهما الصادرين من الغرفة الخلفية لمكتبتي مرددين: «بات الأصلع جاء، بات الأصم..»<sup>1</sup>

كانت يوليسيس آنذاك جاهزة للطباعة. والطباعون على اتصال مع هذا العمل العظيم كما الجميع، ووجدت كيف غزا هذا العمل حياتهم، ولم يسلموا أمرهم إليه فحسب، بل دخلوا في روحه أكثر فأكثر. واتبعوا أوامري بتزويد جويس بكل التدقيقات التي يطلبها، وكان شرها في طلبها. غُطِيَتْ كل صفحة بنصوص مضافة، ويمكن لمحبي جويس رؤيتها في مكتبة جامعة ييل، والتي تحتفظ بالصفحات التي دقق عليها جويس من يوليسيس والتي تعود إلى صديقتي ماريان ويلارد جونسون<sup>2</sup>. زينت الصفحات المدققة بالصواريخ الجويسية والنجوم التي لا تعد ولا تحصى مرشدة الطباعين إلى الكلمات والجمل التي تحتل الهوامش. أخبرني جويس أنه كتب ثلث يوليسيس على الصفحات المدققة.

كان الطباعون الذين طالت معاناتهم يسترجعون الصفحات المدققة حتى اللحظة الأخيرة، مستقبلين أمورًا جديدة عليهم إدراجها بطريقة ما، فقرات كاملة، وحتى الصفحات المحذوفة. وحذرني موريس دارانتير ومن أنني سأتحمل المزيد من النفقات بسبب التدقيقات، مقترحًا أن ألفت انتباه جويس لخطر تجاوز المبلغ المخصص للطباعة لعلني أستطيع كبح جماح شهيته للتدقيق، بيد أن ذلك لم يحدث، فظهرت يوليسيس كما تمناها جويس على جميع النواحي.

---

1 يوليسيس. جيمس جويس. الجزء الثاني. ترجمة صلاح نيازي. دار المدى. الطبعة الأولى 2010. ص 287.

2 جامعة للمقتنيات الفنية وصاحبة معرض فني من أميركا (1904 - 1985).

لا أنصح الناشرين «الحقيقيين» باتباع مثالي هذا، ولا المؤلفين على اتباع خطى جويس. لأن ذلك يعني موت صناعة النشر. كانت حالتي مختلفة. بدا من الطبيعي بالنسبة لي أن الجهود والتضحيات التي بذرت مني ستكون متناسبة مع عظمة العمل الذي تصديت لنشره.

L.W.  
 W. Jack the Giantkiller,  
 M. Cleopatra, Samson, Achilles,  
 my frown  
 son!

R. Muhammad, the Bride of Lammermoor,  
 Peter the Hermit, Peter the Packer,  
 Dark Rosaleen, Patrick Shakespeare,

So anyhow Terry brought the three pints Joe was standing and begob the night nearly left my eyes when I saw him land out a quid. O, as true as I'm telling you. A goodlooking sovereign.

— And there's more where that came from, says he.  
 — Were you robbing the poorbox, Joe? say I?  
 — Sweat of my brow, says Joe. 'Twas the prudent member gave me the where.

— I saw him before I met you, says I, sloying around by Mill lane and Greek street with his cod's eye counting up all the guts of the fish.

Who comes through Michan's land, bedight in sable armour? O'Bloom, the son of Rory: it is he. Impervious to fear is Rory's son: he of the prudent soul.

— For the old woman of Prince's street, says the citizen, the subsidized organ. The pledgebound party on the floor of the house. And look at this blasted rag, says he. Look at this, says he. *The Irish Independent*, if you please, founded by Parnell to be the workingman's friend. Listen to the births and deaths in the *Irish all for Ireland Independent* and I'll thank you and the marriages.

And he starts reading them out:  
 — Gordon, Bantfield Crescent, Exeter; Redmayne of Ifilly, Saint Anne's on Sea, the wife of William T. Redmayne, of a son. How's that, eh? Wright and Flint, Vincent and Gillett to Rotha Marion daughter of Ross and the late George Alfred Gillett 179 Clapham Road, Stockwell, Playwood and Ridsdale at Saint Jude's Kensington by the very reverend Dr Forrest, Dean of Worcester, eh? Deane, Bristol, at Whitehall lane, London: Carr, Stoke Newington of gastritis and heart disease; Cockburn, at the Moat house, Chesham...

— I know that fellow, says Joe, from bitter experience.

— Cockburn, Dinsey, wife of David Dinsey, late of the admiralty; Miller, Tottenham, aged eightyfive: Welsh, June 72, at 35 Canning Street, Liverpool, Isabella Hele. How's that, for a national press, eh?

— Ah, well, says Joe, handing round the booze. Thanks be to God they had the start of us. Drink that, citizen.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

— Health, Joe, says I. And all down the form.

Thomas Cook and Son, the Bold Soldier Boy, Arrah na Pogue, Dick Turpin, Ludwig Beethoven, the Colleen Bawn, Waddler Healy, Angus the Culdee, Dolly Mount Sidley Parade, Ben Howth, Lf

Benjamin Franklin, Napoleon Bonaparte,  
 John A. Sullivan, Julius Caesar, Paracelsus,  
 Sir Thomas Lipton, William Tell,  
 Michelangelo, Haynes Valentine Greatrakes,  
 Adam and Eve, Arthur Wellesley, Boss Croker,  
 Herodotus, Gautama Buddha, Achy Nagle, Joe Nagle, Alessandro Volta, Teroniah O'Donovan Rossa

Page of proof of the first edition of ULYSSES with changes by the author

صفحة مدققة للطبعة الأولى من يوليسيس، مع ملاحظات لجيمس جويس

انتقلت مكتبة شكسبير أند كومباني وسط كل هذا إلى زاوية شارع أوديون. كان العقار الجديد، كما القديم، من اكتشاف أدريان أيضًا، التي لاحظت أن بائعة التحف في رقم 12 كانت تبحث عن شخص يحل محلها في عقد الإيجار، فهرعت لتبلغني. عجلت بدوري إلى رقم 12. العثور على مكان في شارع أوديون يعد ضربة حظ، ومقابل محل أدريان أيضًا. تجاسرت بصعوبة على عقد أمل بذلك. كان المحل الجديد أكبر من القديم، وشمل الإيجار غرفتين صغيرتين أعلى المحل. انشغلت وميرسين في صيف 1921 بنقل شكسبير أند كومباني إلى شارع أوديون، حملنا جميع الكتب وSlال المراسلات التي لم يُجَب عليها وحملت صفة «عاجل»، الأعمال المتعلقة بجويس ويوليسيس، المنشورات المتعددة التي توليت توزيعها، مجلات المراجعات الأدبية، لوحات مان راي<sup>1</sup> الكتابنا المعاصرين، مخطوطات ويطمان، ورسومات بليك. عندما بدأنا في تصنيف الأغراض في المحل الجديد، انتبهنا إلى فقدان مخطوطات خالتي آغنيس لوالث ويطمان، تبط ذلك من معنوياتي. كدت أن أفقد الأمل في العثور على المخطوطات بين كل تلك المخلفات المتناثرة حتى جاءت هولي، التي حضرت عملية الانتقال، وسألني عما إذا بحثت في كل مكان. يمكن للشقيقات أن يصبحن مزعجات. بالطبع بحثت. لكن هولي قالت «باتباع طريقيتي دائمًا ما ستجدين كل شيء». «ما طريقتك؟»، سألت، من دون مبالاة. «حسنًا»، قالت هولي، «عليك بالنظر في كل شيء وفي كل مكان وستجدين ما تبحثين عنه

1 فنان ومصور أميركي (1890 - 1976).



وهو يقفز باتجاهك». «هكذا إذًا؟»، قلت. لم ألق لها بالاً بعد ذلك. وجدتها تفتش في الأرجاء، طريقها مضيعة تامة للوقت. ثم رفعت بعض الأوراق وسألت «أهي تلك؟» وكانت كذلك. سعدت كثيرًا. كان من الممكن أن تكون بداية سيئة للمحل في رقم 12 إن هجرنا والت.

انتقلت شكسبير أند كومباني إلى شارع أوديون في عام 1921 وتمت أمركة الشارع، على الرغم من فرنسيته مع محاولاتنا لضم أدريان إلى صفنا.

كانت مقاهي سان جيرمان دي بري في أيام ما قبل سارتر وبوفوار يرتادها أدباء هادثون، على الرغم من أنك قد ترى إزرا باوند في مقهى لي دو ماغو أو بول ليون فارغ في مقهى ليس. وكان شارع أوديون، الواقع على بعد خطوات قليلة من بولفار سان جيرمان، هادئًا كأبي شارع صغير في بلدة ريفية، باستثناء مكتبتنا ومكتبة أدريان، حيث تقع الأحداث دائمًا. أما المناسبة الوحيدة التي نشهد فيها ازدحامًا في شارع أوديون فكانت عندما يشق الجمهور طريقه من وإلى مسرح أوديون في المسار الأعلى من نهاية الشارع. أما العروض، فكانت كحال الشارع، شبيهة بالبلدات الريفية، هذا وعلى الرغم من أن واحدًا من أعظم المنتجين المسرحيين قد تولى إدارة المسرح لفترة: أنطوان<sup>1</sup>، حسبما أتذكر، الذي عرض ذات مرة مسرحية الملك لير، حتى أن كوبو<sup>2</sup> عمل هناك لمرة- كانت المناظر في مسرحياته متقشفة إلى درجة أن ليون بول فارغ لقب

1 أندريه أنطوان: ممثل ومدير مسارح فرنسي (1858 - 1943).

2 جاك كوبو: مخرج مسرحي فرنسي (1879 - 1949).

عروض كوبو بـ «الحماقات الكالفينية»<sup>1</sup>. حقق مسرح أوديون حلم أدريان بالعيش في شارع «يقع في نهايته مبنى عام».

بمجرد ما قررت أخرج يوليسيس للعلن، أتى جون كوين، والذي بحيازته المخطوطة، لتفقد الأحوال في شكسبير أند كومباني. كان رجلًا ذا مظهر حسن، وأثار اهتمامي. وقدرت ذائقته. إذ جمع مخطوطات لبيتس وجوزيف كونراد ولجويس كذلك، وجمع رسومات لويندهام لويس<sup>2</sup>، ولديه مجموعة رائعة من اللوحات الانطباعية التي بيعت لاحقًا في باريس بمبالغ عالية. بيد أنني وجدته حاد الطباع بعض الشيء وقابل للانفجار. وجدنا كوين بزيارته الأولى في مكاننا الصغير في شارع دوبيرتان ونحن ندير عملنا وأخشى أن الزيارة لم تترك فيه أثرًا طيبًا؛ إذ كان هناك نقص بائس في الأثاث، وهذا، وبالإضافة إلى كوني امرأة، قد أثارا لديه الشبهات. ويمكنني أن ألحظ أنه سيراقبني بصرامة في مسألة يوليسيس، وهيأت نفسي لتلقي اللوم لكوني «امرأة أخرى» كما وصفني.

كنت وجويس مغرمين بالمحل الصغير في شارع دوبيرتان، وافتقدناه إلى حد ما، بيد أنه من حسن حظنا أننا قد انتقلنا إلى مكان أكبر وشارع أوسع في الوقت الذي جاء فيه جون كوين زائرًا للمرة الثانية، والتي اتضح أنها الأخيرة أيضًا. كانت هنالك مساحة أكبر يمكن لكوين فيها أن يسير فيها ويحاضرني بشأن مسؤولياتي والتذمر على كل الأعمال الفنية التي أغراه باوند بشرائها، وتحديدًا «تلك الأشياء التي تعود لويندهام لويس» و«قمادات بيتس التي لا ينظر جامع الأسماك إليها».

1 ربما المقصود هو جان كالفن، عالم اللاهوت الفرنسي (1509 - 1564).

2 كاتب ورسام بريطاني (1882 - 1957).

وأشار إلى أنه سعيد كون يوليسيس «لن من تخرج من تلك السقيفة»  
قاصداً المحل الواقع في شارع دوويرتان.

يا لكوين المسكين! كان فظاً جداً، وكان ذا قلب طيب! أنا سعيدة  
لأنني تواصلت معه على نطاق محدود واستماعي لشكاواه بصبر - ومما  
سمعته لاحقاً أنه كان رجلاً مريضاً جداً.

## الأزرق الإغريقي وسيرسي<sup>1</sup>

مضت الشهور، وبدأ المشتركون وخاصة في الأماكن البعيدة  
بالسخط؛ جاء «خريف 1921» ومضى، ولم تكن يوليسيس في  
أكياس أغراض عطلة عيد الميلاد بعد. كانت شكسيير أند كومباني  
في خطر أن تظهر بصورة المحتمالة على الجمهور. لم يطلب المشتركون  
استرجاع أموالهم، لأنهم لم يدفعوا شيئاً بعد، ولكنني تلقيت رسائل  
حاسمة، وكانت إحداها من ت. إي. لورنس<sup>2</sup>، الذي طالب بنسخته من  
يوليسيس. ولسوء الحظ، لم أملك وقتاً كافياً لأشرح له بأنني أخوض  
أيضاً معركة، ولكنها ليست في الصحراء.

كان المشتركون في باريس على اطلاع بالتطورات بفضل النشرات  
شبه اليومية في الصحف. راقب أصدقائي في الصحف أخبار يوليسيس  
عن كثب، وكأنه حدث مهم عالمياً، وأشبه بحدث رياضي، حتى أن مقالة  
عن يوليسيس قد نشرت في صحيفة بريطانية تُدعى ذا سبورتنغ تايمز<sup>3</sup>،  
والتي اشتهرت بلقب الوردية<sup>4</sup> لكن ذلك قد حدث بعد ظهور الكتاب.

1 سيرسي: ابنة هيلوس، إله الشمس في الأساطير الإغريقية.

2 ضابط بريطاني اشتهر بلقب لورنس العرب (1886 - 1935).

3 صحيفة أسبوعية اقتصت بسباقات الخيل (1865 - 1932).

4 بسبب لون ورقها الوردية الشبيه بلون سمك السالمون.

ومن المشكلات التي واجهتها هي ورق التجليد لغلاف يوليسيس. كانت رغبة جويس في أن يكتسي غلاف كتابه باللون الأزرق اليوناني سببًا لواحدة من أسوأ المصاعب. من كان ليحلم بعدم العثور على ذلك اللون الأزرق الجميل للعلم اليوناني؟ قدم دارانتير مجددًا إلى باريس، وقارنًا ما جلبه من درجات اللون الأزرق، ولم نتوصل إلا إلى عدم مطابقة العينات الجديدة للون العلم اليوناني الذي ظل خفًا في شكسبير أند كومباني تكريمًا لأوديسيوس. وا حسرتاه! مجرد النظر إلى ذلك العلم يسبب لي صداغًا.

أخذ البحث بدارانتير إلى ألمانيا، حيث اختتم رحلته باكتشاف اللون الأزرق الملائم - لكن الورق في هذه المرة لم يكن مناسبًا، فحل دارانتير المشكلة بالطباعة الحجرية للون على ورق أبيض مقوى، وهذا ما يفسر اللون الأبيض لأطراف الغلاف في داخل الكتاب.

تزايدت وتيرة العمل وأبقيت الإضاءة طيلة الليل في مطبعة دارانتير المبهجة والمغطاة بالكروم والواقعة في ديجون، وتحديدًا في إقليم كوت دور، موطن أشهر أنواع النبيذ، والكنوز الفنية، والطهي الفاخر، والزيب الأسود المحلى والكحولي، وصلصة الخردل بالطبع، العلامة المميزة لديجون، وسنضيف إلى كل ذلك الكتاب «الساخن»<sup>1</sup> يوليسيس.

أما موريس دارانتير، والذي كان مولعًا بطهي الأطباق المميزة، ويتذوق معها النبيذ الفاخر، فلم يجد الوقت الكافي للجلوس على المائدة مع صديقه الطباخ الشاب الذي يساعده في تدبير شؤون المنزل، ولم يملك دارانتير الوقت حتى للتمعن في مجموعته من الخزفيات القديمة ومكتبته القيّمة. استولت يوليسيس على كامل وقت دارانتير.

1 تلاعب بكلمة Hot Dog أو السجق، وغالبًا ما يضاف إليه صلصة الخردل.

أخبرني موريس دارانتير لاحقاً أن الطباعة قد توقفت مع توقف تدفق النص. الحلقة التي أعاقتنا هي الحلقة الخامسة عشرة من الرواية. أعاقتنا حلقة سيرسي عن الاستمرار في الطباعة.

حاول جويس طباعة الحلقة على الآلة الكاتبة دون جدوى. فشلت تسع عاملات على الآلة الكاتبة في طباعة الحلقة. أخبرني جويس بأن العاملة الثامنة هددت يائسة بإلقاء نفسها من النافذة. أما العاملة التاسعة، فقد ضربت جرس منزل جويس، وعندما فتح لها الأخير الباب رمت العاملة بالأوراق التي أكملتها على الأرض، ثم سارعت بالنزول إلى الشارع واختفت إلى الأبد. قال جويس: «لو أنها أعطتني اسمها وعنوانها لدفعت لقاء عملها على الأقل». لم يلتقط جويس اسمها في المرة الأولى التي قدمه صديقه إليها.

استسلم جويس بعد ذلك من إتمام كتابة حلقة سيرسي على الآلة الكاتبة. تنهد جويس وهو يضع النص بين يديّ، قلت له ألا يقلق، وبأنني سوف أبحث عن متطوعين للاستمرار في الطباعة.

كانت شقيقتي سيبريان هي أول المتطوعين لخدمة قضية كتابة الحلقة على الآلة الطابعة، والتي كان عليها قضاء اليوم بطوله في أستديو الأفلام. كانت تستيقظ دائماً في الرابعة صباحاً، وقررت تخصيص الساعات الأولى من الصباح في طباعة حلقة سيرسي.

كانت سيبريان معجبة بيوليسيس، وقارئة ذات خبرة في خطوط اليد غير الواضحة لأن خط يدها من النوع ذاته. سار عمل سيبريان في حل رموز وعلامات جويس على نحو بطيء، كلمة بعد كلمة، حتى أخذها عملها في استكمال مشاهدتها في إحدى الأفلام، فاضطرت أن أبحث عن متطوع آخر.

حلّت صديقتي ريموند لينوسيرا<sup>1</sup> محل سيريان، والتي عرضت على أن تطبع الحلقة بمجرد ما سمعت عن المأزق الذي وقعت فيه، وقالت إنّ الطباعة سوف تعينها على قضاء الوقت الذي كانت تتواجد فيه ليلاً بجانب سرير والدها المريض.

تولت ريموند المهمة، وأحرزت تقدماً رائعاً حتى اضطرت للاستسلام. ومع ذلك، وجدت ريموند من فورها متطوعاً جديداً، المتطوع رقم 3، صديقة لها من إنجلترا، وافقت بلطف على استكمال المهمة. أخبرتني ريموند أن زوج صديقتها تلك يشغل منصباً في السفارة البريطانية.

ما إن بالكاد ابتهجت بحظي الحسن حتى جاءتني ريموند وهي بحالة ذعر شديد لتبلغني عن كارثة؛ التقط زوج صديقتها المخطوطة التي كانت الأخيرة تعمل عليها، وبعد لمحة واحدة، رمى الزوج بالمخطوطة إلى النار.

أبلغت جويس بالخبر، وقال إنّ الشيء الوحيد الذي يمكن فعله هو أن يطلب من جون كوين في نيويورك أن يعيره مخطوط الصفحات المفقودة بمجرد أن تصل إليه عبر البريد - كانت المخطوطة حينها في منتصف المحيط وفي طريقها إلى كوين.

أرسلت برقية إلى كوين، وكتبت إليه، لكنه رفض التخلي عن نسخته من المخطوطة، حتى لجويس نفسه، الذي أرسل بدوره برقية ورسالة بريدية إلى كوين. وطلبت من أمي، التي كانت في برينستون، أن تهجم

---

1 كاتبة فرنسية (1897 - 1930).

على كوين. هاتفت أمي كوين، الذي غضب وتحدث بلغة لا تليق بسيدة كأمي. كانت رغبة كوين في التمسك بنسخته من المخطوطة صريحة.

سألت كوين إن كان يرغب في السماح لشخص ما بنسخ الصفحات التي احتجتها، لم يسمح كوين بذلك أيضًا. قدم كوين أخيرًا تنازلًا بتصوير الصفحات المطلوبة، والتي وصلت في الوقت المناسب، وسلمت بعد نسخها فورًا إلى دارانتير كونها «النسخة النهائية» من العمل على عكس المخطوطة التي كنا نعاني منها.

آل خط يد جويس، الذي كان في يوم ما مقروءًا إلى حد ما، مع المحذوفات والعلامات الملموسة بالكاد، إلى خط يصعب قراءته بقدر صعوبة أبجدية الأوجهام مع الأخذ في الحسبان تفاقم مشكلة بصره أثناء كتابة حلقة سيرسي، هذا ما يفسر برأيي عدم وضوح خط يده أثناء كتابة تلك الحلقة من الرواية.

كتب جويس رواية يوليسيس بخط اليد، كحال جميع كتاباته. استخدم جويس أقلام رصاص سوداء غير مبرية في كتابة الرواية - وجد الأقلام التي أرادها في قرطاسية سميت بباريس - واستخدم أقلام رصاص ذوات ألوان مختلفة لتمييز الأجزاء التي كان يعمل عليها. لم يفهم جويس كيفية استخدام أقلام الحبر السائل، وحيرته تمامًا، ووجدته مرة وهو يعاني من تعبئة إحداها بالحبر الذي لطخه. وفكر بعد أعوام في استخدام آلة كاتبة، وطلب مني أن أجلب له آلة كاتبة من نوع ريمينغتون التي لا تصدر ضجيجًا، واستبدلها لاحقًا بآلة أدريان المزعجة، وعلى حسب علمي، فإنه لم يستخدمهما أبدًا.

## عينا جويس

كنتُ آملُ أن تسير الأمور بسلاسة بعد انتهاء ورطتنا مع حلقة سيرسي - أو بأكثر سلاسة على الأقل. على النقيض من ذلك، تعرضنا لكارثة أعظم من كل ما أصابنا من قبل. أجهد جويس عينيه، ونتج عن ذلك التهاب حاد في القرنية.

أتاني أبناء جويس مسرعين، وقالوا إن «بابو»، كما يطلقون على والدهم، يريد أن يراني. هرعت باتجاه الفندق الصغير في شارع الجامعة، حيث كانت عائلة جويس تسكن آنذاك، ووجدت جويس متمدداً والمرض باد عليه، كان يعاني بشدة، وكان تحت رعاية زوجته السيدة جويس، التي وضعت دلوًا من الماء بجانبها، وتغير الكمادات الموضوعة على عيني زوجها بين الحين والآخر. بقيت السيدة جويس على تلك الحال لساعات، وبدت مرهقة، وقالت عن زوجها: «عندما يصبح الألم لا يطاق فإنه ينهض ويذرع الغرفة جيئةً وذهابًا».

لاحظت حينها أنه على الرغم من هول الألم في عيني جويس، إلا أنه يفكر في أمر آخر وكان مضطربًا جدًا بسببه. أخبرني جويس عما كان يحبطه؛ تدبر صديق لجويس اختصاصي شهير غادره قبل قليل، وأخبره الأخير بأنه يود إجراء عملية، وسيرسل عربة الإسعاف لتأخذ جويس



إلى العيادة. أدركت سبب إرساله في طلبي على عجلة، كان مصرًا على تجنب عملية أخرى كعملية زيورخ، والتي أُجريت خلال ذروة نوبة مرضية. لم يرد جويس أن يسمح بتكرار هذا الخطأ مجددًا. قررت أن أجلب طبيب العيون الذي أتعامل معه - سمعني جويس أتحدث عنه مرة - إلى الفندق قبل أن يختطف الطبيب الآخر جويس.

انطلقت إلى شارع دو لابي، حيث مكتب طبيبي للعيون والواقع بين محالّ الخياطة النسائية. دخلت المكتب، والتقيتُ بالدكتور لويس بورش، ابن بلدي، الذي عاملني بلطف بالغ عندما قصده ذات مرة لاستشارة في عيادته الصغيرة التي أدارها بالصفة الغربية من نهر السين ويستقبل فيها الطلبة والعمّال. استمع إليّ الدكتور بورش بلطف وأنا أشرح الوضع المؤسف لجويس، ولكنه اعتذر مني رغم توسلاتي ليأتي معي إلى الفندق، لأنه لا يمكنه رؤية مريض يرعاه طبيب آخر. قال الدكتور بورش، بعد أن لاحظ علامات اليأس على وجهي، أنه سيرى جويس، لكن على جويس أن يأتي إليه. أخبرته أن جويس مريض إلى درجة لا يمكنه فيها ترك سريريه، لكن الدكتور بورش كان حازمًا وقال: «أحضريه إلى هنا في أقرب وقت ممكن».

طرت عائدة إلى الفندق، وقال جويس: «لننتلق». أخرجت ونورا الرجل المسكين من الفراش، وأنزلناه من السلم، ثم أدخلناه سيارة الأجرة. قطعنا المدينة وصولًا إلى غرفة الانتظار لدى الطبيب، حيث ارتدى جويس على كرسي ذي ذراع، وهو في حالة ألم كادت أن تفقده الوعي.

آه! الانتظار في غرفة الانتظار تلك، حيث تحقق بك الرؤوس المتوجة من اللوحات ذات الإطار الفضي مع النقوش المستحبة والتي ترخرف البيانو الكبير.

حان دور جويس أخيرًا، ودخل العيادة بمساعدة من الممرضة. لم يُفاجأ جويس بالتشخيص؛ كان يعلم بأنه مصاب بالمياه الزرقاء. أراد فقط معرفة رأي الدكتور بورش بالوقت المناسب لإجراء العملية. قال الطبيب إن العملية ضرورية، لكنه وعلى الرغم من أن زملاءه قد يعترضون على رأيه الذي يقول بالانتظار حتى زوال التهاب القرنية، حتى وإن عانى بصره جراء التأجيل. عند إجراء عملية على عين مصابة بالتهاب، فإنها قد تعيد البصر إلى العين في حال نجاحها، وعلى الجانب الآخر، فإنها قد تدمر حاسة البصر تمامًا، وقال الدكتور بورش إنه لا يرغب في المجازفة.

شعر جويس بارتياح كبير، كان هذا ما أراد سماعه، واتخذ قراره بوضع نفسه تحت تصرف الدكتور بورش. ستجرى العملية بمجرد الشفاء من التهاب القرنية.

كان الدكتور بورش تلميذًا لاختصاصيٍّ عظيم من فيينا، وتمتع بورش نفسه بسمعة عريضة، واهتم بجويس بإخلاص بالغ لسنوات، وبلغت أتعابه من القلة لدرجة أن جويس عرض على إحدى الفواتير، شاعرًا بالإهانة من ضآلة الأتعاب. فعل الدكتور ما في وسعه لوقف تقدم المرض الخطير والتعقيدات التي رافقته، ومع ذلك، أخذ بصر جويس بالتضاؤل تدريجيًا. لم يكن من العدل لوم الدكتور بورش على ذلك، إذ ربما تسبب آخرون في ذلك.

أخيرًا، وعلى أمل إنقاذ القليل مما تبقى من بصره، عاد جويس إلى زيورخ لاستشارة رجل يعد واحدًا من ثلاثة مختصين كبار في أوروبا: الدكتور ألفريد فوت. سمع جويس الكثير عن هذا الطبيب، وأخبرني عن آلة اخترعها، وتُصنع واحدة منها في كل مرة في برلين خصيصًا للطبيب. كانت الآلة تُستخدم في عملية معينة، ولا يعاد استخدامها أكثر من مرة. تبلغ تكلفة كل آلة مئة دولار، وإن اكتشف الدكتور فوت أقل خلل فيها، فإنه سيرميها.

أبلغني جويس عن سير إجراءات الدكتور فوت مع الحالة؛ رسم خارطة للعين التي سيجري لها العملية، ودرسها حتى يحفظ «جغرافيتها» عن ظهر قلب، وحينها، وكما في حالة جويس، تُغَطَّى العين بنوع من الستار المعتم، وتلج الآلة تلك الستار مسببة ثقبًا إلى حد يمكن للمريض رؤية ما يحدث.

لاحظت إن جويس قد استطاع تمييز معالم الأجسام بعد العملية في زيورخ، ولم يرتطم بشيء عند الحركة، وبإمكانه قراءة الخطوط الكبيرة بمساعدة من نظارته وعدستين مكبرتين. ومن دواعي الحسرة على السيد إيرويكرا<sup>1</sup>، لطالما تمتعت أذنا جويس بحساسية غير عادية تجاه الأصوات، وعليه من الآن وصاعدًا الاعتماد كليًا على أذنيه.

---

1 بطل رواية جويس اللاحقة (يقظة فينيغان).

بينما كان جويس يتعافى من التهاب القزحية، وقبل إجراء العملية، قرر لاربو، الذي كان على وشك مغادرة باريس لشهر كامل، ورأى أن الفنادق ليست مكانًا مريحًا لشخص مريض، فدعا آل جويس للانتقال إلى شقته، يا لها من بادرة لطيفة من لاربو، ومفاجئة عندما يعرف المرء بدقة العازبين الشديدة فيما يتعلق بسكنهم (تزوج لاربو في وقت لاحق).

عاش لاربو في رقم 17 في شارع كاردينال لوموان القديم، وهو واحد من الشوارع الواقعة خلف البانشيون ويفضي نزولًا إلى تل سانت جينيفيف باتجاه نهر السين، حيث تعبر بوابة ضخمة، وهبوطًا إلى معبر طويل يصلنا إلى ميدان مفتوح على النمط الإنجليزي وتحيطه الأشجار الظليلة. وهناك نجد شقة لاربو في واحدة من تلك المنازل المشيدة خلف الأشجار. كان المكان منعزلًا حيث أحب لاربو الانسحاب لفترات طويلة من العزلة والعمل، محذرًا أصدقاءه كافة بأن المكان «clôture» أي مغلق، حيث لا يسمح بدخول أحد عدا خادمته.

حل بال جويس المقام في شقة لاربو ذات الغرف الصغيرة والأنيقة، والأرضيات اللامعة، والمفروشات الأثرية، ودمى الجنود، والكتب القيمة ذوات الأغلفة الفاخرة. رقد جويس على سرير لاربو، وعيناه معصوبتان وارتسمت ابتسامة على شفثيه بينما استمع إلى حديث في الغرفة المجاورة بين ابنته والخادمة. جرى التواصل المتعلق بشؤون المنزل عبر الابنة لوسيا، التي كانت فرنسيتهما هي الأكثر فصاحة.

أبدت الخادمة اهتمامًا كبيرًا بجويس، كما جرت العادة مع الأناس الذين يلتقون به. «إنها تتحدث عني دائمًا بضمير الغائب»، قال جويس. «كيف حاله الآن؟ ماذا يفعل؟ ماذا يقول؟ هل سيستيقظ؟ ألا يجوع أبدًا؟ هل يعاني؟» تطرح جميع تلك الأسئلة بنبرة خفيفة ولكنها مسموعة إلى حد ما بالنسبة إلى السمع المرهف لجويس.

في بعض الأحيان تجد بوب مكالمون جالسًا بجانب سرير جويس، ويرفقه عنه بآخر الأقاويل عن «الحشد» بلهجته الأميركية وصوته الصادر من أنفه. قضى مكالمون في تلك الأيام الكثير من الوقت مع جويس وعائلته، حتى أن صهر أدريان، بول إميل بيكات<sup>1</sup>، قد رسم لوحة لجويس ومكالمون معًا.

## ثوم في إسفنجة

احتلت العيادة الواقعة في الضفة الغربية من السين، والتي أجرى فيها جويس عملياته، مبنى صغيرًا ذا طابقين في زاوية يلتقي فيها شارعان. لاحظ جويس أن الشارعين يحملان اسمين ملائمين: شارع شيرش ميدي (هل يمكن ترجمته إلى شارع البحث الجنوبي؟)، وشارع ريغارد.

يفضي باب المدخل إلى غرفة الانتظار أسفل السلم، حيث يجلس المرضى على مساطب خشبية طويلة، وغالبًا ما يطول انتظار دورهم في الدخول على الطبيب الذي يتواجد في العيادة بعد الانتهاء من جولاته الصباحية على المرضى، وقبل العودة إلى منزله. يا له من مسكين،

---

1 رسام فرنسي (1885 - 1960).

الدكتور بورش؛ كان يعمل فوق طاقته. أتساءل متى يتدبر الوقت كي ينتهز فرصة تناول وجبة، وعندما تتاح له الفرصة فإنها قد تكون وجبة دسمة، فقد كان سميناً بقدر بابا نويل. في نهاية غرفة الانتظار يوجد مكتب بحجم خزانة معاطف، كبير كفاية ليضم الطبيب، وممرضته - التي كانت ممتلئة - ومريض من الحجم العادي.

يؤدي صعود السلالم إلى غرفتي نوم مخصصتين للمرضى المنومين. شغل جويس إحدى الغرفتين، ولأنه لا يستطيع البقاء في مكان ما من دون نورا، لذا شغلت نورا الغرفة الثانية. اشتكت نورا - ومعها حق - من قلة وسائل الراحة، كان المبنى بالنسبة إليها غير مألوف. وعلى النقيض، وجد جويس المكان مثيراً للاهتمام، وأعجب بالطبيب، وقلد أمامي «لهجة اليانكي» التي ميزت الطبيب، وقلد غمغمته التي يسمعها كلما مال إليه: «مشكلة عينك مؤسفة جداً». أعجب جويس بالمرضة أيضاً، السيدة الممتلئة، التي أدارت المكان واعتنت بالمرضى، وتطهو الوجبات، وتساعد الطبيب. «إنها تزرع الثوم في إسفنجة تضعها عند النافذة»، أخبرني جويس، «كي تضيفه إلى الأطباق التي تعدها لنا». غالبًا ما كانت الممرضة فظة مع المرضى، ولكنها مع السيد «جواس» كما كانت تنطق اسمه، تكون العكس تمامًا. كان جويس مريضها المحبوب، ولا عجب في ذلك! إذ كان - وأنا متأكدة من ذلك - أنه المريض الأقل شكوى والمريض الأكثر مراعاة للآخرين عرفته تلك الممرضة. من المؤكد أن عملية في العين محنة رهيبة، وخصوصًا بالنسبة إلى شخص حساس مثل جويس. شهد جويس العملية وهو واعٍ، وحدثني عن الآلة التي اقتربت منه وبدت كفأس كبير.

تمدد جويس أثناء مرحلة التعافي من العملية وعيناه معصوبتان، ساعة بعد ساعة، من دون أن ينفد صبره. لم يشعر جويس بالملل؛ طرأت عليه العديد من الأفكار. وبالفعل، كيف لشخص ذي إبداع لا ينضب مثل جويس أن يشعر بالملل؟ ويمارس - بجانب التفكير - تمارين منشطة للذاكرة، حافظ على ممارستها منذ فترة مبكرة من شبابه، وهذا ما يفسر ذاكرته التي احتفظت بكل ما سمعه، وقال إن كل شيء يلتصق في ذاكرته.

سألني جويس ذات يوم: "فضلاً، أيمكنك إحضار كتاب «سيدة البحيرة»؟". في زيارتي اللاحقة، ذهبْتُ ومعي نسخة من «السيدة». «افتحي الكتاب»، قال لي، «واقري لي سطرًا»، فقرأت أول سطر من صفحة اختيرت عشوائيًا، ثم توقفت؛ ردد جويس الصفحة كاملة والصفحة التي تليها دون خطأ واحد. اقتنعت أنه يحفظ القصيدة عن ظهر قلب، ليس «السيدة في البحيرة» فحسب، بل ما يتسع لمكتبة كبيرة للشعر والنثر، على الأرجح أنه قد قرأ كل شيء قبل أن يبلغ العشرين من العمر، ولم يعد بحاجة إلى فتح كتاب إن أراد شيئاً ما منذ ذلك الوقت. كانت زياراتي إلى العيادة متكررة، وأوصلت بريد جويس الخاص وقرأته عليه، وأحضرت معي الصفحات المصححة ليوليسيس. أمكنني الإجابة عن الرسائل، وفي الواقع، ظللت أجيب عنها لبرهة. أما التصحيحات، فكان عليها أن تنتظر، وحده جويس يمكنه تولي الأمر، لأنه أراد دومًا أن يضيف إلى النص. وأوصلت له الأخبار من

---

1 قصيدة سردية للشاعر الأسكتلندي السير والتر سكوت (1771 - 1832).

الطّباعين، و جلبت له رسائل أصدقائه، وأخبرته بما يجري في شكبير  
أند كومباني، وهي الأخبار التي أحب دومًا سماعها.

وصلت ذات يوم إلى العيادة في اللحظة التي وُضعت فيها العلاقات  
حول عين جويس وفق وصفة الطبيب. تسحب العلاقات الدم وتخفف  
من حدة الاحتقان بمجرد ما يتم حملها - وبصعوبة - على الالتصاق  
حول العين.

غادرت الممرضة التي اعتدنا عليها خارجًا، وحلت محلها ممرضة  
شابة، والتي حاولت وجويس من تجنب عدم تخبط تلك المخلوقات  
الملتبوية في الأرض بدلاً من انتظار دورها حول عين المريض. استسلم  
جويس من دون شكوى لذلك البلاء الشنيع. ذكرتني العلاقات بتلك التي  
اعتادت أن تلتصق بي في حوض سباحة آل راسل في برينستون.

## جويس وجورج مور

اتبع جويس قاعدة عدم تجنب الناس. ولكن، في المرة الأولى التي  
خرج فيها بعد العملية، وظهوره في المكتبة، قال إنه يشعر بعدم الرغبة  
في الالتقاء بأحد. تفهمت ذلك إلى حد ما، وفي اللحظة التي حدّق  
رجل طويل القامة ذو وجه كبير وخدود وردية في الكتب المعروضة على  
النافذة، ثم دخل المحل، تركت جويس كي يتحدث مع الزبون.

عرّف الزبون نفسه بجورج مور<sup>1</sup>. وعدتني نانسي كونراد<sup>2</sup>، صديقتنا  
المشتركة، ذات مرة، أن تأتي بجورج لرؤيتي في المكتبة، بيد أنه لم

1 كاتب ومسرحي إيرلندي (1852 - 1933).

2 كاتبة وناشطة سياسية بريطانية (1896 - 1965).



يستطع انتظارها لأنه سيعود إلى لندن في اليوم التالي. رأيت جورج وهو يلقي نظرة خاطفة بين الحين والآخر على الرجل الواقف في الجزء الخلفي من المكتبة، لكنني حافظت على وعدي ولم أقدمه لجويس. انسحب الزائر أخيراً، وبالأحرى ترك المكان قسراً، بعد لمحة أخيرة في اتجاه جويس. «من كان ذلك؟» سألني جويس، وأجبت، فتعجب قائلاً: «كنت لأشكره على لطفه وتدبره مبلغاً من خزانة الملك لصالحي». كانت تلك المرة الأولى التي ذكر فيها جويس تسلمه لمبلغ 100 جنيه إسترليني من خزانة الأسرة الملكية قبل عدة أعوام.

كتب لي جورج مور، بعد عودته من لندن، رسالة فاتنة، دعاني فيها إلى تناول الغداء في شارع إيبوري في زيارتي القادمة إلى لندن (وهذه واحدة من تلك الدعوات الشهيرة إلى شارع إيبوري). تساءل مور حول ما إذا كان الرجل الذي لحظه في الجزء الخلفي من المكتبة، والذي كان يضع رقعة على عينه هو جيمس جويس، والذي كان يود أن يلتقيه. شعرت بخطئي للترامي بالوعد الذي قطعته لجويس. مع ذلك، التقى كل من مور وجويس أخيراً في لندن، وعرفت ذلك لاحقاً رغم أن جويس لم يذكر شيئاً عن ذلك اللقاء.

وددت أن أعرف أكثر عن مور، كان لطيفاً بصورة بالغة، ولم يضمّر ضغينة ضدي بسبب ما حصل في المكتبة، وعلى النقيض، أرسل إليّ النسخة المصححة لمسرحيته المقبلة «الحواري». كنت مولعة جداً بجورج مور الكاتب، والإنسان أيضاً، وفق ما سمعت عنه من قبل صديقته المقربة نانسي كونراد، ومات قبل أن أحظى بفرصة الذهاب إلى لندن وتناول الغداء معه في شارع إيبوري.

أختير تاريخ السابع من ديسمبر عام 1921 موعدًا لأن يقرأ جويس في مكتبة أدريان - قبل أقل من شهرين من ظهور يوليسيس.

خشي لاربو أن ترجمته لمقاطع حلقة بنلوب من الرواية قد لا تكون جاهزة قبل موعد القراءة، وطلب من أدريان البحث عن شخص يساعده. كان من بين الذين ترددوا على شارع أوديون مؤلف موسيقي شاب، هو جاك بونوا ميشان<sup>1</sup>، وعقد صداقة مع جورج أنتيل بعدما التقيا في مكتبتني. كانت إنجليزية الشاب بنوا ميشان جيدة على نحو لافت، وقبيل مسرورًا حينما سألته أدريان إن كان يرغب في مساعدة لاربو، وابتهج لحصوله على فرصة للعمل مع لاربو على يوليسيس، ولكن بشرط واحد: ألا يُذكر اسمه، لأن والده العجوز، البارون، لن يقبل برواية يوليسيس. من المفاجئ، في بلاد رابليه، أن تعد يوليسيس جريئة جدًا بالنسبة إلى فرنسا العشرينيات. ومع اقتراب موعد قراءة جويس، كانت لدى لاربو مخاوفه، وفي تقديمه للبرنامج قرأ التحذير التالي:

“Nous tenons à prévenir le public que certaines des pages qu'on lira sont d'une hardiesse peu commune qui peut très légitimement choquer”

---

1 عُرف ميشان (1901 - 1983) لاحقًا بالعمل السياسي، وكان مشواره في الموسيقى قصيرًا.

(نحذر الجمهور من أن بعض الصفحات التي ستقرأ هي أكثر جرأة من المعتاد وقد تكون خادشة للمستمعين).

عندما وصل لاريو إلى المكتبة، التي كانت تغص بالحضور لدرجة لا يمكن بعدها لشخص أن يحشر نفسه، علمت أدريان أنه يعاني من رهاب المسرح، واضطرت أن تسقيه كأسًا من البراندي قبل أن يستجمع قواه للظهور أمام الجمهور والجلوس على الطاولة الصغيرة، في مكان لم يكن جديدًا عليه، حيث كان واحدًا من القراء المفضلين في «جلسات تحضير الأرواح» في مكتبة أدريان. بيد أنه عاجز الآن عن قراءة مقطع أو اثنين!

شكلت القراءة انتصارًا لجويس، وجاءت تكريمًا له في لحظة حاسمة من مسيرته وعت له الكثير. صفق المستمعون بحرارة لمديح لاريو ليوليسيس وقراءته للمقاطع المترجمة منها، وأداء جيمي لايت الصوتي للحلقة الحادية عشرة (عرائس البحر). استمر الهتاف الصاخب عندما وجد لاريو جويس، بعدما بحث عنه في كل مكان، خلف شاشة في الغرفة الخلفية، وجذبه خارجًا وهو يحمرّ خجلًا، وقبله في الخدين على الطريقة الفرنسية.

سعدت أدريان بنجاح خطتها، وسعدت أنها أيضًا. وخطر لي أن الضيافة الفرنسية للكاتب الإيرلندي كانت مؤثرة جدًا.

عانى مؤلف يوليسيس آنذاك من صعوبة تدبير أمور المعيشة. وأنا نفسي لم أكن ميسورة الحال؛ فالموارد المحدودة لشكسبير أند كومباني كانت مهددة بالتقهقر في بعض الأحيان، ولم أرفض صرف الشيكات التي أرسلتها شقيقتي اللطيفة هولبي، وابنة عمي العزيزة ماري موريس وحفيدتها مارغريت ماكوي اللتان تعيشان في حي أوفربروك بولاية بنسلفانيا. كانت الإيجارات ضئيلة في باريس، ولا أحد سواي وميرسيني، إذًا، وبمجرد سداد النفقات العامة، فلا شيء يدعو للقلق. لكن الكتب، آه! كانت غالية، وعندما يحين وقت دفع تكاليفها، بالعملة الإنجليزية أو الأمريكية. بدا الأمر وكأن شكسبير أند كومباني في طريقها إلى الهاوية. دائمًا ما أنفق جويس على نفسه وعائلته عبر التدريس. في تلك اللحظة، كان يعمل لسبعة عشر ساعة في اليوم لإنهاء يوليسيس، بيد أنه لم يكن يجني شيئًا. وأنفق منذ فترة طويلة كل مدخراته مع الهبات. تضمن عملي في نشر يوليسيس تجنب المؤلف الوقوع في الإفلاس. والمساعدة التي يمكن لبائعة كتب وناشرة أعمال المؤلف أن تمنحها لعائلة من أربعة أفراد كانت - كما يتخيلها المرء - شحيحة إلى حد ما. ولكن، كانت القاعدة أنه لم يكن ثمة أحد يمكن لجويس أن يلجأ إليه سواي. كان جويس شديد الارتياح في الأمور المالية، وللتدليل على ذلك، يكفي على المرء أن يطلع على دفتره الخاص عندما كان يقطن فندق كورنيل أيام دراسته الطب<sup>1</sup>، حيث دوّن التواريخ والمبالغ التي استعارها وأسماء الدائنين. تظهر الملاحظات أيضًا أن القروض كانت تُسد، في

1 في باريس عام 1902، ولم يكمل دراسته.

اليوم التالي على الأغلب، حتى وإن كان ذلك يعني تجويع نفسه - انظروا إلى صورته التي التقطت في باريس آنذاك. لكن، وفي اليوم التالي، يدون جويس أنه استعار مجددًا المبلغ نفسه ومن نفس الصديق. أمر ظريف جدًا، إن لم يكن مفاجئًا! مكتبة سر من قرأ

أراني جويس دفتره، وهو يبتسم بخجل كعادته. كان النظام نفسه، ولكن مع صديق آخر هذه المرة. تأتي مبالغ صغيرة وتذهب بين خزانة مكتبة شكسبير وجيب جويس، وتطفو على سطح أوراقي قصاصات تخبرني بأن «خزائن ج.ج.» فارغة مجددًا. كانت المبالغ ضئيلة، وجهود المدين لتكييف مطالبه وفق موارد الدائن كانت مثيرة للشفقة.

استمر هذا الوضع لبرهة، وكان فعالًا طالما تأسس على نمط «جيئة وذهابًا». ثم لاحظت بانتباه، ومع تزايد نفقات جويس، أن نمطنا المعتاد قد أخذ في التغيير، وبأن المبالغ تذهب دون رجعة. وفي الواقع، بدأت المبالغ تتخذ شكل دفعات مقدمة من أجل يوليسيس. ما التصرف الذي سيبدو طبيعيًا في الحالات العادية؟ رائعًا بقدر إعجابي بيوليسيس، فالبشر يعنون لي أكثر من الأعمال الفنية. بيد أن دوري بصفتي ناشرة عليها أن تخرج ذلك الكتاب - يوليسيس - إلى الجمهور، وإدارة مكتبة، وبدا الأمر لي وكأننا على وشك الإفلاس.

ظهر جويس ذات يوم، وكنا فيه على حافة كارثة، وبدا عليه الحماس، وأعلن أنه سمع أخبارًا عن الآنسة هاريت ويفرا، التي أرسلت له مبلغًا كبيرًا، مبلغًا، كما وصفه، سيمده بدخل يكفيه لبقية حياته.

ابتهجت وجويس معًا لتلك المعجزة، ابتهج جويس لأن سخاء  
الآنسة ويفر أزال واحدًا من أسوأ مشاكله، أما أنا فقد سعدت من  
أجله، ومن أجلي أيضًا. كانت انفراجة هائلة أشعرتني بالقدرة على نشر  
يوليسيس الآن، وأن شكسبير أند كومباني تحررت من العبء، إن جاز  
لنا القول.

أعطت الآنسة ويفر - «القديسة هاربيت»، كان اللقب الذي أطلقتته  
عليه لوسيا، كما أخبرتني الآنسة جولاس<sup>1</sup> - جويس ما يكفي أحدهم  
كي يعيش عليه لبقية حياته، ولكن ليس في حالة جويس. لم يمض  
وقتٌ طويلٌ حتى عاد جويس إلى حالة العوز، وقدمت الآنسة ويفر  
المساعدة مجددًا. على كل حال، فقد حظينا بلحظة من الفرج.

---

1 ماريا زوجة يوجين جولاس، كاتب وناقد ومترجم أميركي (1894 - 1952).

## زبونبى الأفضل

كان الزبون الذى أحببناه، والذى لم يوقعنا فى مشاكل، شاباً يمكنك رؤيته فى كل صباح بزواية شكسبير أند كومباني يقرأ المجلات أو للكابتن ماريات<sup>1</sup> أو غيرها من الكتب. كان ذلك الزبون هو إرنست هيمنغواي، الذى قدم إلى باريس فى نهاية عام 1920 حسبما أذكر. «الزبون الأفضل» كما أطلق على نفسه، كان لقباً لا يمكن لأحد منازعته عليه. حملنا إجلالاً عظيماً لزبون لم يكن زائراً عادياً فحسب، بل ينفق أموالاً على الكتب، وتلك صفة مرضية لصاحب مكتبة صغيرة. غير أن هيمنغواي حببني بنفسه حتى وإن لم ينفق شيئاً فى محلي. شعرت بدفء الصداقة مع هيمنغواي منذ اللقاء الأول. أعطى شيروود أندرسون صديقيه «الشابين السيد والسيدة إرنست هيمنغواي» من شيكاغو رسالة تعريف منه إليّ، وما زالت فى حوزتي، ويُقرأ منها:

1 فريدريك ماريات، ضابط بحري بريطاني وروائي (1792 - 1848).

أكتب إليك ذلك الإشعار لأَعْرِفَكَ على صديقي إرنست هيمنجواي،  
الذي سيذهب برفقة السيدة هيمنجواي إلى باريس للعيش، وسأطلب منه  
أن يلقي بهذه الرسالة في صندوق البريد بمجرد وصوله إلى هناك.  
السيد هيمنجواي كاتب أميركي على صلة غريزية بكل ما هو جدير  
من بين كل ما يجري هنا وأنا على ثقة أنك ستجدين أنه من المبهج  
التعرف إلى السيدة والسيدة هيمنجواي.

بيد أنني قد تعرفت إلى آل هيمنجواي قبل مدة من تذكرهما للرسالة  
وتقديمها لي.

دخل هيمنجواي المكتبة ذات يوم، ورفعت رأسي فرأيت شابًا طويلًا  
أسمرَ وذا شارب صغير، سمعته يقول، وبصوت عميق، عميق، إنَّه  
إرنست هيمنجواي. دعوته للجلوس والحديث، وعلمت أن أصوله من  
شيكاغو، وعلمت أيضًا أنه قد قضى سنتين في مستشفى عسكري، وأنه  
قد عاود السير على قدمه. ما الذي حدث لرجله؟ أخبرني مبررًا، كصبي  
يعترف بتورطه في شجار، بأنَّه قد تعرَّضَ لجرح في الركبة، بسبب القتال  
في إيطاليا. هل أود رؤية الجرح؟ أود ذلك بالطبع. كان العمل متوقفًا  
في شكسبير أند كومباني عندما خلع هيمنجواي حذاءه وجوربه، وأراني  
الندبات المخيفة التي تغطي رجله وقدمه. حظيت الركبة بالإصابة الأسوأ،  
بيد أن القدم قد أصيبت بشدة أيضًا، قال إنها بسبب شظية متفجرة. ظن  
العاملون في المستشفى بأن هيمنجواي على حافة الموت، وتساءلوا عن  
تدبر طقوس دينية أخيرة، لكن ذلك قد تغير، إذ وافق هيمنجواي بوهنٍ  
على إجراء طقوس المعمودية «في حال إن كانوا على حق» كما قال.



لذا، تم تعميده هيمنغواي. سواء تم تعميده أم لا - وسأقول ذلك سواء أطلق عليّ هيمنغواي النار أم لا - لطالما شعرت على الدوام بأن في داخله رجلاً متديّناً. كان هيمنغواي صديقاً عظيماً لجويس، وأشار لي جويس يوماً أنه قد ظن أن هناك خطأ ما، بأن هيمنغواي يظن نفسه شخصاً قاسياً بينما حاول مكالمون أن يضع نفسه في صورة الشخص الحساس، بينما العكس هو الحقيقة. لقد كشف جويس عن حقيقتك يا هيمنغواي!

أسرّ لي هيمنغواي أنه قد كان ما يزال «الصبّي ذو البنطال القصير»<sup>1</sup> قبل أن يترك الدراسة من المرحلة الثانوية، حتى مات والده في ظروف مأساوية فجأة، تاركاً له مسدساً كإرث وحيد. وجد هيمنغواي نفسه كبير العائلة، واعتمدت عليه والدته وأشقّاؤه وشقيقته، واضطر إلى ترك المدرسة والبدء في كسب العيش. وجنى أول مبلغ من مباراة في الملاكمة، ولكن، ووفق ما جمعته من معلومات، فإنه لم يستمر طويلاً في الملاكمة. تحدث هيمنغواي بمرارة عن صباه، ولم يخبرني بالكثير عن حياته بعد تركه للمدرسة. وكسب عيشه من وظائف عديدة، ومن ضمنها الصحافة، وأعتقد، أنه توجه لاحقاً إلى كندا لتغطية الأخبار هناك ثمّ تقدّم للقوات المسلحة. كان صغيراً في السن إلى درجة أنه قد اضطر إلى تزوير عمره كي يُقبل.

# مكتبة

t.me/soramnqraa

---

1 كناية عن الطفل الصغير عديم الخبرة في الحياة، تستخدم غالباً للإهانة.

كان هيمنغواي شابًا ذا علم واسع، وتعرف على بلدان عديدة ولغات عدة تعلمها من تجاربه المباشرة لا من الجامعات. وبدالي أنه قد بلغ سريعًا إلى ما هو أبعد مما وصله أي من الكتاب الشباب الذين عرفتهم. وعلى الرغم من بعض الصبائية، فقد كان حكيماً ومعتمداً على نفسه بشكل لا مثيل له. حصل هيمنغواي في باريس على وظيفة مراسل أخبار رياضية لصالح صحيفة تورنتو ستار، ولا شك أنه جرّب الكتابة السردية قبل ذلك. جلب هيمنغواي هادلي زوجته الشابة لكي تراني. كانت هادلي شخصية جذابة، ووظيفة على نحو مبهج. وكانت معرفة هيمنغواي باللغة الفرنسية ملفتة، وتدبر بطريقة ما الوقت لقراءة المنشورات الفرنسية ومنشوراتنا كذلك.

أخذت الصحافة الرياضية هيمنغواي إلى كل الأحداث المتعلقة بهذا المجال، وتضمنت قدراته اللغوية على المصطلحات الشعبية حتى، هذا العالم من الرياضات ولم يسبق لصاحبي آل هيمنغواي في المكتبة، أدريان وسيلفيا أن ولجتا هذا العالم من الرياضات من قبل، لكننا مستعدتان للتعرف على هذا العالم، وتصدى هيمنغواي لهذه المهمة.

ابتدأنا دروسنا بالملاكمة. ذات ليلة، توقف معلمانا هيمنغواي وهادلي عندنا، ثم انطلقا بنا عبر المترو إلى إقليم مينيلمونتان الجبلي الذي يقطنه العمال، والرياضيون، وعدد من القساة. وفي محطة بالبور، صعدنا السلالم المنحدرة وهادلي تلهث منتظرة وصول ابنها بومبي (جون هادلي هيمنغواي) بمساعدة زوجها. قادنا هيمنغواي إلى حلبة الملاكمة، حلبة صغيرة إلى درجة كان عليك أن تعبر من خلال ما يشبه الفناء الخلفي للوصول إليها، ووجدنا مكانًا للجلوس على مساطب ضيقة بلا مساند للظهر.

بدأت النزالات وبدأنا التعلم. طمأننا هيمينغواي عندما تأرجحت أذرع الصبية في المباريات التمهيدية ونزفوا بغزارة إلى درجة أننا خشينا أنهم سينزفون حتى الموت، فقال إنها مجرد ضربات ونزيف بالأنف. تعلمنا بعض قواعد اللعبة، وعلمنا أيضاً، بأن تلك الشخصيات غير واضحة المعالم، والتي تتجول في الحلبة دخولاً وخروجاً، وبالكاد يلقون نظرة على الملاكمين، ويناقدون أنفسهم بين الحين والآخر، هم في الواقع مديرو أعمال يزورون الحلبة بحثاً عن مواهب جديدة وواعدة. مع حلول موعد الحدث الكبير، كان أستاذنا منهمكاً جداً في مشاهدة اللكمات إلى درجة أنه لا يمكن لتلميذته أن تعتمدا عليه في مسألة المعلومات، فاضطرتا لتلقي المعلومات من دونه.

أدت المنازلة الأخيرة إلى منازلة أخرى - شارك فيها المتفرجون؛ انقسمت الآراء بشأن قرار الحكم، فنهض الجميع عن الدكك وقفز كل منهم على الآخر - نسخة حقيقية من أفلام الغرب الأميركي. خشيت أننا قد «نُحاصِرُ» من قبل هذا الكم من الضرب والركل والسياح والاندفاع جيئةً وذهاباً، وبأن هادلي قد يصاب في العراك. سمعنا صيحات تنادي «الشرطة! الشرطة!» ومن الجلي أن النداء لم يصدر من قبل رجال الشرطة الذين كان حضورهم إلزامياً في أماكن الترفيه بفرنسا، سواء أكان المسرح الوطني الفرنسي، أم حلبة ملاكمة في مينيلمونتان.

سمعنا صوت هيمينغواي وسط الجلبة متعجباً ومبدئياً عدم رضاه: «بطبيعة الحال فإن الشرطة متواجدة في المبولة العمومية!»<sup>1</sup>

---

1 قالها بالفرنسية.

لاحقًا، ركبْتُ وأدريان الدراجة تحت إشراف وتأثير هيمنغواي، لم يعنِ ذلك أننا لم نمارس رياضة الدراجات قبلاً، بل شاركنا بمعية معلمنا في سباق «السته أيام»؛ سباق ذهاب وعودة في حلبة فيلودروم الشتوية، الحدث الأكثر شعبية في الموسم الباريسي بلا منازع، حيث تقضي الجماهير أيام السباق في المشاهدة الآنية للرجال المحدودة ظهورهم على دراجاتهم، ويدورون ببطء حول الحلبة ثم يتسارعون على نحو مفاجئ ليل نهار، وسط أجواء من الدخان والغبار والنجوم التي تزين الحلبة، ويتخلل ذلك دوي الأصوات العالية للمتحدثين. فعلنا ما في وسعنا لمتابعة ما يقوله لنا المعلم، بيد أنه نادرًا ما استطعنا تمييز كلماته وسط الضجة. لسوء الحظ، فإنني وأدريان لم نستطع تخصيص سوى ليلة واحدة لهذه الرياضة التي وجدناها جاذبة للانتباه، وما الذي لا يعد جاذبًا للانتباه برفقة هيمنغواي؟

كان في انتظارنا حدثٌ أكثر إثارة؛ تملكني انطباع بأن هيمنغواي يعمل جاهدًا على بعض القصص القصيرة. وأخبرني يومًا ما بأنه قد أنهى إحداها، وسألني ما إن كنت وأدريان مهتمتان بسماعها. حضرنا الحدث بلهفة، الحدث الذي يعني الكثير بالنسبة إلينا، كنت وأدريان كمثل أولئك الأشخاص غير واضحي المعالم، الذين كانوا يحومون حول حلبة بالبور بحثًا عن المواهب. ربّما لم نكن نعرف الكثير عن الملاكمة، ولكن عندما يتعلق الأمر بالكتابة، فالعكس هو الصحيح. لكم أن تتخيلوا سعادتنا بالجولة الأولى من قصص هيمنغواي!

قرأ علينا هيمنغواي إحدى قصص مجموعته في تلك الفترة. تأثرنا بأصالته، وبأسلوبه الذي لا يشبه أحدًا، وحرفيته الماهرة ونسقه، موهبته الحكائية وحسه الدرامي، وقدرته على الإبداع - حسنًا، يمكنني

الاستمرار في وصفه، لكن أدريان اختصرت هيمنغواي بالقول: «لدى هيمنغواي طباعُ الكاتب الحقيقي».

يعد هيمنغواي اليوم الأب الشرعي للسرد الحديث بلا شك. لا يمكنك فتح رواية أو قصة قصيرة في فرنسا، أو إنجلترا، أو ألمانيا، أو إيطاليا أو في أي مكان آخر من دون أن تجد أثرًا لهيمنغواي. ووصلت أعماله إلى الكتب المدرسية، وهي أكثر إمتاعًا للأطفال من الأعمال التي تعد أساسية وذلك من حسن حظهم!

على الرغم من أن السؤال عن الأسبق بالتأثير على مستوى الكتابة لم يزعجني البتة، وأن الكاتب البالغ لا يبقى مستيقظًا طوال الليل يتساءل بمن تأثر من الكتاب، أظن أن على قراء هيمنغواي معرفة من علم هيمنغواي الكتابة: هيمنغواي نفسه. لقد أجاب هيمنغواي عن ذلك، مثل كل الكتاب الأصليين، «إن أردت أن تجعل من عملٍ ما «جيدًا»، فكل ما عليك فعله، هو أن تكتب».

كانت أدريان مونييه أول معجبة فرنسية بهيمنغواي، وأول من نشر قصة له مترجمة إلى الفرنسية والتي حملت عنوان «الصامد» في مجلتها الأدبية السفينة الفضية، وجذبت القصة انتباهًا كبيرًا من القراء.

يكسب هيمنغواي القراء إلى صفه في تجربتهم الأولى معه. أتذكر حماس جوناثان كيب تجاه أول عمل قرأه لهيمنغواي؛ إذ سألتني السيد كيب، الناشر الإنجليزي لأعمال الكولونيل لورنس<sup>1</sup> وجويس، في واحدة من زيارته إلى باريس، لمن عليه أن ينشر بين الكتاب الأميركيين،

---

1 لورنس العرب.

فقلت له: «تفضل، اقرأ لهيمنغواي!» - هكذا أصبح السيد كيب الناشر الإنجليزي لأعمال هيمنغواي.

كان هيمنغواي جادًا وذا كفاءة في كل ما فعله، حتى وإن تطلب الأمر رعاية رضيع؛ عاد هيمنغواي وهادلي إلى باريس بعد زيارة قصيرة إلى كندا، وجلبا معهما «أفضل زبون» آخر هو جون هادلي هيمنغواي. مررت ذات صباح على هيمنغواي فوجدته يُحَمِّمُ الطفل. ذهلت من تعامله الرشيق مع بومبي. كان افتخار هيمنغواي بأبوتّه مستحقًا، وسألني إن كنت أعتقد بأن له مستقبلًا في العمل مربيًا للأطفال.

داوم بومبي على ارتياد شكسبير أند كومباني قبل أن يستطيع المشي، حيث يحمله والده بعناية فائقة، ويمضي الأخير وقته في قراءة آخر الدوريات، وعليّ القول بأن تلك ممارسة تتطلب براعة في حمل الأطفال. أما بالنسبة إلى بومبي، كان كل شيء على ما يرام طالما محبوه البابا معه، وأهدى أولى خطواته إلى من أسماها «سيلفر بيتش». بوسعي أن أراهما، الأب والابن، يأتیان يدًا بيد صعودًا إلى الشارع. ثم ألحظ بومبي وهو جالس على كرسي مرتفع، ويراقب والده بشكل خطير، من دون أن يُظهر ضجرًا، منتظرًا من والده أن يرفعه من كرسيه أخيرًا، لا بد من أن الانتظار كان طويلًا [على بومبي] في بعض الأحيان. وأخيرًا أراقبهما وهما ينطلقان، لا للعودة إلى المنزل، بل بيتعدان عن سبيل هادلي التي تقوم بالأعمال المنزلية إلى المطعم الصغير الواقع في الزاوية، حيث يجلسان على طاولة، ويسبقهما مشروبهما - الرمان هو شراب بومبي - ويراجعان معا كل التساؤلات التي طُرحت اليوم.

زار الجميع إسبانيا حينذاك، حيث تنوعت الانطباعات. وجدت غيرترود ستاين وأليس ب. توكلاس البلاد مسلية، أما الآخرون فقد ذهبوا لرؤية مصارعة الثيران، حيث صدموا بما شاهدوه، وغادروا قبل نهاية العرض. كُتب عن مصارعة الثيران من وجهة نظر أخلاقية وجنسية، وكُتب عنها بوصفها رياضة ترتبط بالألوان البراقة، وجمالياتها التصويرية وكل ذلك. يرى الإسبان عادة بأن أي شيء يقوله الأجانب عن الثيران محيّرٌ بجانب أنه باطل من الناحية العملية.

شرح هيمنغواي، وعلى النقيض من الآخرين، بالتعلم والكتابة عن الثيران بجديته المعتادة، وأسلوبه الكفاء، وبذلك حظينا بكتاب موت في الظهيرة على أطروحة متكاملة عن مصارعة الثيران. وأقرت إحدى صديقاتي الإسبانيات، وهي أصعبهن في الإرضاء، بأن الكتاب ممتاز. واحتوى الكتاب على بعض من أفضل ما كتبه هيمنغواي.

الكتاب الجيدون عملة نادرة، وإن كنت ناقدة، سأشير فقط إلى ما أعتقد أنه يجعلهم موثوقًا بهم وممتعين. كيف يمكن لأحد ما شرح غموض الإبداع؟ باستطاعة هيمنغواي تحمل أي قدر من الانتقادات التي يطلقها على نفسه، هو أكثر النقاد حديّة إزاء نفسه، ولكنه، وكحال جميع زملائه الكتاب، يعاني من حساسية مفرطة تجاه انتقادات الآخرين له. صحيح أن بعض النقاد خبراء على نحو مؤسف في طعن الضحايا برؤوس أقلامهم الحادة وبيتتهجون عندما يتلوى ضحاياهم من الألم. نجح ويندهام لويس في جعل جويس يتلوى من الألم، وجرى التطرق إلى مقاله عن هيمنغواي والمعنون بـ «الثور الهائج» في المكتبة، ويؤسفني القول، أن المقال أثار غضب هيمنغواي إلى درجة أنه لكم رؤوس ثلاث درزينات من زهور التوليب، جاءني هدية بمناسبة عيد

ميلادي. ونتيجة لذلك، تبعثت محتويات المزهرية على الكتب، ثم جلس هيمنغواي بعد ذلك على مكتبي وكتب شيكاً لصالح سيلفيا بيتش بمجموع غطى الأضرار بمقدار الضعفين.

كوني بائعة كتب وأمينة لمكتبة إعارة، فقد أوليت اهتماماً بعناوين الكتب أكثر من الآخرين الذين يجتازون مستهل الكتاب على عجلة من دون انتباه. أظن أنه من اللازم أن تمنح عناوين كتب هيمنغواي الجائزة الأولى في أي مسابقة. كل عنوان من عناوين كتبه هو قصيدة، وقواها الغامضة على القراء تسهم في نجاح هيمنغواي. تملك عناوين كتبه حياتها الخاصة، وأثرت المفردات والألفاظ الأميركية.



## أولى نسخ يوليسيس

سرت شائعة عن ظهور قريب ليوليسيس. أصبحت الصفحات المدققة التي انتهت بحلقة بنلوب<sup>1</sup> بين يديّ كان يوم ميلاد جويس، الثاني من فبراير، على وشك الاقتراب، وأعلم أنه يتوق بشدة للاحتفال بيوليسيس في اليوم نفسه. أجريت حديثاً مع دارانتير، وقال إنّ المطابع عملت بأقصى جهد ممكن، لكنه عليّ الانتظار لفترة أطول قليلاً من أجل يوليسيس. لم تكن جهوزية يوليسيس في الثاني من فبراير ممكنة. سألته، إن كان يسمح بفعل ما هو مستحيل - أن أحظى بنسخة واحدة على الأقل من يوليسيس لأضعها بين يدي جويس في يوم ميلاده. لم يقطع وعداً، لكنني أعرف دارانتير، ولم أفاجأ عندما تلقيت برقية منه في الأول من فبراير، طالباً مني انتظار القطار السريع القادم من ديجون في الساعة من صباح اليوم التالي، حيث أجد نسختين من يوليسيس لدى محصّل القطار.

---

1 الحلقة الأخيرة من الرواية.

وقفت على رصيف المحطة، وقلبي ينبض كالقاطرة، وريثما توقف قطار ديجون تمامًا ورأيت المحصل يخرج من القطار، حاملاً طردًا وينظر في الأرجاء بحثًا عن أحد ما - أنا. في غضون دقائق، ضغطت على جرس باب آل جويس مسلمة النسخة رقم 1 من يوليسيس. حدث ذلك في الثاني من فبراير عام 1922.

خُصصت النسخة رقم 2 لشكسبير أند كومباني، وارتكبت خطأ في وضعها على نافذة العرض. انتشرت الأخبار على وجه السرعة في مونبارناس والأقاليم المحيطة بها، وفي اليوم التالي، وقف المشتركون في طابور أمام المكتبة قبل الافتتاح، مشيرين إلى يوليسيس. لا جدوى من شرح أنه لم تصدر سوى نسختين من يوليسيس. وبدوا أنهم سوف يسلبون نسختي من يوليسيس المعروضة على النافذة ولم يكن لدي شك في ذلك ولربما سيتقاسمون صفحاتها بينهم للتداول، لولا أنني تصرفت سريعًا ونقلتها إلى مكان آمن.

عبر جويس عن تقديره لهديته عيد ميلاده بكتابة ملحوظة: «لا أستطيع أن أترك اليوم يمر من دون أن أشكر على كل المتاعب والقلق الذي وضعت نفسك فيهما من أجل كتابي خلال العام الماضي». واحتفل بظهور يوليسيس بكتابة بعض الأبيات الهزلية وأهداها إلى  
الناشرة:

من هي سيلفيا، وما هي  
التي يشيد بها الكتاب كافة ها هي؟  
أميركية، شابة وشجاعة هي  
أعارها الغرب بسرعة متناهية  
جميع الكتب الممكن نشرها ها هي

أهي ثرية بقدر ما هي شجاعة لا تقعات  
فالثروة غالبًا للآنسات الجسورات  
من أجلها الحشود هاجت وماجت  
للاشتراك في يوليسيس التي راجت  
لكن، بما أنهم وقعوا،  
فقد ترووا قبل الفوات

دعونا إذا نغني لسيلفيا  
وأكاذيبها الجريئة في البيع هي  
في مقدورها بيع أي شيء فان  
وهذا أمر مسلم به الآن  
فدعونا نجلب المشترين لها  
ج.ج تيمناً بـ و.ش<sup>1</sup>

ها هنا يوليسيس أخيراً، في غلاف ذي لون أزرق يوناني يحمل العنوان واسم المؤلف في حروف بيضاء. وها هي الصفحات السبعمئة واثنان وثلاثون «كاملة كما كُتبت»، وبمعدل نصف إلى دزينة من الأخطاء المطبعية في كل صفحة - اعتذرت الناشرة عن الأخطاء بقصاصة وضعت في النسخ.

كانت الفترة التي تلت نشر الكتاب مباشرة شيقّة إلى درجة أن جويس لم يستطع الابتعاد عن الناشرة خوفاً من أن يفوته شيء ما، وسخّر نفسه لمساعدتنا (!) في الطرود، واكتشف أن وزن كل نسخة يبلغ كيلو وخمسمئة وخمسة غرامات. لاحظنا ذلك أيضاً عندما بدأنا في حمل الطرود إلى مكتب البريد القريب في زاوية الشارع. بدد جويس الصمغ على الملصقات، والأرض، وشعر رأسه، وحشني على جلب نسخة لفلان أو آخر إن كان قد دفع سلفاً، وفكر قائلاً «يتوجّب علينا إرسال الطرود الإيرلندية، فيما أنّ المدير العام الجديد لمكتب البريد الإيرلندي ولجنة الرقابة بأيدي الكهنة فإنك لا تعلمين ما سوف يحصل بين اليوم واليوم الذي يليه».

تمكنا من إزالة بعض الصمغ من شعر رأس جويس بواسطة «مزيل» كان بحوزتنا، ووصلت جميع نسخ يوليسيس بأمان إلى أيدي المشتركين في إنجلترا وإيرلندا قبل أن تفتن السلطات. في الولايات المتحدة، تلقى كوين وواحد أو اثنان من المشتركين نسخهم، لذا أرسلت بقية النسخ في أسرع وقت ممكن إلى هناك. أرسلت دفعة أولى، تلتها دفعات أخرى، ثم اكتشفت أن جميع النسخ قد صودرت في ميناء نيويورك. أوقفت إرسال الشحنات، وطال انتظار المشتركين المساكين، بينما بدأت في البحث عن مساعدة.

لم يعد سرًّا الآن بأن البطل يوليسيس لديه أصدقاء من ذوي المنزلة الرفيعة، أو صديقة بالأحرى - في الواقع، هي الآلهة مينيرفا<sup>1</sup>. وتظهر متخفية في شخص ما أو آخر، وتخفت هذه المرة في شكل ذكوري جدًا هو إرنست هيمنغواي.

آمل بأن ما سأكشفه في السطور التالية لن يوقع هيمنغواي في متاعب مع السلطات - من المؤكد أنهم لن يضايقوا شخصًا فائزًا بجائزة نوبل - لكن نسخي من يوليسيس اخترقت الولايات المتحدة بفضل هيمنغواي.

وضعت مشكلتي أمام مينيرفا-هيمنغواي، وقال «امنحني أربع وعشرين ساعة»، وعاد في اليوم التالي مع خطة. سمعت بأن صديقًا له في شيكاغو، صديق فاضل يدعى برنارد ب.، وأسميته القديس برنارد بسبب العون الذي قدمه، وقال إنَّه سيطلعني على الطريقة التي سوف تسير بها الأمور.

كتب إليَّ الرجل وأخبرني أنه ماض في استعداداته وبأنه سينقل إلى كندا. وسألني ما إذا كنت مستعدة لدفع إيجار أستديو في تورنتو، ووافقت على ذلك بالطبع. ثم أرسل إليَّ عنوان محل إقامته الجديد طالبًا مني شحن جميع النسخ إليه هناك. أرسلت النسخ، ووصلته بأمان لعدم صدور منع بحق يوليسيس في كندا. تطلب العمل الذي تصدى له بيرنارد إقدامًا كبيرًا وقدرة على التحايل، كان عليه أن يعبر الحدود ومعه مئات من تلك الكتب الضخمة.

1 آلهة العقل والحكمة لدى الرومان.

ركب [برنارد] العبارة يوميًا، حاشراً نسخة من يوليسيس داخل بنطاله، حسبما وصف لي لاحقًا. جرى ذلك في أيام التهريب<sup>1</sup>، ما يعني أنه كان محاطًا بشخصيات غريبة الأطوار، مما زاد من خطر تعرضه للتفتيش.

مع تقدم سير العمل، وانخفاض عدد النسخ المتبقية إلى عشرات قليلة، تهيأ لبرنارد أن المسؤولين في الميناء بدأوا في مراقبته بريبة. كان خائفًا من أنهم قريبًا سوف يستفسرون عن الطبيعة الحقيقية لعمله - المفترض أن يكون يبعه لرسوماته - والذي يجعله يركب العبارة ذهابًا وإيابًا بصورة يومية. عثر برنارد على صديق أظهر رغبة في مساعدته، وركب الاثنان العبارة بشكل يومي، ومع كل واحد منهما نسختان، إذ اضطررا لتسريع وتيرة العمل - نسخة في الجانب الأمامي من البنطال وأخرى في الخلف، كحالة إثبات الأبوة.

يا له من حمل ثقيل انزاح عن ساعدَي صديقنا، وصديقه أيضًا، عندما أوصلنا آخر المجلدات الكبيرة إلى الجانب الآخر!  
لو أن جويس قد توقع كل تلك الصعوبات، لربما قد أَلَف كتابًا أصغر حجمًا.

بأية حال، على مشتركَي يوليسيس في أميركا الذين تلقوا نسخهم أن يعلموا أنه عليهم شكر هيمينغواي وصديقه الفاضل على تلك الطرود الضخمة التي وصلت يومًا ما إلى منازلهم من قبل البريد الأميركي السريع. في غضون ذلك، احتل كل من جويس ويوليسيس المكتبة في شارع أوديون بشكلٍ عمليّ. تولينا مراسلات جويس، وكنا لأجله مصرفيين

---

1 إشارة إلى تهريب الخمور المحظورة في الولايات المتحدة بين عامي 1920 و1933.

ووكلاء أعماله وسعاة. ورتبنا له مواعيده، وأكسبناه أصدقاء، وأدرنا شؤون ترجمات عمله كي تنشر في ألمانيا وبولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا. اعتاد جويس أن يصل إلى المكتبة في ظهيرة كل يوم. ولم يأبه وناشرة عمله بتناول الغداء. وغالبًا ما كان يعود إلى المكتبة ليلاً في حال تطلب إتمام المزيد من الأعمال.

مع تنامي شهرة جويس، كان علينا، وفقاً للظروف، أن نحفز أو نثني، نرحب أو نتعامل بفضافة مع المزيد والمزيد من الأصدقاء، الغرباء، المعجبين والصحافيين الذين يبحثون عن جويس. بيد أنه كان علينا التعامل معهم في المكتبة بطريقة ما أو بأخرى، أو تجنيبهم إذا تطلب ذلك، الاقتراب من الرجل العظيم.

كانت لدي الحرية بالطبع في رفض تقديم كل تلك الخدمات، وإن كنت قد قبلت ذلك العمل الجويسى، فذلك لأنني استمتعت به كثيرًا.

### صورة للسيد بلوم

علمت من مؤلف يوليسيس ذاته، كيف كان شكل السيد بلوم<sup>1</sup>؛ سألتني جويس يومًا إن كنت أود في كتابة رسالة إلى السيد هولبروك جاكسون<sup>2</sup>، المحرر لمجلة مراجعات أدبية صغيرة تدعى تو-داي [اليوم]، وأطلب منه أن يرسل إليّ صورة شخصية له. كنت على معرفة بتلك المجلة، التي نشرت مقالاً عن مكتبة أدريان مونييه، ومقالاً لطيفاً عن عمل جويس. لم يقل جويس إنّه وجاكسون قد التقيا من قبل،

1 بطل رواية يوليسيس.

2 صحافي وكاتب وناشر بريطاني (1874 - 1948).

ولكنني أتصور أنهما قد التقيا، على الأرجح في زيارة جويس الأولى إلى لندن. على أية حال، بدا لي أنهما مهتمان ببعضهما البعض منذ سنوات مضت.

وصلت الصورة، أريتها إلى جويس، دقق فيها لبرهة وبدا محبطاً، ثم سلمها لي قائلاً: «إن أردت معرفة كيف يبدو ليوبولد بلوم فما هو من يجسده» ولكن، استطرد قائلاً: «لا تجسد هذه الصورة الشبه بشكل جيد. لا يبدو مثل بلوم كثيرًا هنا». احتفظت بالصورة على كل حال، كانت الصورة الوحيدة التي حظيت بها للسيد بلوم.

### «تلك الخربشات الخاصة بي»

كُتِبَ في رسالة غير مؤرخة، لا بد من أن جويس قد كتبها في المكتبة وأنا في الخارج، لأنها خُطَّت على قرطاسية شكسبير أند كومباني:

العزيزة الأنسة بيتش: ما دُمّت تدفعين المئات من الفرنكات على البريد من أجل خربشاتي فمن المحتمل أنك تتمنين الحصول على مخطوطة أهالي دبلن لذا سوف أعطيك إياها في حال وصولها. سوف أبيع البروفة الورقية للطبعة الأولى فقط. أعتقد بأن جزءًا من أهالي دبلن قد كُتِبَ في دبلن. لدي أيضًا كومة من المخطوطات في تريبستي نسيتهها تمامًا حتى تلك اللحظة وتقدر بـ 1500 صفحة من المسودة الأولى لصورة الفنان في شبابه (مختلفة كليًا عن الكتاب) ...



هل يمكن الاقتطاع من لوح الطباعة تلك الكلمات التي تلي:  
«(كما غناها فولبلاخت) موسيقاً أو. جيانى! كلمات أ. هيمس؛<sup>1</sup>».

(علامة التعجب الثانية مقلوبة بشكل غامض)

مع أطيب التحيات

المخلص لك

جيمس جويس

لا بد من أن تلك الرسالة تعود إلى يناير عام 1922، أظن ذلك، بسبب سؤال جويس إن كان متأخرًا «الاقتطاع من لوح الطباعة تلك الكلمات» وإضافتها إلى يوليسيس. أما «كومة من المخطوطات في تريستي» التي أشار إليها فتضمنت ستيفن بطلاً<sup>2</sup>، وما أطلق عليه «المسودة الأولى لصورة الفنان في شبابه»، و«مخطط أولي لصورة الفنان في شبابه» مدون في دفتر شقيقته ميبيل، بالنسبة إليّ كانت تلك المخطوطات هي الأثمن.

أعطاني جويس أيضاً المخطوطة الأصلية لمجموعته الشعرية موسيقاً الحجرة، والتي قال إنه كتبها على أكبر وأفخم ورق حصل عليه ليقرأ النصوص بصوت عال على بيتس. هذا ما قاله لي على الأقل. كانت المخطوطة غير مكتملة؛ ثلاث من القصائد مفقودة: المرقمة بـ 21 و35 و36. لاحظت أن جويس قد أعطاني تلك المخطوطة في الخامس من أكتوبر، لكنني أهملت تدوين سنة الإهداء والتواريخ التي منحني

1 اقتباس من رواية (بعث آل فينيغان) لجويس.

2 رواية سيرية نشرت بعد وفاة جويس بثلاثة أعوام.

فيها المخطوطات الأخرى. ولكن، وفي المخطوطة الأهم بالنسبة إلى جويس، المخطط الأولي لصورة الفنان في شبابه، وجدت أنه قد كتب تدويناً ووصفاً للمخطط وتاريخ الإهداء.

لاحظ جويس احتفاظي بأقل القصاصات التي خطها بيده. لا شك أنه ظن بعدم وجود شخص يمكنه أن يقدر إهداء تلك القصاصات مثلي أنا، وأعتقد أنه كان محقاً.

شكسبير أند كومباني تأسف لـ..

سرعان ما جنى جويس دخلاً ثابتاً من يوليسيس رغم حقيقة منعها في منافذ البيع الطبيعية وهي البلدان الناطقة بالإنجليزية. وبالطبع، فإن سمعتها بوصفها كتاباً ممنوعاً قد ساعدت في المبيعات. ومع ذلك، فإنه من المحزن أن يدرج عمل كهذا في لوائح الأعمال الإبروتيكية بجانب فاني هيل<sup>1</sup> والروض العاطر في نزهة الخاطر والخالد دوما كازانوف، ناهيك عن الأعمال شديدة الإباحية مثل اغتصاب في القطار<sup>2</sup>. سألني قس إيرلندي، وهو يشتري يوليسيس، إن كانت هناك « كتب جنسية أخرى؟ ».

كتبَ العديد من الكتاب الكبار أعمالاً إبروتيكية، ونجح قلة منهم، مثل بودليير وفرلان، في جعل الأمر مثيراً للاهتمام. وسدد جون كليلاند ديونه بروايته المسلية بقدر ما هي مربحة فاني هيل. من غير الضروري القول إن جويس لم تكن له غاية في ذلك في كتابته ليوليسيس. لم يكن

1 رواية للإنجليزي جون كليلاند (1749).

2 قصة إباحية مجهولة المؤلف (1894).

جويس مختصًا في ذلك النَمَطِ، بل مجردَ كاتبٍ - كل أجزاء الجسد التي وردت في يوليسيس، كما قال هو بحزن، «تُشكّل أقل من عشرة بالمئة من كتابي».

تدفق الكتاب بعد نجاح يوليسيس إلى شكسبير أند كومباني على افتراض أنني سأتخصص في الإيروتيكية. وأحضروا إليّ أفضل نتاجاتهم الإيروتيكية، ليس هذا فحسب، بل أصرُّوا على أن يقرؤوا عليّ منتخبات لا يمكن لها، حسب ظنهم، أن تفشل في إغواء شخصيتي ذات الذائقة المفترضة. على سبيل المثال، أتاني رجل صغير ذو شاربين بواسطة عربة يجرها حصانين - جرّها خصيصًا إلى تلك المناسبة ليثير إعجابي، كما اعترف لي بعدئذ. تأرجحت أمامه ذراعا الطويلتان كالقرد، ودخل المحل، مودعًا على طاولتي طردًا اتخذ شكل مخطوطة، وقدم نفسه على أنه فرانك هاريس<sup>1</sup>. أعجبتُ من قبل بكتابه «شكسبير الرجل»، وأعجبني أيضًا، كما أعجب جويس أيضًا، المجلد الذي خصه لأوسكار وايلد، وخصوصًا تقديم جورج برنارد شو للكتاب وحديثه عن جنون العظمة لدى وايلد. سألت هاريس عما تحويه المخطوطة، ففك الطرد وأراني شيئًا عنونه بحياتي وگرامياتي، وأكد لي أنه ذهب إلى ما هو أبعد ما وصل إليه جويس. وادعى بأنه الكاتب الوحيد بالإنجليزية الذي «نفذ تحت جلد المرأة».

---

1 كاتب أميركي من أصل إيرلندي (1855 - 1931).

بدأت حكايات فرانك هاريس عن أوسكار وايلد في ذلك الوقت تظهر مستهلكة أكثر فأكثر، ومقتبسة بشكل أكثر أو أقل كحال كتابات وايلد. ولم أعر اهتمامًا لحكاياته عن الأمراض التناسلية لدى رجال الدولة الإنجليز. كانت لدى هاريس طريقة رائعة في قراءة الشعر، وعندما استسلم من محاولته لإسماعي كتابه حياتي وغرامياتي، استل من الرف ديوان أغاني الشروق<sup>1</sup> وقرأ منه بضعة سطور كانت محببة إليه. بيد أنني لم أستطع أن أرى كيف يمكن لرجل ذي ذائقة جيدة، ومرتزوج من امرأة فاتنة مثل نيلي هاريس، أن يسقط سقوطًا مدويًا بكتابته لكتاب حياتي وغرامياتي.

اقترحت عليه أن يجرب مع جاك كاهين<sup>2</sup>، الذي كان يبحث دوماً عن «كتب فاحشة»، ووجد كتاب «حياتي وغرامياتي» موطنًا سعيدًا في مطبعة أوبليسك [المسلة].

استمر فرانك هاريس في سلوكه الودي معي على الرغم من خيبة أمله نتيجة لقلّة حماسي إزاء مذكراته. وأقنعت جويس بقبول دعوته لتناول الغداء معه في فندق شاثام، الذي لطالما ارتاده الإنجليز، واشتهر بمطبخه وقبو النبيذ. كان الضيف الآخر صديقًا لهاريس وهو صحافي إنجليزي. اشتبه جويس بأن هاريس ورفيقه يخططان لإيقاعه في فخ لإجراء لقاء صحافي - كان يتجنب الصحافيين دائمًا - وفتح فمه بصعوبة طيلة الغداء، ولم يستجب للحكايات الجنسية لهاريس وصديقه.

1 للشاعر الإيرلندي دينيس ألويشوس مكارثي (1871 - 1931).

2 كاتب وناشر، مؤسس مطبعة المسلة (1887 - 1939).

كان خبثاً مني، لكنني لم أستطع مقاومة إغراء لعب خدعة مع فرانك هاريس. ذات مرة، كان هاريس متعجلاً للحاق بالقطار المتجه إلى نيس، توقف عند المكتبة من أجل شيء يقرؤه في الرحلة الطويلة. سألتني إن أمكنني اقتراح شيء مشوق؟ جالت عيناى على امتداد الرف حيث احتفظت ببضعة مجلدات لتاوشنيتز، وسألته إن كان قد قرأ نساء صغيرات. قفز هاريس نحو العنوان، ومع هوس كهوسه استوعب العنوان وفق المفهوم الفرنسي، فاختطف مجلدي رواية لويزا ألكوت «الجنسية» وأسرع الخطى باتجاه محطة القطار.

اعتراني الندم عندما رأيته في المرة التالية؛ لم يأتِ على ذكر الخدعة، ولكنه كان ممتعضاً على نحو جلي وهو الذي لطالما كان رائعاً. شهدت نتيجة خباثة أساليبي.

أما الكتاب التالي الذي أرغمت على رفضه فكان عشيق الليدي تشارتلي. لم أعجب بهذا العمل الذي وجدته الأقل إمتاعاً من بين نتاجات المؤلف، بيد أنه كان من الصعب جداً رفض نداء لورنس لإنقاذه.

كان وضع عشيق الليدي تشارتلي يائساً وفق اثنين من أصدقاء لورنس اللذين جاءا طالبين مني تولي نشر الرواية. كان ريتشارد ألدينغتون<sup>1</sup>، الذي أعرفه سلفاً، أحدهما. أما الآخر فكان ألدوس هكسلي<sup>2</sup>، الذي التقيته للمرة الأولى، وكان طويل القامة، ودفعه ذلك إلى الانحناء

1 كاتب وشاعر إنجليزي (1892 - 1962).

2 كاتب إنجليزي (1894 - 1963).

عند المدخل المفضي إلى الغرفة الخلفية حيث تحدّث عن مهمّته. كان هكسلي يقوم بتضحية لصالح صديقه د. هـ. لورنس بمجيئه إلى قواعد جيمس جويس، إذ إنه لم يتلقَ يوليسيس بلطف. ظهرت الليدي تشارتلي في فلورنسا من قبل، في طبعة محدودة أصدرها السادة أوربولي وديفيس<sup>1</sup>، الثنائي الإنجليزي-الإيطالي الفاتنان المعروف اسمهما بين خبراء الطبقات الفاخرة.

لسوء الطالع، فإن حقوق طباعة الليدي تشارلي، كحال يوليسيس والكتب المنفية الأخرى، لم تكن محمية، فانقض عليها القراصنة، وتداولت نسخًا غير محدودة، رخيصة، وغير مرخصة في باريس دون أي مكاسب للمؤلف. كان لورنس تواقًا إلى جعلني أنشر الكتاب بطبعة رخيصة في باريس ووضع نهاية للقرصنة.

أثبتت زيارات صديقي لورنس عدم نجاحها، وجاء لورنس بنفسه كي يراني. وراففته صديقة مشتركة هي الآنسة بيفريدج<sup>2</sup>، رسامة إنجليزية كانت جارة له في صقلية. لحظ لورنس، كانت ثمّة نسخة من لوحة رسمتها له الآنسة بيفريدج، موجودة في شكسبير أند كومباني فوقها لي. وقال أيضًا إنّه يود أن يهديني صورته الشخصية التي التقطها له ألفريد ستغليتز فطلبت منه إرسالها لي.

رافقت لورنس في زيارته المتتالية امرأة شقراء طويلة، هي زوجته السيدة فريدا لورنس، بيد أنها كانت تنظر إلى الكتب وأنا أناقش زوجها في عمله، لذا، وللأسف، بالكاد تبادلنا الحديث.

---

1 جوزيبي أوربولي (1884 - 1942) باع كتب إيطالي. وشريكه الإنجليزي جون ديفيس (1889 - 1967).

2 آن بيفريدج (1871 - 1955).

كان د. هـ. لورنس رجلاً ذا شخصية عظيمة جذابة. لطالما كان أمراً يدعو إلى التساؤل كيف لكاتب ذي موهبة عظيمة لا تبدو عليه أبداً القدرة على إنتاج ما يتوقعه القراء منه. وعلى الصعيد الشخصي كان لورنس رجلاً مثيراً للاهتمام وقاتلاً. يمكنني تفهم إخلاص أصدقاء لورنس له، ولم طارده النساء عبر البلدان وعبر البحار.

كان من المحزن رفض رواية لورنس، خصوصاً عندما كان يعاني من مرض في آخر مرة رأيت فيها. فقد نهض من الفراش للمجيء إلى المكتبة بمظهر محتقن ومحموم. كانت محاولتي في شرح أسبابي لعدم التصدي لنشر أعمال أخرى بعد يوليسيس صادمة: قلة رأس المال - لكنك لا تستطيع إقناع أحد ما بأن شكسبير أند كومباني لم تجن ثروة - وأنا لا نملك المساحة الكافية، والأفراد، والوقت. كان من الصعب إخباره أنني لم أرغب في صنع اسم لي في الأدب الإيروتيكي، ومن المستحيل القول إنني أريد أن أكون ناشرة لكتاب واحد - ما الذي يمكن لأحد أن يعرضه بعد يوليسيس؟

كتب إليّ لورنس مستفسراً من جديد، ما إذا كنت قد غيرت رأيي، وأجبت في رسالة عنوانها في جنوب فرنسا، لكنه ذكر في إحدى رسائله المنشورة إنه لم يسمع شيئاً مني، أتصور أن ردي لم يصله.

كان صديقي وصديق جويس، السيد فرانك بودجن<sup>1</sup>، حاضراً في جنازة لورنس في فينس<sup>2</sup>، وأرسل إليّ لقطات لقبره المؤقت، وعلى

1 كاتب ورسام إنجليزي (1882 - 1971).

2 جنوب شرق فرنسا

الحائط شاهد للضريح رُسمَ عليه طائر لورنس «الفينيقي»، والذي نقل لاحقًا إلى تاوس<sup>1</sup>. يبدو أن جميع آثار القبر المؤقت قد اختفت، أظن أنه يجب وضع لوحة تذكارية هناك.

يكاد لا يمر يومٌ من دون زائرٍ آخرٍ يجلب معه مخطوطًا وداعم له في بعض الأحيان، وفي حالة أليستر كراولي<sup>2</sup>، كانت الزائرة امرأة شقراء ومناصرة له بصورة عدائية.

كان أليستر كراولي فريدًا كما في الحكايات التي قيلت عنه، ومنها بالطبع، روايته السيرية، مذكرات مدمن مخدرات. كان لون رأسه كالصلصال، وأصْلَعٌ عدا من جديلة من الشعر الأسود تمتد من جبهته من أعلى الرأس وصولًا إلى مؤخرة الرقبة. بدت الجديلة وكأنها مثبتة بالجلد بواسطة الصمغ ولم يكن واردًا أن تتطاير مع الريح. كان كراولي رجلًا بمظهر مومياء، مثيرًا للاشمئزاز بالأحرى. كانت معرفتي به سطحية، وتساءلت، وأنا أنظر إليه، ما إذا كان ما ألمح إليه أصدقائي الإنجليز صحيحًا - بأنه يعمل في المخبرات. أظن أن أجهزة المخبرات تختار شخصًا أقل إثارة للريبة.

الرهبان في دير بجبل آثوس، جلسات تحضير الشياطين، وما إلى ذلك - كل ذلك مذكور في كتب كراولي. وآمل أن الجدي [الذي يرمز لإبليس] وطالب أكسفورد كانا من اختراع آخرين لم يذكرهم.

كان مقلقا رؤية المرأة الشقراء وهي تفتح حافظة أوراق وتظهر نشرة إعلانية عن «الكتاب القادم لمذكرات أليستر كراولي» ويعلوه

1 ولاية نيو ميكسيكو، الولايات المتحدة.

2 كاتب وشاعر ورسام إنجليزي (1875 - 1947).



علامة الناشر الخاصة بي ومسودة عقد عليها اسم شكسبير أند كومباني ولا ينقصها سوى التوقيع. تم الاعتناء بكل شيء مقدّمًا، حتى الفقرة التي تنص بأن شكسبير أند كومباني سوف تُسلم نسبة 50 بالمئة من الإيرادات إلى السيد كراولي، مع إعطائه قائمتنا البريدية أيضًا!

ذات صباح، نزل صبي وعلى قبعته اسم «مطعم ماكسيم» من دراجته عند باب المكتبة وسلمني ورقة. كانت الورقة من رئيس ندل في مكان شهير، وذكر أنه يود تسليم مذكراته إلى مؤسستي، مشيرًا إلى أنه قد تعرف إلى كل من يمكن التعرف عليه آنذاك - ملوك، مشاهير المسرح، المحظيات، رجال الدولة، ويوسعه سرد حكايات! وكتب أن من المحتمل أن تكون مذكراته الحدث الأكثر تشويقًا الذي يشهده عالم الأدب منذ فترة طويلة - وألمح أنه حدث يتجاوز صدور يوليسيس. وأمل ألا تفوت شكسبير أند كومباني الفرصة.

في غضون ذلك، وصلتني رسالة من شخص يمثل الآنسة تالولاه بانكهد، سائلًا ما إذا كنت مهتمة بنشر مذكراتها. لا بد من أن الآنسة بانكهد لم تصل سن النضج بعد، كانت بالكاد أكبر من مجرد طفلة في تاريخ كتابة الرسالة. لم تصلني مخطوطة بانكهد، لكن لو حظيت بفرصة الاطلاع عليها، فلا أعتقد أنني سأرفضها.

مع ذلك، كانت الحقيقة هي أنني كنت مشغولة جدًا مع مكتبتني ودار النشر ذات المؤلف الواحد والاعتناء بالمجلات النقدية الصغيرة والتعاون مع دور النشر الجديدة الصغيرة التي تزدهر من حولي - سوف يكون قبول أي مخطوطة في شكسبير أند كومباني بمثابة النازلة.

بعد فترة قصيرة من نشر يوليسيس، كتبت إليّ الآنسة ويفر طالبة موافقتي على صنع ألواح طباعة خطوطها شبيهة بخطوط الطبعة الأولى على نفقتها. منححتها الموافقة حالاً، على الرغم من أنني قد تفاجأت إلى حد ما من التّعجيل بطبعة ثانية. لم أستطع أن أرفض طلباً للمحسنة على جويس، وبجانب ذلك، علمت بأنها خطة جويس، الذي أسرع بالتوجه إلى لندن بعد ظهور يوليسيس بقليل ورتب الأمر بأكمله، بعجلته المعتادة، بينما كنت أحاول تجاوز المصاعب المتعلقة بتوصيل نسخ الطبعة الأولى إلى المشتركين في الولايات المتحدة - مع مساعدة، كما ذكرت سابقاً، من قبل «زبوني الأفضل». احتج جويس عندما أخبرته أنني سأطبع ألف نسخة. وقال «ذلك الكتاب الممل، لن تباعي نسخة منه». ولكن عندما رأى النقيض، بأن ألف نسخة لم تكن قريبة من الكفاية لتلبية الطلب عليها، ولا بد أنه قد ندم أن الكتاب لم يكن أكبر حجماً. وقرر، مع سماعه عن الأسعار المرتفعة التي تباع فيها النسخ، أن دفعة جديدة من الكتب ستضع حداً للمضاربة على الكتاب، وأن المؤلف، لا المضاربين، هو من سيجني الأرباح. كانت يوليسيس استثماره الكبير، وكان من الطبيعي أن يحاول تحقيق أقصى استفادة ممكنة. طُبع الإصدار الثاني من الكتاب في ديجون، كحال الطبعة الأولى، وكان مشابهاً للطبعة الأولى من ناحية التصميم، ويغلاف أزرق، بيد أنها احتوت على ملحوظة: «نُشرت بواسطة جون رودكرا لصالح مطبعة إيجويست». طُبعت ألفا نسخة، وشحن جزء من الطبعة إلى ميناء دوفر،

حيث صودرت وحُرقت على وجه السرعة في «مدخنة الملك» - وبحسب الآنسة ويفر، كان ذلك هو التعبير المستخدم. وقالت لي إنَّها وبمجرد سماعها لنبا الحجز على النسخ هرعت إلى دوفر ووجدت أن نسخها من يوليسيس قد أُحرقَت.

أما النسخ التي سُحنت إلى الولايات المتحدة فقد أُتلفت أيضًا، وعلى الأرجح غرقت مثل العديد من صغار القطط في مرفأ نيويورك. بيد أنه لا بد من أن بعض النسخ قد عامت ووصلت الشاطئ، وبالحكم على الرسائل التي تلقيتها من وقت إلى آخر، فإن الشبه بين الطبعتين قد تسبب ببعض الارتباك. وتلقيت في غضون ذلك كمًّا كبيرًا من الشكاوى لباعة الكتب في باريس، الذين، وبمجرد سماعهم عن ظهور طبعة ثانية بعد أشهر قليلة من الطبعة الأولى، كانوا ناقلين بسبب ما عدّوه إجحافًا ضدَّ القواعد التي تحكم الطبعات المحدودة، ولا موني، بالطبع، على الرغم من أنني لست من نشر الطبعة الثانية.

كان خطي حقًا، وظننت بأن شكاواهم مبررة. ويعود ذلك إلى قلة خبرتي، وأنه عليّ التفكير في باعة الكتب الذين لم يُمنحوا الوقت الكافي للتخلص من مخزونهم من النسخة المحدودة الأصلية قبل الإعلان عن طبعة جديدة. ومن الواضح أن جويس والآنسة ويفر لم يجدا غرابة في ذلك الإجراء، إذ بدا ذلك في رسالة إلى الآنسة ويفر عبّر فيها جويس عن تفاجُّهٍ بسماعه من الآنسة بيتش بأن باعة الكتب يشتكون.

بيّن مصير الطبعة الثانية أن كل الجهود الرامية إلى إيصال يوليسيس إلى إنجلترا كانت بلا جدوى في الوقت الحاضر، وأنه لا أمل في نشر الكتاب في بلدي، إلى أن يقمع أحدٌ ما جمعية منع الرذيلة، لذا، وبعد

محاولات عبور القنال والمحيط، عادت «الرواية الضالة» لشكسبير أند كومباني إلى شارع أوديون.

## يوليسيس تستقر

استمر إصدار شكسبير أند كومباني من يوليسيس طبعة بعد طبعة، الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة وهكذا. قال جويس إن ذلك يذكره ببابوات الكنيسة الكاثوليكية (وبمناسبة الحديث عن البابوات، توقف شاب عن المكتبة لشراء نسخة في طريقه إلى روما، وكتب إليّ بأن البابا قد بارك ليوليسيس من دون قصد؛ قال إنه كان ضمن حضور في الفاتيكان حيث أخفى الكتاب في معطفه). أثارت بعض الطبعات استياء جويس، التي صدر بعضها بغلاف أبيض، كملابس النذل، لأن الأغلفة الزرقاء نفدت في ديجون، وطُبع بعضها الآخر بواسطة ورق نشأ لأسباب اقتصادية.

أما بالنسبة إلى الطبعة الثامنة من يوليسيس، فأعدت تنضيد الطباعة، وأزيلت الأخطاء التي اعتذرت عنها في الطبعة الأولى، أو هكذا ظننا. أظن بأن فرانك هاريس هو الذي أوصانا بأن يصحح العمل صديق له يعمل في صحيفة ديلي ميل. مر هذا الرجل، الخبير بالتصحيح، عدة مرات على النص بعناية، ومررت عليها أيضاً، ولكن، ولكوني لست بخبيرة، فإن عملي لم يعن شيئاً. وصلت الطبعة الثامنة، ووضعت نسخة بين يدي جويس، ودقق بلهفة على الصفحات الأولى بمساعدة نظارته بالإضافة إلى العدسة المكبرة - وسمعتة متعجباً. سرعان ما وجد ثلاثة أخطاء!

على الرغم من الأخطاء المطبعية، إلا أن يوليسيس قد بيعت بشكل جيد جداً، وخصوصاً في المكتبات الأميركية والبريطانية التي تقف على الضفة اليمنى من السين. واكتشفت جميع المكتبات الفرنسية رواية يوليسيس، سواء تلك التي باعت أو لم تبع كتب الإنجليزية من قبل - كان الطلب عليها هائلاً. أرسل رجال من جميع أرجاء المدينة لجلب الكتاب للمكتبات التي يعملون لديها، وأثارت اهتمامي كثيراً أحاديثهم المتعلقة بالكتب، وبطبيعة الحال، قلقهم من وزن الكتب. أعربت لهم عن ندمي من الوزن الثقيل للإصدار، وأبدوا تقديرهم لي كوني ناشرة العمل الأفضل مبيعاً. بسط الباعة أقمشة خضراء على الأرض، ووضعوا على كل واحدة منها ما يقدر بعشرين نسخة من يوليسيس، ثم ربطوا الأطراف الأربعة مشكلين عقدة، ثم يلقون بالصرّة الثقيلة على أكتافهم. ثم يعودون مجدداً لحمل كتب أخرى. كان عملاً أرغمهم على تكرار زيارة حانة صغيرة ليرووا عطشهم. اعتاد أحد أولئك الأصدقاء على الانفجار صارخاً ومطالباً: «جويليسي»، وتلقيت مرة طلباً لـ «آي ليلي لجيمس جويس».

أرسلنا نسخاً إلى الهند، والصين، واليابان، وحظينا بزبائن في مستوطنات المضائق، وأظن من بينهم صيادي الرؤوس في ساراواك<sup>1</sup>. أما الكتب التي تباع مباشرة إلى الزبائن الأميركيين أو الإنجليز فكانت تُؤارى، حسب الطلب، ونضع عليها عناوين مثل الأعمال الكاملة لشكسبير المجلد الأول أو الحكايات المرححة للبراعم أو غيرها من المجلدات ذات الحجم المناسب والغلاف الملائم. وطور السائحون تقنية في تهريب يوليسيس إلى الولايات المتحدة، حيث المهمة أصعب من إنجلترا.

مع أن المبيعات كانت نشطة في باريس، إلا أن الكتاب لو لم يمنع من سوقه الطبيعية في البلدان الناطقة بالإنجليزية، لجلب كمًا أكبر من المال للمؤلف والناشر، إذ كانت منافذ البيع في البلدان غير الناطقة بالإنجليزية محدودة.

## براير

براير، براير. تساءلت ما إذا ستزور صاحبة هذا الاسم اللافت المكتبة يوماً. تعرفت مسبقاً إلى زوجها روبرت مكالمون، لكن براير تكره المدن - «صفوف المحال» تلك، كما أسمتها. تجنبت براير الحشود، ولم ترتد المقاهي، وكانت منكفئة. مع ذلك، أعرف أنها أحبت باريس وكل شيء في فرنسا، وأمليت أن توافق على إغفال حقيقة أن محلي كان واحداً من تلك «الصفوف» المقيمة.

ثم، وفي يوم ما، يوم عظيم لشكسبير أند كومباني، جلب روبرت مكالمون معه شابة إنجليزية خجولة ترتدي بدلة مفصلة حسب الطلب، وقبعة ذات شريطين ذكرتني بقبعات البحارة. لم أستطع أن أبقى عيني بعيداً عن عيني براير: كانتا شديدي الزرقة - أكثر زرقة من البحر أو السماء أو حتى الكهف الأزرق في كابري. ما زلت أخشى إلى اليوم التحديق في عينيها.

لم تنطق براير، حسبما أتذكر، بكلمة. كانت صامتة، وهذا شيء ليس بغريب في إنجلترا، لا حديث البتة - يطلق الفرنسيون عن ذلك «أن تدع الآخرين يدفعون ثمن المحادثة». لذا تبادلت ومكالمون الحديث، وتولت براير النظر. كانت ترصد كل شيء بهدوء على طريقته الخاصة،

تمامًا كما رصدت كل شيء عندما زارت محل الشاي «قدر التدفئة» في لندن بأيام القصف<sup>1</sup> في روايتها بيوولف، التي أثبتت أن لا شيء يفوتها. كانت مشاهد الرواية مختلفة تمامًا عن مشاهد الناس وهم يخرجون ويعودون في ساعات القصف، ويتوقعون على أنفسهم كما السلحفاة في صدفها.

كان اهتمام برابر بشكسبير أند كومباني حقيقيًا ووقائيًا، واستمر اهتمامها وحمايتها منذ ذلك اليوم.

يعود اسم برابر إلى واحدة من جزر سيلبي، حيث اعتادت قضاء العطلات في طفولتها. على الرغم من أن أصدقاءها لم ينادوها سوى ببرابر، إلا أن عائلتها وكل من عرفها أسموها وينيفريد عندما كانت طفلة صغيرة - وأظن أن اسمها الكامل آني وينيفريد. كانت ابنة السير جون إيليرمان، عملاق التمويل وأحد أبرز رجالات إنجلترا في عهد الملك جورج الخامس، ومن بين الأمور الأخرى، فقد كان متسلقًا متميزًا لجبال الألب في شبابه.

كان والدا وينيفريد الصغيرة متعلقين بها جدًا، لكنهما - في الوقت نفسه - حائران إزاء شخصيتها الغريبة؛ إذ كرهت ارتداء الفساتين الجميلة والأوشحة كباقي الفتيات الصغيرات، وتموج شعرها. أوه! تلك التنورات الداخلية، طبقات منها، وواحدة من الصوف للشتاء! وبدلاً من الأفعال المثيرة في رواية قط تل البسطة<sup>2</sup>

1 القصف النازي على لندن (1940 - 1941).

2 رواية تاريخية للإنجليزي جورج ألفريد هينتي (1889).



وقصص البحر والتاريخ، كان عليها مرافقة معلمة منزلية، وتناول وجبات يقدمها رجل بقفازات بيضاء! لو خمن والداها العطوفان أن طفلتها خططت للفرار بعيداً إلى البحر، كانت «توم سوير» الصغيرة تلك تنتظر أول فرصة للقفز خروجاً من النافذة!

كتبت براير عن زيارتها الأولى إلى باريس، حيث حضرت معرضاً شهيراً برفقة والديها، في مجلد صغير عنوانه باريس 1900. كانت في الخامسة من العمر، وعلى صغر سنها، فقد كانت طفلةً بريطانية شرسة؛ أرادت أن تلکم فرنسيًا على وجهه عندما أشار في حديثه إلى بلدها والبوير<sup>1</sup> - كانت حرب البوير قائمة آنذاك<sup>2</sup>.

كان سنها أكبر حينما أخذها والداها إلى مصر، وولعت الطفلة باللغة الهيروغليفية، ووجدت القصص المصرية أكثر إمتاعاً من تلك التي عن القطط والكلاب في كتب تعليم القراءة التي يتهجأها الأطفال. كانت القاهرة ممتعة. في يوم ما، وعندما غادر والداها برفقة الجمال وتركها في السكن، جذبت براير مفارش وأغطية وسادات السرير ولبستها فأرعبت الخدم - ظنوها شبحة - فهربوا صارخين، ولم يبقَ خادم في الفندق.

تفاقم سوء الفهم بين براير ووالديها مع تقدمها في السن. وذكرت روايتها السيرية النمو<sup>3</sup>، التي تناولت فيها حياتها وصولاً إلى الزواج وفسلها المأساوي في التأقلم مع حياة لم تلائمها، وسعدت فقط بدروس

---

1 مستوطنون هولنديون مسيحيون في جنوب إفريقيا.

2 حرب البوير الثانية بين الإمبراطورية البريطانية وجمهورية ترانسفال (جنوب إفريقيا) (1899 - 1902).

3 عام 1920.

المبارزة، والقراءة بالطبع. واستبدلت في أولى سنوات المراهقة قصص هينتي وقصص البحر بالشعر الفرنسي، وأصبح مالا يرميه بطلها.

هربت براير أخيراً من محيطها الذي سبب لها اليأس عبر الشعر، ثم التقت بهيلدا دوليتل<sup>1</sup>، التي أصبحت صديقتها الدائمة، ودخلت عبر ه.د. إلى عالمها الخاص، عالم الكُتّاب. كانت ه.د. واحدة من أكثر الشعراء المبجلين فيما يسمّى بالحركة التصويرية، وضمت المجموعة إزرا باوند وجون جولد فليتش<sup>2</sup> وآخرين، واجتمعوا كلهم بلندن في تلك الأعوام.

بما أن صديقة براير المقربة أميركية، فقد بدأت في الاهتمام البالغ ببلادنا، وقررت زيارتها. لذا، توجهت براير برفقة دليلها المحلي ه.د. لزيارة «الولايات» كما أسمتها براير دوماً.

كان الحدث الرئيس لتلك الرحلة بالنسبة إلى براير، بجانب لقائها بماريان مور<sup>3</sup> وغيرها من الشعراء للمرة الأولى، هو ارتباطها بروبرت مكالمون، الكاتب الشاب من مينيسوتا. تزوجا في اليوم التالي من لقائهما. لم تخبر براير الرجل الذي تزوجته عن نفسها. كان فزعها من الاصطدام بالاعتراض على خططها للانعتاق جعلها تبقي زواجها سراً عن والديها إلى أن تأخذ بزواجها إلى إنجلترا لتقدمه إليهما في وقت يصبح الاعتراض فيه متأخراً. بيد أن الصحف نشرت القصة، وعلم روبرت مكالمون في اليوم التالي أنه قد ارتبط بابنة السير جون إيليرمان.

1 شاعرة أميركية (1886 - 1961).

2 شاعر أميركي (1886 - 1950).

3 شاعرة أميركية (1887 - 1972).

تلقى والدا براير الخبير برحابة صدر، وأعجبا بصهرهما. واحتضن أفراد العائلة كافة روبرت، بما فيهم شقيق براير الأصغر جون.

فضلت براير الابتعاد عن «الحشود» والمدن. وقضى مكالمون أيامه بباريس في مقاهي الضفة الغربية من السين وسط أصدقاء الكتابة، وجعلته مواهبه واحداً من الشخصيات اللافتة في العشرينيات. وأسهمت طرقة المستفيضة والفريدة في عالمه البوهيمي كثيرًا في شعبيته. كان دائماً ما يشتري المشروبات على حسابه، ويا للحسرة! غالبًا ما تكون المشروبات له. صار مكالمون ناشراً بفضل المال الذي وقع بين يديه، وأصدر عبر منشورات كونتاكت بعض الكتب الناجحة. كان مكالمون محبوباً من أصدقائه، بيد أنه كان غير متصالح مع الأمور المقيّدة والشخصية والأدبية، وقال لي مرة: «إنني مجرد شارب للكحول».

كانت براير نادرة الظهور في باريس، على الرغم من إننا تمكنا من استدراجها من وقت لآخر - مرة في العام على الأرجح، ونبتهج لمجيئها حين تدعو أدريان صديقاتها الفرنسيات للقاء بها. رأت براير، في إحدى زياراتها إلى مكتبي، زبائن شكسبير يتحلقون حول كومة من الرسائل على رف الموقد بحثًا عن بريدهم. كانت شكسبير أند كومباني بمثابة البريد الأميركي السريع لفناني الضفة الغربية. وتولينا في بعض الأحيان أيضًا الأعمال المصرفية، واعتدت على تسمية المحل «الضفة الغربية». ظنت براير بأن خدمتنا البريدية المهمة يجب أن تحظى بصندوق، فأهدت صندوقًا فاخرًا وكبيرًا بثقوب عليها حروف أبجدية جعلت من توزيع البريد متعة.

كانت أعز هدية تلقتها شكسبير أند كومباني هي تمثال مصنوع من خزف ستافوردشاير الملون لوليام شكسبير، راعي المكان، جلبته الليدي إيليرمان من برايتون. بقي التمثال الخزفي، منذ أن جاء به بوب<sup>1</sup> مكالمون من لندن في طرد مغلف بأوراق الجرائد ووُضع الإهداء على رف الموقد، العمل الزخرفي الأثمن الذي شعرت على الدوام بأنه جلب لنا الفأل الحسن.

ولو أن براير لن تحبذ ذكر ذلك، إلا أنها فعلت أكثر مما يعرفه أحد من أجل الحفاظ على التواصل الدولي خلال الحروب، وإبقاء عائلتها الكبيرة من المفكرين المشتتين في العديد من البلدان على تواصل. ومن المآثر الاستثنائية التي تصلح مثالاً هي إنقاذها للعشرات من ضحايا النازية. شهدت على مناوراتها لإبعادهم عن مضطهديهم وإيصالهم أخيراً عبر البحر إلى الولايات المتحدة، ورعايتهم إلى أن يؤسسوا أنفسهم في العالم الجديد. يا لها من حكاية تاريخية يمكن صنعها من حياة براير، ولحسن الحظ، فإنها تسردها في مذكراتها ورواياتها.

---

1 صيغة التحبب لاسم روبرت في الثقافة الغربية.

## المتوعة

كانت الحياة في شكسبير أند كومباني صاحبة لشخص أحب الانزواء كي يحلم ويقراً ويتفكر. يعتزل بعض الناس أنشطتهم من أجل حياة التأمل. على النقيض كان حالي: الاستلهام أولاً، ثم النشاط. ولحظ ذلك أحد تلامذة فرويد القادمين من فيينا قائلاً «أنتِ النوع المثالي للشخص المنفتح».

كان الروتين الاعتيادي لأي مكتبة هو أول ما أفعله. بالإمكان فعل الكثير في مكتبة. كنت كما في «مغزل نانسي بيل»<sup>1</sup>: «الطاهي والقبطان» معاً؛ مزيجاً من المتدرب، والمدير والموظف - حتى أتت ميرسين للمساعدة. ولكم أن تتخيلوا مسك الدفاتر بجانب بيع الكتب وإعارتها! وأدرت ثلاثة حسابات مصرفية بثلاث عملات، أميركية وفرنسية وإنجليزية، وحساب البنسات والسنتيمات والسنتات وكانت واحدة من أعمال المربكة، فطريقتي غير المألوفة في الحساب تجعل المرء يواجه صعوبة في العمل. خسرت قدرًا كبيرًا من الوقت وأهدرت أوراقًا كبيرة الحجم نتيجة لطريقتي. ذكرت صعوباتي ذات مرة إلى صديقتي القديمة منذ أيام برينستون جيسي ساير، الابنة الثانية الجميلة

1 قصيدة غنائية لويليام س. غيلبرت (1836 - 1911).

لوودرو ويلسون، والتي توقفت في باريس وأبدت اهتمامها الكبير بالمكتبة. اقترحت جيسي أن أزورها في الفندق ذات ليلة لتعلمني الحساب وفق نظام شهد نجاحًا مع فصل من الطلبة المتراجعين دراسيًا تولّت تعليمه. انسحبنا بعد العشاء إلى غرفتها وبدأنا العمل. من الغريب القول بأن زوجها، السيد ساير، يشبه والد جيسي بشكل لافت - رحل عن باريس في اليوم التالي. غادرت جيسي مقتنعة بأنني تعلمت الدرس سريعًا والفضل يعود إلى نظامها. لم أرغب في أن أخيب أمل صديقة صالحة، وبجانب ذلك، شعرت بالخجل من نفسي، لذا، لم أخبرها أبدًا بأنني قد عدت إلى نظامي الحسابي ذي الصفحات الكبيرة.

منحت مكتبة أدريان مونييه المرء انطباعًا بالسكينة؛ تتباطأ خطواتك بمجرد دخولك المكان، حيث لم تحظ أدريان بشخصية مثل جويس في المكتبة. بجانب ذلك، نحن الأميركيين قوم صاخبون. كانت شكسبير أند كومباني صاحبة. «بيتش المتنوع»، لقب والذي بين زملاء صفه في برينستون، لاءم ابنته في مكتبتها بباريس.

منذ التاسعة صباحًا، ساعة يأتي العزيز م. هيشون، أستاذ الأنجلو ساكسونية في السوربون، للحصول على رواية خفيفة لزوجته الإنجليزية، ويأتي المكتبة ويغادرها كل من الطلبة، القراء، الكتاب، المترجمين، الناشرين المحليين والزائرين، والأصدقاء في أي ساعة حتى منتصف الليل. ومن بين أعضاء قسم الإعارة في المكتبة العديد من كتاب تلك الفترة، وأصدقاؤهم المجهولون الذين يقرأون لهم طبعًا. أُعجبت بأولئك الذين طلبوا كتب جويس واليوت، بيد أنني احترمت حق الآخرين في

الاختيار، إذ زودتهم بجميع أجزاء سلسلة «بيندل»<sup>1</sup>، حتى أنني وفرت أعمال تشارلز مورغان<sup>2</sup> عندما أصر عليها الفرنسيون. لطالما كنت معجبة بالقراء الصرحاء مثلي. ما الذي يمكن للكُتّاب والمكتبات فعله من دون القراء؟

تقدر صعوبة مواءمة الناس مع الكتب بصعوبة إيجاد حذاء على مقاسهم. حظينا بزبائن يطلبون أكثر الأشياء غرابة من الولايات المتحدة أو إنجلترا - على سبيل المثال، ذلك الذي كان يأتي مرة في العام طالبًا تقويم رافايل الفلكي. لم لا يشترّون ببساطة إرادة صبي<sup>3</sup> بدلًا من السؤال عن شيء غير متوافر في المخزن؟

بطبيعة الحال، فإن نصف زبائني كانوا من الفرنسيين، وتضمن عملي إعطائهم فصولًا دراسية غير رسمية عن الأدب الأميركي ليواكبوا الجديد. وجدت أن العديد منهم لم يسمعوا عن كُتّابنا الجدد.

كان أحد أولئك «الأرانب»<sup>4</sup> من أنصار النظرية البيكونية<sup>5</sup>، وأزعجه اسم مكتبتي إلى درجة أنه لم يستطع البقاء بعيدًا عنها، فإهرع إلى شكسبير أند كومباني بعد أن يزدرد إفطاره من اللحم المقدد والبيض ليجتهد في تجنيبي الرد على البريد المتراكم المرسل إلى المكتبة، حيث ينتزع كتاب تشريح الكآبة أو بعض المجلدات الأخرى من الأرفف ويبقيها مفتوحة على الصفحات التي تؤكد على أن بيكون هو الكاتب الحقيقي

---

1 سلسلة روايات فكاية للكاتب البريطاني هيربرت جورج جينكز (1876 - 1923).

2 روائي ومسرحي بريطاني (1894 - 1958).

3 مجموعة شعرية للأميركي روبرت فروست (1874 - 1963).

4 انظر صفحة 18.

5 إشارة إلى فرانيس بيكون، الفيلسوف الإنجليزي (1561 - 1626).

لأعمال شكسبير. كان ذلك «الأرنب» عنيماً بحق، لاحظته ذات يوم وهو يحرق في محرك النار. لا شك أنه قد قرر أن يطيح بصاحبة المبنى أرضاً، وشعرت بالارتياح حينما أتى هيمنغواي في زيارته الصباحية.

لطالما فضلت «الأرنب» من الأطفال، الذين يقبلون مباشرة ويجلسون بالقرب من الطاولة الحمراء الصغيرة على الكرسي الصبور ذي الذراع والاطلاع على كتاب الجغرافيا المصور للأطفال لبراير. اعتقدت براير بأن على الكتب أن تكون كبيرة حجمًا ومسطحة كي يجلس عليها المرء. سعدت بتعطيل الأعمال الأقل أهمية كي أري أولئك الأعضاء لعب الجنود المهداة من لاربو وجميع ألعابي الموضوعة أعلى الخزانة في الغرفة الخلفية، كان علي حملهم عاليًا كي يتمكنوا من رؤيتهم.

كانت هاربيت ووتر فيلد الطفلة الأثيرة لدي، والذي كتب والدها غوردون هاربيت، كتاب سيرة ذاتية مثير للاهتمام عن سلفه الليدي دوف غوردون<sup>1</sup>، وأنصح أي شخص بقراءة هذا الكتاب المشوق.

كانت هاربيت في الخامسة، وقالت لوالدتها: «تعلمين أن سيلفيا بيتش صديقتي المقربة». حملت الشعور نفسه تجاهها. أخذتني هاربيت إلى حديقة الحيوان بغابة بولونيا في يوم كان علي البقاء فيه بالمكتبة لإدارة العمل. كان الفصل ربيعًا، وجالت الحيوانات الصغيرة في أرجاء المكان ومرت بين أقدامنا. انزعجنا من تقافز الحيوانات علينا ومضغ أزرار معاطفنا المفضلة - أوصتها والدتها بعدم تخريب المعطف. اطمأنت لرؤية الفيلة، التي لم تكن من الحيوانات القافزة. قالت هاربيت: «في المرة القادمة علينا التوجه بورًا إلى الفيلة»<sup>2</sup>.

1 ترجم لها إبراهيم عبدالمجيد (رسائل من مصر)، بيت الياسمين (2019).

2 الصحيح هو (فورًا)، لكن بيتش كتبها على طريقة نطق هاربيت لها.



قدمت إلى المكتبة ذات يوم فتاة شقراء صغيرة برفقة والدها، وجلست على الطاولة الحمراء الصغيرة لرؤية قصص الأطفال. اسم الفتاة فيولان، وسميت تيمناً ببطلة مسرحية أبيها الروحي بول كلوديل الشابة فيولان. والدها هو الشاعر والسفير هنري هوبينوت، الذي كان أحد أصدقائنا المقربين. كانت فيولان، ووالدها هيلين هوبينوت والدها قد عادا تَوًّا من بكين.

تعمقت تلك الفتاة، التي تفوقت لغتها الإنجليزية على الفرنسية، بأعمال كيت غرينواي<sup>1</sup>، وعلمت بذلك في حديث مع والدها عندما بلغت العشرين من العمر حين أصبحت بطلة لأخطر مناقب المقاومة ضد الاحتلال النازي.

ومن بين أعضاء شكسبير أند كومباني شرذمة من الكلاب، ولم يكونوا دومًا مرحبين بتهديب من قبل كلب، تيدي.

فيما يتعلق بهذا الكلب، تيدي، فقد كان يعود أصلاً إلى واحدة من زبائني، شابة جذابة من بروكلين. كان من فصيلة ترير بدماء مهجنة وشعر يشبه الأسلاك، كلب ذو حضور كبير، كثيرًا ما يأتي المكتبة وعليه رخصته الصادرة من بروكلين ولا يسمح لأحد بنزعها. أخبرتني سيده المتعلقة به في يوم ما، أنها لا تستطيع الاحتفاظ به بعد اليوم، وطلبت أن أقبله هدية. أخبرتها أنه ليس بمقدوري الاهتمام بكلب وجويس ومكتبة معًا. قالت حسنًا، عليك أن ترقدي الكلب.

---

1 فنانة وكاتبة إنجليزية (1846 - 1901).

وافقت على أخذ تيدي للتجربة، وإبقائه في حال لقي القبول من موسى، الكلب من فصيلة الشيرد ذي الشعر الأشعث، والمستقر في بيت والدي أدريان مونييه في الريف حيث نقضي عطلات نهاية الأسبوع. استلمت تيدي من سيدته بناء على هذا الاتفاق مع طوقه وإرشادات تعلق بصحته ونظامه الغذائي (دُهشَ آل مونييه من حبه للسلمون المقلب)، سلوكه، والحيل التي عانت من أجل تعليمها إياه، والكلمات التي يتجاوب معها.

ابتهج الأطفال من خدع تيدي التي لربما توفر له عملاً في السيرك في أي وقت يحتاج فيه لكسب لقمة العيش، كان يستدير وقوفاً على أصابعه، ويتمدد على الأرض حتى تصيح به «ثلاثة!»، ويوازن عصاة على أنفه، ثم يلتقطها قبل أن تقع على الأرض.

خشيت أن انتقل تيدي إلى سيدة أخرى سيشكل ضربة له. ما حدث هو عدم اكتفائه بتقبل شريكته الجديدة فحسب، بل لم يبالٍ بالتقرب من سيدته السابقة بعد قدومها للمكتبة لأول مرة بعد تخليها عنه، لعله الكبرياء.

عندما توجهنا أنا وأدريان وتيدي في عطلة نهاية الأسبوع التالي إلى البوابة للحاق بالقطار، أوقفنا ملاحظ القطار قائلاً: «لا تستطيعون أخذ الكلب»، واستطرد: «ليس من دون كمامة». لم نملك في حينها كمامة لتيدي ولم نملك الوقت لجلب واحدة، والقطار هو آخر قطار لوجهتنا. أخرجت أدريان، واسعة الحيلة، منديلاً كبيراً وربطته حول فكي تيدي، وأسرعنا داخلين القطار متجهين إلى الريف قبل أن يفكر الرجل بما سيقوله.

كان موس كلبًا جبليًا جلبته وهو جرو من إقليم ساقوي إلى والد أدريان. لا يستطيع أحد - حتى سيده - أن يطلق لنفسه العنان وتفريش شعر موس - لا يستسلم الكلب الجبلي لأي اعتداء على كرامته. ذات مرة، ومرة فقط، حاولت والدة أدريان تمشيط شعر موس المتشابك، فاستولى على المشط، واستخرج الشعر الذي انتزع منه وابتلعه.

كنا على يقين بأن موس لن يجد حاجة لمصادقة تيدي، ولكن، وبعد مواجهة أولى شرسة، أصبح الكلبان صديقين، أبجل موس تيدي المفكر كثيرًا، واحترم تيدي موس واعتبره الكلب الباسل.

اعتقدت أدريان أن تيدي قد تطور إلى حد بعيد، ومر بتحولات عديدة، أو كما قالت مولي بلوم<sup>1</sup>: «قابله بينطال ضيق مستدق»<sup>2</sup>. خطر في بال أدريان أن التقمص التالي لتيدي سوف يكون على هيئة ساعي بريد: هذه الإشارة تدل على اعتزاز بتيدي، إذ عمل والد أدريان في البريد.. أحببت تيدي في مرحلته الحاضرة، وبادلني المحبة - متيقنة بأنه سيُقي على حياته البائسة من أجلي.

بطبيعة الحال، كنت أستعجل بإخراج تيدي متى ما حان مجيء جويس إلى المكتبة. يا للمسكين جويس! لم يرق له اقتنائي وأدريان لسيارة - يظن بوجوب اقتصار استخدام السيارات على المسؤولين الرسميين فقط - والآن يأتي هذا «الكلب الشرس» إلى شكسبير أند كومباني.

1 إحدى شخصيات رواية يوليسيس.

2 وفق ترجمة صلاح نيازي للعبارة met him pike hoses والتي وردت في أكثر من موضع بالرواية، وهي إشارة إلى فكرة التقمص.

لم يرَ جويس فائدة من تواجد تيدي، لكنه استحسن قط شكسبير أند كومباني، قط أسود كالحبر يدعى لاكي. لم يسبق لجويس أن وضع قفازات، وعلى إثر ذلك لم ينزعج من شهية لاكي تجاه أصابع القفازات كحال أولئك الذين يبقون قفازاتهم على الطاولات ثم يجدون أصابع القفازات ملتهمة. لا يمكن للاكي إدراك خطئه. كل ما استطعت فعلت وضع لوحة تحذيرية للزبائن عن الخطر المحقق بقفازاتهم. ونهت أيضاً بشأن القبعات، أشعرتني لاكي بالخجل الشديد عندما مرّق الجزء العلوي من قبعة هيمنغواي الفاخرة. وفي ذات مرة زار الأصدقاء أدريان لشرب الشاي، ومضغ لاكي أصابع جميع القفازات في غرفة النوم، وانتابت السيدة جويس حالة هستيرية بسبب مصير قفازات إحداهن، ولم تكتشف أنها وقعت ضحية إلا بعد المغادرة.

## زوار وأصدقاء

وفد إلى شكسبير أند كومباني زوار من جميع البلدان، وفي بداية العشرينيات ظهر زبون قدم من بلد كانت تسمى آنذاك روسيا - سيرجي آيزنشتاين، فنان عظيم ورجل مفعّم بالأفكار الشيقة عن مجال الأفلام. هو بالتأكيد واحد من أكثر الرجال الذين قابلتهم إثارة للاهتمام في حياتي. تابع آيزنشتاين الحركة الأدبية عن قرب وأبدى تقديرًا متقدّمًا لجويس. وأحب فكرة صناعة فيلم مستوحى من يوليسيس، ولكنه، كما أخبرني، يحمل تقديرًا كبيرًا للنص إلى درجة أنه لا يريد التضحية به في سبيل تحويله إلى صورة.

عاد آيزنشتاين لاحقًا إلى باريس، ودعاني وأدريان إلى السفارة الروسية، حيث عرض علينا فيلمه الجديد الخط العام، وحدثنا عن أفكاره بشأن موضوع الفيلم. امتلك آيزنشتاين من الأفكار الكثير الذي لا يمكنه التعبير عن نصفه مهما أعطي من الوقت.

اتفقت مع آيزنشتاين بتزويده بالكتب الإنجليزية بمقابل تزويدي بالكتابات الروسية المعاصرة. بالحكم على ما أرسله إليّ، لم يظهر عملاً مهمًا في روسيا في ذلك الوقت، أو لعله بسبب قلة الترجمات.

زارت المكتبة أيضًا أفراد عائلة ليتفينوف. كانت السيدة آيفي ليتفينوف<sup>1</sup> إنجليزية، أما زوجها<sup>2</sup> فيكاد يكون إيرلنديًا بسبب تخرجه في الجامعة التي درس فيها جويس بدبلن. أُضيفت صور أطفال آل ليتفينوف إلى الصور الأخرى لزبائني الصغار، وأتذكر تانيا تحديدًا.

ومن الزبائن والأصدقاء أيضًا بروفيسور صيني في علم الأصوات (لديه توأمان)، كمبوديون، يونانيون، هندوس، من وسط أوروبا، وأميركا الجنوبية، لكن معظمهم، طبعًا، كانوا أميركيين وفرنسيين وإنجليزًا.

كانت جانيت فلانر، التي تبنت لاحقًا الاسم المستعار جينيه، واحدة من أوائل أصدقائي الأميركيين، وكثيرًا ما دخلت وخرجت من المكتبة في العشرينيات. أوقفت [جينيه] سيارة الأجرة ذات مرة عند المكتبة وهي في طريقها إلى القطار لروما من أجل عناء إهداء قسم الإعارة في شكسبير أند كومباني كتابين رائعين في الفن. استعارت أدريان مونييه تلك المجلدات وأغرمت بالتحديق في الرسومات إلى درجة الرغبة في الاتحاد معها.

1 كاتبة و مترجمة إنجليزية (1889 - 1977).

2 ماكسيم ليتفينوف: سياسي ودبلوماسي بلشفي سوفيتي (1876 - 1951).

عُرفت جانيت فلانر بكثرة الارتحال، إما إلى لندن أو روما، أو إلى أماكن أخرى حيث يأخذها عملها كاتبة جوالاً. كانت شخصية بارعة، ومهنية عظيمة. بيد أنها وجدت الوقت لرعاية الآخرين، وأشهد بذلك. أهديتها مرة، في رد بسيط على لطفها معي، نسخة من يوليسيس وفي داخلها مخطوطة صغيرة بخط المؤلف. وبعد بضعة أعوام، ومع تنامي قيمة جويس، سألتني إن كان لدي اعتراض على بيع نسختها إلى مكتبة عامة شهيرة، وأن أكون المستفيدة من المبلغ لا هي. تصرف متوقع من جانيت فلانر.

خطر عليّ، أوان تحرير فرنسا عام 1944، أن مصور مجلة لايف لديه فكرة جيدة، عندما التقط صورة لاثنتين من أقدم زبائني في 112 شارع أوديون: جانيت فلانر وإرنست هيمنغواي.

انتمى صديق آخر إلى تلك الفترة، هو جون دوس باسوس<sup>1</sup>. لطالما بدا جون في حركة مستمرة، التقيته في الفترة الواقعة بين روايته ثلاثه جنود وانتقال مانهاتن، لكنني التقطت لمحات منه وهو في عجلة من أمره. اعتدت على رؤيته بصحبة هيمنغواي في بعض الأوقات. عندما فتحت المكتبة يوماً ما بعد ساعة الإغلاق ظهراً، لاحظت شيئاً قد دُسّ تحت الباب: صورة لجون دوس باسوس. أخبرت دوس، كما أطلقنا عليه، بأنه عليه إحضارها من أجل معرضي للصور الشخصية.

ظهر ثورنتون وايلدر<sup>2</sup> في ذات وقت ظهور هيمنغواي. واعتاد على رؤية قدر كبير من الكتاب الشباب المتأثرين بهيمنغواي، وغالبًا ما أتى

1 روائي أميركي (1896 - 1970).

2 روائي وكاتب مسرحي أميركي (1897 - 1975).

إلى المكتبة. كانت طباعه هي الأسمى بين أي من أصدقائي: كان خجولاً بحق، وشبيه بكاهن شاب. بدت خلفيته مغايرة إلى حد ما عن الآخرين من جيله في باريس. أحببت روايته كابالا، وروايته جسر سان لويس ري لاحقاً، واعتبرته متواضعاً رغم إنجازاته ونجاحه. بجل الفرنسيون روايته جسر سان لويس ري، واعتبروها روايتهم، إلى درجة أنهم اعتبروها وكأنها رواية فرنسية. كان من المعذر تفسير التباين لدى بعض أصدقائي في أعوام العشرينيات، وايلدر ومكالمون مثلاً، إلا في حال تذكر التباينات والتنوع في بلادنا الشاسعة.

لاحظت بعد فترة، وبأسى، ولأنني متعلقة بويلدر، وقدرته، أنه بدأ بالاختفاء أكثر عن شارع أوديون فيتجه أكثر إلى شارع كريستين. ومع ذلك، لم أشعر بأن صداقتنا أصابها أقل قدر من البرود. كان الأمر مجرد شؤون خاصة أخذته إلى مكان آخر. واتجه شيروود أندرسون أيضاً، صوب شارع كريستين، صوب غيرترود ستاين تحديداً.

كان مان راي، وتلميذته بيرنيس آبوت<sup>1</sup>، التي ساعدته لفترة، المصورين الرسميين لـ «الحشد». غطيت حوائط المكتبة بصورهما. أن «يتم تصويرك» من قبل مان راي وبيرنيس آبوت يعني أنك شخص ذو مكانة. لم يكن إبداء رأي في التصوير، كما أظن، موضع اهتمامه الرئيس؛ إذ صنع لنفسه اسماً وسط الفنانين في الحركات المتقدمة وكان عضواً في المجاميع الدادائية والسريالية.

لاحظ باعة الكتب والناشرين في الولايات المتحدة في إبريل عام 1924 مقالاً في مجلة بابليشرز ويكلي [الناشرون الأسبوعية] عن

---

1 مصورة أميركية (1898 - 1991).

شكسبير أند كومباني وأبدوا اهتمامًا بها حتى أنهم قدموا إلى المكتبة في رحلاتهم إلى باريس. شعرنا بالفخر كوننا محط أعين تلك المجلة الرسمية والناطقة باسم الناشرين وبيعة الكتب. كتب المقال موريل كودي<sup>1</sup>، الذي ألف كتابًا عن الشخصية الأهم، جيمي الساقى<sup>2</sup>، وكتب إرنست هيمنغواي تقديم الكتاب. غادر موريل كودي بعيدًا، كحال العديد من الأصدقاء، وقدّم وما زال يقدم خدمات عظيمة لعلاقتنا الثقافية مع فرنسا.

### «الحشد»

جون بارنز<sup>3</sup>، فاتنة للغاية، إيرلندية في الصميم، وموهبة عظيمة، قدمت إلى باريس في أوائل العشرينيات. انتمت إلى مجلة ليتل ريفيو وجماعة قرية غرينتش الأدبية، وكانت صديقة لمكالمون. عنونت روايتها الأولى، التي نشرت في عام 1922، ببساطة وتميز: كتاب، وجعلتها الرواية كاتبة مكرسة. لم يشبه عملها، بغرابته وكآبته الملحوظة - والذي يناقض ابتسامتها البهيجة - أعمال أي كاتب في ذلك العصر. بالإضافة إلى ذلك، لم تهتم بالترويج لأعمالها. وأرشدها ت. س. إليوت، ببصيرته إلى المكان الذي تستحقه. مع كل ذلك، لا يبدو أنها أعطيت حقها في الكتب التي تناولت كتاب تلك الفترة. ومن المؤكد أنها كانت واحدة

1 مؤلف ومحرر أدبي أميركي (1901 - 1987).

2 ساقى حانة دينجو في مونبارناس، وزبائنها من الكتاب والفنانين، وذكر هيمنغواي المكان في كتابه (وليمة متنقلة) حيث التقى فيتزجيرالد لأول مرة.

3 فنانة وصحافية وكاتبة أميركية (1892 - 1982).



من الكتاب الموهوبين، وواحدة من الشخصيات الأكثر إدهاشًا في باريس العشرينيات.

تواجد حول الحي في الأعوام الأولى لمكتبتي فنان أميركي وصديق يسترعي الانتباه هو ماردسين هارتلي<sup>1</sup>. ونُشرت مجموعته «خمس وعشرون قصيدة» بواسطة منشورات كونتاكت لمكالمون. لم يكن هارتلي من أولئك الذين أطالوا البقاء في باريس ولكن في اللمحات القليلة التي حظيت بها معه وجدته جذابًا، على الرغم من بعض الكآبة.

ومن الشخصيات البارزة في باريس العشرينيات والتي ترددت على المكتبة ماري باتس<sup>2</sup> ذات الخدين الحمرابين والشعر الأحمر، لم تكن شخصية كئيبة قط، على الأقل حينما أراها. وتميز كوكتو برسمه لمؤلفة فخاخ لغير المؤمنين، بيد أن حياتها كانت مأساوية، وقطع الموت المفاجئ عملها الواعد. اختفت جميع أعمالها، وبدا أنها قد توقف طبعها بعد وفاتها، على الرغم من نشرها لعدد من الروايات - منها آل آش من قلعة الخواتم - لدى منشورات كونتاكت. ونشرت أيضًا كتابًا عن كليوباترا، والتي اعتبرتها ماري باتس مفكرة ومثقفة.

حظينا بثلاث من ذوات الجمال الأخاذ في «الحشد»، جميعهن من عائلة واحدة، ولم يكن ذلك عدلًا. مينا لوي<sup>3</sup>، الشاعرة، وابنتاها، جويلا وفابي (التهجئة خاطئة بلا شك)، وكن رائعات إلى درجة يصبحن محط الأعين أينما تواجدن، واعتدن ذلك. لكنني أظن لو جرى تصويت،

1 رسام وشاعر أميركي (1877 - 1943).

2 كاتبة إنجليزية (1890 - 1937).

3 كاتبة وشاعرة إنجليزية (1882 - 1966).

لاختيرت مينا أجملهن. لاحظ جويس، الذي بمقدوره رؤية ما نود رؤيته في حال رغب في ذلك، أن جويلا تملك مقومات الجمال كافة: شعرها الذهبي، عيناها، سحتها، وسلوكها، لذا نالت صوت جويس. وتمتعت فابي، الجميلة رغم صغرها، بمظهر يشد الانتباه لا يمكن لأحد إبعاد نظره عنه.

عند ذهابك إلى شقة مينا ستعيق أغطية المصايح المنتشرة في أرجاء المكان مسيرك: صممتها مينا لتنفق على أطفالها. وصممت جميع ملابسها، وربما ملابس أطفالها أيضًا. وتتشابه قبعاتها مع أغطية المصايح، أو أن أغطية المصايح هي التي تشبه القبعات على الأرجح. كتبت مينا الشعر كلما تسنى لها الوقت، وأصدر لها مكالمون مجلدًا صغيرًا لقصائدها مع عنوان يتوافق مع شخصها هو دليل إلى القمر.

من بين حشدنا في الضفة الغربية صديق ياباني لمكالمون يدعى كين ساتو، والذي نشر له مكالمون حكايات عجيبة<sup>1</sup> بالإنجليزية وهي قصص غرائبية عن محاربي الساموراي الشرسين وصبيتهم ومكتوبة بعجائية تفوق قصص من سبقوا جيد<sup>2</sup> في اليابان.

ومن الأشخاص الذين اهتموا كثيرًا بمكتبتي ومكتبة أدريان هي ابنة بلدي ناتالي كليفورد بارني<sup>3</sup>، والملقبة بأمازون في رسائل ريمي دي غورمونت<sup>4</sup>. اعتادت الآنسة بارني ركوب الخيل في غابة بولونيا صباح

---

1 في الواقع ترجم كين ساتو (1886 - 1960) القصص من اليابانية والكاتب هو إيهارا سايكافو (1642 - 1693)

2 إشارة إلى تناول قصص سايكافو للمثلية، وهو موضوع تناوله أندريه جيد في أعماله.

3 كاتبة أمريكية (1876 - 1972).

4 شاعر وروائي فرنسي (1858 - 1915).

كل يوم، ولذلك اكتسبت ذلك اللقب<sup>1</sup>. كتبت الآنسة بارني الشعر، وافتتحت صالونًا اشتهر في الوسط الأدبي الفرنسي، مع ذلك تساءلت ما إن تعاملت مع المسائل الأدبية بجدية. بوصفها أمازون [فارسة]، لم تكن الآنسة بارني عدائية، بل كانت على النقيض؛ لطيفة، وتكتسي بالبياض وجذابة بشعرها الأشقر، وأظن حتى بنات جنسها اعتبرن جمالها قاتلاً. تقضي الآنسة بارني أيام الجُمع في منزلها بشارع جيكوب، حيث عاشت نينو دي لنكلو<sup>2</sup> في القرن السابع عشر، لا أعلم إن كانت تدعو أصدقاءها أيام الجمعة أيضًا. كان ريمي دي غورمونت متوفى، لكن شقيقه دائم الحضور في منزلها، وكتابها المفضلين هم من يكتبون لمجلة ميركيور دي فرانس، ولعل ذلك سبب عمق علاقتها بإزرا باوند، إذ انتمى معظم أصدقائه إلى مجلة ميركيور، ومن خلال باوند قدم جورج أنتيل عرضًا موسيقيًا في صالون بارني.

توجهت ذات يوم إلى شارع جيكوب لمساعدة الآنسة بارني في العثور على واحدة من كتبي المعارة، وأرشدتني إلى خزانة مليئة بالمجلدات، وبمجرد فتحها سقطت واحدة من تلك المجلدات على الأرض، كان المجلد مؤلف باوند تحريضات، ثم قالت: «إن لم تجدي كتابك، فبوسعك أخذه بديلًا». احتججت على عرضها؛ الكتاب نادر، وأشارت بأنها نسخة مهداة إليها من قبل المؤلف، لكنها أصرت على عرضها، قالت إنها لم تقرأ سوى الشعر، ولم تحتفظ في مكتبتها سوى بالشعر.

---

1 كلمة أمازون Amazone تحمل معنيين في اللغة الفرنسية: اسم النهر الشهير، والمرأة الفارسة.

2 مؤلفة ومحظية فرنسية (1620 - 1705).

التقيت في منزل الأنسة بارني بسيدات ذوات ياقات عالية ونظارات ذات عدسة واحدة<sup>1</sup> على الرغم من طبيعتها الأنثوية. لسوء الحظ، فاتتني فرصة التعرف في الصالون على مؤلفة رواية بثر العزلة<sup>2</sup>، التي استخلصت في روايتها لو أن كل امرأة سحاقية تزوجت من معشوقتها، فإن جميع مشاكلهما سوف تُحل.

والتقيت في صالون الأنسة بارني بدولي وايلد، التي تشبه عمها أوسكار كثيرًا لكن على نحو أفضل. نشرت الأنسة بارني نعيًا مؤثرًا بعد موت دولي المحزن في البندقية. ومن الصديقات الأخريات اللاتي انتهت حياتهن على نحو مفاجئ ومأساوي، الشاعرة رينيه فيفيان<sup>3</sup>.

لم تنظر الأنسة بارني مع كل ذلك إلى الأمور من الجانب المحزن، إذ كانت مبتهجة، وكانت المرطبات والمأكولات التي تقدمها لضيوفها باذخة، وعلى الأخص كعكة الشوكولاتة من مخبز كولومبين.

جسدت مؤلفة مجهولة، لعلها جونا بارنز، سيرة الأنسة بارني في تحفة فنية غير معروفة على نطاق واسع هي رواية تقويم السيدة.

أتت سيدة إلى المكتبة ومعها رسالة من الأنسة بارني وبدا إنها لم تجنِ فائدة كبيرة من زيارتها إلى شارع جيكوب، كانت مضطربة، وهمست بأذني: «هل لديك أشياء أكثر عن تلك المخلوقات سيئة الحظ؟».

---

1 اعتادت المثليات في فترة ما بين الحربين على ارتداء قطع معينة مثل النظارة ذات العدسة الواحدة للتعرف وتمييز بعضهن بعضًا.

2 رادكليف هول، شاعرة وروائية إنجليزية (1880 - 1943).

3 شاعرة بريطانية تكتب بالفرنسية (1877 - 1909).

## فيتزجيرالد، شامسون، وبريفوست

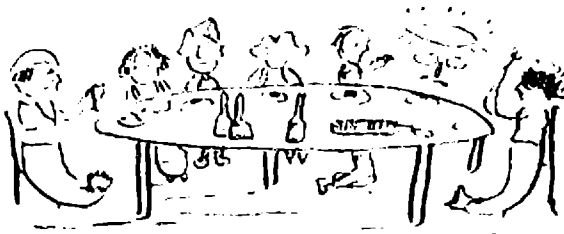
اهتمت أدريان بالكتاب الأميركيين الذين ترددوا على مكتبي بالقدر الذي أبديته، وتشاركنا استضافتهم في مكتبتنا. كان لا بد من إنشاء نفق أسفل شارع أوديون [بسبب تلك الزيارات].

كان سكوت فيتزجيرالد واحدًا من أفضل أصحابنا. أعجبنا به كثيرًا، ومن لم يعجب به؟ بعينه الزرقاوين ومظهره الحسن، اهتمامه بالآخرين، وتهوره الجامح، وافتتانه بفكرة الملاك الساقط، وكان سريع الحركة في شارع أوديون، مانحًا إيّانا لحظة من الانبهار.

قدس فيتزجيراد جويس، لكنه خشي الاقتراب منه، فطهت أدريان عشاءً لذيذًا ودعت آل جويس وآل فيتزجيرالد وأندريه شامسون<sup>1</sup> وزوجته لوسي. رسم سكوت الضيوف على نسختي من غاتسبي العظيم - ورسم جويس وهو جالس على المائدة وتحيط به هالة، وبجانبه سكوت وهو راكع، أما أنا وأدريان، فرسمنا على جانبي الصفحة صورة أخذت شكل حوريات البحر (أو جنيات البحر).

1 روائي فرنسي (1900 - 1983).

Paris, July 1928



18 Rue D'Odéon  
Festival of St. James

جنى سكوت المسكين أموالاً طائلة من وراء كتبه إلى درجة أنه وزيلدا شربا كمًا كبيرًا من الشمبانيا في مونتارتر باذلين جهدًا في إنفاق الأموال. وصرف شيكا وصله من ناشر على عقد لؤلؤي أهداه لزيلدا، التي أهدت بدورها العقد إلى امرأة سوداء كانت ترقص معها في أحد النوادي الليلية في مونتارتر، لكن الفتاة أعادت إليها العقد في الصباح التالي. دائمًا ما ترك سكوت وزيلدا مالا على صحن وضع في صالة منزلهما، كي يتمكن من لديه فواتير عليه دفعها، أو بقشيشًا لقاء خدمة من مساعدة نفسه. هكذا أهدر سكوت كل ما جناه دون اعتبار للمستقبل. أما عن هوليوود، فقد نشأت علاقتي بها عبر كينغ فيدورا<sup>1</sup>، الذي قدم إلى المكتبة ذات يوم للسؤال إن كنت أعرف أي مؤلف فرنسي شاب لديه كتاب يمكن تحويله إلى فيلم. بدرت إلى ذهني في الحال رواية

1 مخرج سينمائي أميركي (1894 - 1982).

أندريه شامسون الأولى «الطريق»؛ قصة شائقة، درامية وحقيقية، عن شق طريق في موطنه، جبل إيغوال بإقليم سيئين. كانت القرية الواقعة أسفل الجبل، التي وصفها شامسون، هي القرية التي ولد وترعرع فيها. قصة جميلة ومذهلة حكاها ذلك الشاب القادم من سيئين، وتضاهيها في الجمال الحياة التي عاشها شامسون.

لذا، اقترحت على كينغ فيدور رواية الطريق، وأخبرته عن فحوى القصة. «عجباً، هذا ما أبحث عنه». علق فيدور، وطلبت من شامسون المجيء إلى المكتبة بطلب من فيدور.

عاد فيدور، جالبًا معه الممثلة إليانور بوردمان للعمل على السيناريو مع شامسون. لم يعرف فيدور الفرنسية، ولا شامسون يعرف الإنجليزية، لكنني ترجمت لهما وسعدت ببدء ظهور السيناريو. كانت سمعة فيدور في أوروبا في أوجها، ولم يخذلني بصفته رجلاً: اتَّسم بالعمق والتفهم، والإحساس المرهف.

استمر العمل على الطريق حوالي شهر، حتى جاء اليوم الذي لم تأتِ سيارة فيدور الكبيرة به إلى مواعده في المكتبة. علمت من ملحوظة خربشها فيدور على عجلة أنه قد طُلِبَ منه العودة إلى الولايات المتحدة - هذا كل شيء. كان ذلك آخر ما سمعته عنه.

ضحكت وشامسون عديدًا منذ ذلك الوقت - مع أن الأمر لم يكن مضحكًا في حينه - من وعود فيدور بإثراء شامسون. توقع أن الكاتب الشاب سيلقي بكل شيء خلف ظهره ويرافقه إلى هوليوود - حيث سيجنّي شامسون أموالًا طائلة. لحسن الحظ، فإن شامسون ينحدر من سلالة حكيمة، ولم يبدر منه ما يسميه الفرنسيون «أضاع طريقه إلى

الشمال» - لم يخرج عن مساره. وسأل فيدور مرة: «لكن، ما الذي سأفعله مع وظيفتي؟» حظي شامسون بوظيفة جيدة - في المجلس التشريعي، سكرتيرًا لوزير الدولة - ولم ينوِ التخلي عن منصبه.

فقدت ماء الوجه من جراء هذه الحادثة، وسمعة بلدي كذلك. أما بالنسبة إلى سكوت فيتزجيرالد، فقد شعر بالذعر مما حدث، وأبدى لطفًا بالغًا حتى غفر لنا شامسون خذلانا له.

أخبرني آل شامسون عن زيارة فيتزجيرالد لشقتهما خلف البانشيون في منتصف الليل. جلب سكوت معه زجاجة شمبانيا في دلو ربما جلبه معه من نادٍ ليلي ما. بعد مشاركة الشمبانيا، أراد سكوت التمدد في الأريكة - قضاء الليلة - فجلبت له لوسي سجادة ليلتحفها. غير سكوت رأيه، وواجه شامسون وزوجته صعوبة في تجنبه من القفز من الشرفة إلى الشارع - الشقة في الدور السادس. نجح شامسون أخيرًا في إنزال سكوت من السلالم، خطوة بخطوة، ثم إلى سيارة الأجرة. وجنبه أيضًا تقديم كل ما في جيبه من مال إلى السائق، الذي خشي وتجنب قائلًا: «سيوقني ذلك في مشكلة»، سائقو الأجرة أمناء على الدوام.

اتخذت مسيرة شامسون المهنية مسارًا مذهلاً إلى درجة أنه لم يكن لديه سببٌ للندم على إنجازات لم يستطع تحقيقها. وأصبح أصغر من يتولى منصب أمين متحف في قصر فرساي، ويشغل حاليًا منصب أمين متحف في القصر الصغير، وانتخب عضوًا في الأكاديمية الفرنسية.

التقينا أنا وأدريان كثيرًا في منتصف العشرينيات بأندريه شامسون وجان بريفوست، صديقان مقربان ومختلفان تمامًا؛ كان شامسون نظاميًا، مجتهدًا، متعدد القدرات وحصيفًا. أما بريفوست فغريب الأطوار ومتقلب المزاج. كان بريفوست ضليعًا بالنحو ويفكر بطريقة فلسفية، أما شامسون فخبير بالفن، ومؤرخ وذو عقلية سياسية.



عاون بریفوست أدريان في تحرير مجلتها لفترة، ولذلك قضى كثيرًا من وقته حول مكباتنا. وكان أندريه موروا صديقه العزيز، وأخلص له، ورعاه، ودائمًا ما تحدث عن موروا.

اشترك أدريان وشامسون في حب الجبال. كان الإيغوال في إقليم سيئين هو الجبل المحبب إلى شامسون، أما أدريان فجبل لو ديزير، الذي يسمو فوق بلدتي شامبيري وإيكس لبيان، والواقع بين مرتفعين هما جبل ريفارد و صليب نيفوليه.

قدنا السيارة إلى إقليم سيئين للتحقق من مزاعم شامسون بشأن جبل إيغوال، كان لزامًا علينا الاعتراف بأن حبه الشديد للجبل كان مبررًا؛ الجبل شاهق، ومشجر، وانسيابي بمعنى الكلمة، وتجري المياه على جانبيه. ويقع وادي السعادة أسفل الجبل، ويتعرج الطريق المؤدي إلى جبل شامسون - اقرأ رواية الطريق - واعتبر شقه إنجازًا. وعندما تصل إلى قمة الإيغوال، ستنظر إلى البحر المتوسط عبر جبال السيئين. ومع ذلك، تعتقد أدريان بأن جبل شامسون مجرد رابية بالمقارنة مع جبال الألب الراسخة في موطنها بساقوي.

وجدت بریفوست شخصًا عنيدًا، لا من منطلق عملي، بل حرفي؛ فأسه صلب كالصخر، واعتاد على إثبات ذلك بضرب رأسه بأنبوب حديدي في مكتبتي متسببًا بارتعاشي أنا والأنبوب الحديدي دون أن يشعر بشيء أبدًا. كان ملاكمًا وقال إن اللكمات التي تلقاها في الرأس لم تضايقه، ولم يشعر بها. بوسعك طرق رأس بریفوست بقضيب حديدي. ولذلك انكسر إبهام هيمنغواي في النزال الذي رتبت له بين

البطلين، كان بريفوست ممتلئ الجسم وشديد القوة، وأحب ممارسة الرياضة، ولعب كرة القدم في أيام الأحد.

تخرج بريفوست من المدرسة العليا للأساتذة، وذات يوم، وبينما كنا جالسين في مكتبة أدريان، توقف رجل في منتصف العمر، ذو مظهر لافت، للنظر في الكتب المعروضة على النافذة، فقال بريفوست «إنه هيريوت»، ثم خرج مسرعًا، وحيا هيريوت بتحية المدرسة العليا (تحية فاحشة لا يمكنني اقتباسها)، فتبعه هيريوت إلى المكتبة. أعجبت بإدوارد هيريوت<sup>1</sup> وقدرته بصفته واحدًا من أفضل رجال الدولة الفرنسيين. هرعت صوب شكسبير أند كومباني لجلب نسختي من كتابه وسط غابات النورماندي ووقعها لي بلطف.

بريفوست، الذي كان يفكر ويتدبر أمورًا أقل الاعتلالات كالبرد وآلام المعدة، لم يهب الموت؛ مات مقاومًا للاحتلال.

أ. ماكليش

أحببت من الأعضاء الأميركيين في شكسبير أند كومباني إيذا وزوجها آرشيبالد ماكليش<sup>2</sup>، مؤلف المجموعتين الشعريتين الزواج السعيد وإناء الأرض، وزارا المكتبة لأول مرة في عام 1924، أو ربما لاحقًا؟ لست متأكدة من العام. أهداني آرشي هذين الكتابين الصغيرين في عام

1 سياسي فرنسي (1872 - 1957).

2 شاعر ومسرحي أمريكي (1892 - 1982).

1928، لكنه كان صديقًا منذ عام 1926، وكان صديقًا أيضًا لجويس، وكتب مع لودفيغ لويسون<sup>1</sup> بيانًا احتجاجيًا على قرصنة يوليسيس. أتذكر لقاء ماكليش بهيمنغواي في المكتبة للحديث عن خطة لإنقاذ هارت كرين، الذي كان في ورطة مع الشرطة الفرنسية. تعرض بعض أصدقائنا لمثل هذه الأمور بسبب نقص في الكلمات الفرنسية ووفرة في الشراب. ولحسن الحظ، فإن ماكليش وهيمنغواي متواجدان لأي طارئ.

تناولت وأدريان العشاء في منزل آل ماكليش الصغير والأنيق، والواقع في الجادة الكبيرة لغابة بولونيا، وأعيدت تسميتها لتصبح شارع فوش. اتضح لاحقًا أن آل ماكليش قد استعارا المنزل والخادم ذا القفاز الأبيض من صديق، وشرحنا لنا ذلك بنبرة اعتذار.

قرأ لنا آرشي بعد العشاء قصيدة شبه مكتملة، وغنت إيدا - صوتها جميل، وحضر آل جويس، وأعجب جويس بغناء إيدا، ودربها على أداء الأغاني الإيرلندية المخترنة في ذاكرته قبل حفلتها التي حضرناها جميعًا.

## الباليه الميكانيكي

دخلت شكسبير أند كومباني مجال الموسيقى في مناسبة واحدة؛ قطن جورج أنتيل وزوجته بوسكي شقة بغرفتين تقع فوق المكتبة التي انتقلنا إليها تَوًّا إلى شارع أوديون - رغب أنتيل بذلك لشهيته الكبيرة تجاه الكتب والتهامه لكل مجلد في قسم الإعارة بالمكتبة. دائمًا ما سألني

---

1 ناقد أمريكي (1882 - 1955).

الزبائن الذين ينظرون إلى الصور المعلقة على الحائط عن الشخص ذي شعر الناصية في الصورة الملتقطة بواسطة مان راي، وفي نفس اللحظة، يدخل ذات الشخص من الباب الجانبي لقسم الإعارة حاملاً حفنة من الكتب. اقترح عليّ جورج اقتراحاً قيماً بالتخلص من كتبي، ووضع في نافذة العرض عناوين أكثر تشويقاً، وقال إنها ستباع فوراً، وعندما سمعت بالعناوين غير المذكورة التي عرضها، ظننت أنه على حق.

في حال نسي جورج مفتاح شقته وبوسكي في الخارج، فإنه سيتسلق بمساعدة من لافته شكسبير، ويرفع نفسه إلى نافذة الطابق الثاني، ويقف المارة للنظر إلى واحدة من حركات الغرب الأميركي التي تصدر من زبائني، الذين يطلقون صفيهم في بداية الشارع أو نهايته، ولباس بعضهم يشبه لباس رعاة البقر. أحببت حارسة المبنى -السيدة العجوز صاحبة الميدالية التكريمية على خدمتها المخلصة طيلة أربعين عاماً- الأميركيين، وتقول إننا نحن الأميركيين ممتعون بقدر سباقات الخيل. واستذكرت أعوام ما قبل العمل في المبنى، حين قاد زوجها عربة إلى ميدان لونغ شامب للفروسية، وتحمل معها حقيبة جلدية معلقة على كتفها وتجمع الأجرة بينما تتمايل العربة. واعتادت على قول «ذلك الأميركي» كلما أشارت إلى كلبتي تيدي وعليه رخصة بروكلين التي لا تفارقه. وحملت تقديراً كبيراً لجورج أنتيل، باستثناء المرات التي يعود فيها متأخراً ليلاً إلى المنزل فتضطر لإدخاله.

تمتعت وجورج بذائقة متطابقة، مع الأخذ بيوليسيس بعين الاعتبار، والتي وصفها جورج بـ«العملية»، وتحدث عنها بوصفها اختراعاً ميكانيكياً، وحلم بتلحين أوبرا مستوحاة من يوليسيس، ولسوء الحظ لم يستطع ذلك.

عاصرت وأدريان تلحين مقطوعة الباليه الميكانيكي منذ البداية، حين لم يملك جورج بيانو للعمل على المقطوعة، فسمحت له أدريان باستخدام البيانو في شقتها ما دامت موجودة في مكتبتها طوال اليوم. يحمل المرء انطباعًا بأن البيانو آلة نظرية، خاصة عندما يعزف عليه جورج، أو يخبط عليها بالأحرى. اعتادت سيدة تكنس غرف أدريان على الاستماع لما أسمته «صوت رجال الإطفاء» وهي متكئة على المكينة، وجدت المقطوعة غريبة لكنها محرّضة.

تبعنا مسار تطور تأليف المقطوعة بتشوق بالغ، وعندما اكتملت، دعانا جورج للاستماع إليها في قاعة بلايل على بيانو ميكانيكي عليه ثلاث لفائف حملت المقطوعة. حضرت مع أدريان وجويس وروبرت مكالمون وآخرين، وبوسك بالطبع، التي كان دورها محصورًا في تجفيف العرق الناضح من المؤدي بسبب الإجهاد.

قال أنتيل إنّه لحن الباليه الميكانيكي على بيانو ميكانيكي لأنه يستحيل على اليد البشرية عزفها عمليًا، بيد أنها احتاجت إلى ذات الجهد المطلوب في البيانو اليدوي. أحببنا المقطوعة كثيرًا، بمن فينا جويس، ولكنه شعر بالأسف لعدم استبعاد التشويهاة الصادرة من البيانو الميكانيكي.

تمكن جورج من الصمود ماديًا بمساعدة والدة براير الليدي إيليرمان، ثم أرسلت السيدة بوك شيكًا لتغطية نفقات الأداء، واستؤجر مسرح الشانزليزيه الضخم. ووافق فلاديمير غولشمان<sup>1</sup>، الذي أبدى

---

1 قائد فرقة موسيقية فرنسي-أميركي (1893 - 1972).

اهتمامًا بموسيقا أنتيل، على تنفيذ الباليه الميكانيكي برفقة فرقته السيمفونية، وجعلها المقطوعة الأولى في برنامج الحفل.

في غضون ذلك، وصلتنا دعوة من السيد والسيدة باوند لحضور حفل خاص للاستماع إلى مقطوعات ألفها باوند وأنتيل في إحدى الغرف الصغيرة بقاعة سالي بلايل. جلست وأدريان مع جويس وابنه جورجيو، الذي أحضره الأب آملًا في استمالته إلى الموسيقى العصرية، لكن ألحان باوند وأنتيل كانت الخيار الأصعب لهذا الغرض. ومن الحضور أيضًا مارغريت أندرسون<sup>1</sup> وجين هيب<sup>2</sup>، وكذلك جونا بارنز وإرنست هيمغواي.

حمل الحفل عنوان: «موسيقا أميركية: (إعلان الاستقلال): أداء أولغا رادج<sup>3</sup> وجورج أنتيل».

أعتبر أداء الباليه الميكانيكي في مسرح الشانزليزيه في عام 1925 واحدًا من الأحداث الكبرى في عقد العشرينيات. ملأ «الحشد» المسرح الكبير، وجدنا المكان ممتلئًا رغم وصولنا قبل ساعة من الحفل، وفي الخارج حاول الجمعُ الدخول جاهدين، وعانينا من صعوبة الوصول إلى مقاعدنا، المكان ممتلئ مثل «ضريح» تركي. حظينا بوقت كافٍ للنظر في الأرجاء لأن جورج أنتيل لم يتمكن من البدء حتى رتق صديقه ألان تانر<sup>4</sup> الثقب الناتج عن العثة في مقدمة لباسه، وأيضًا بسبب عدم القدرة على البدء دون عازف البيانو الرئيس. تواجد آل جويس

1 ناشرة ومحركة أميركية (1886 - 1973).

2 ناشرة أميركية (1883 - 1964).

3 عازفة كمان أميركية (1895 - 1996).

4 عازف بيانو أميركي (1898 - 1986).

في مقصورة، وت. س. إليوت صاحب الظهور النادر، وسيّم وأنيق  
الطلة، وبرفته الأميرة باسيانو<sup>1</sup>. وتواجد قاطنو مونبارناس في منتصف  
المدرج العلوي، ومن بينهم إزرا باوند الذي حظي بإطلالة مباشرة على  
جورج أنتيل. في الأوركسترا، انحنت سيدة ذات إطلالة مميزة بثوبها  
الأسود للجميع بترحاب. انطلقت همسات تقول بأنها من سلالة ملكية،  
فتعجبت أدريان وقالت: «إنها حارسة بنايتك».

تأثر الجمهور بالباه الميكانيكي على نحو غريب، وطفقت  
الصيحات المنطلقة من أرجاء القاعة على صوت الموسيقى، ورد  
المؤيدون للمقطوعة من الأعلى على اعتراضات الجالسين في الأسفل،  
وسُمع صوت إزرا الذي فاق الآخرين، وقال أحدهم بأنه رآه معلقاً رأسه  
على حافة المدرج العلوي.

بإمكان المرء رؤية الناس يلكمون بعضهم البعض في الوجه، وسماع  
الصيحات، لكنه لا يستطيع سماع شيء من الباه الميكانيكي، والتي  
استمرت، بالحكم على حركات المؤدين، في العزف طوال الوقت.

بيد أن الجمهور الغاضب قد انحسر حينما بدأت المراوح المخصصة  
للعزف بالطنين وتسببت بهبة هواء أطارت، حسب قول ستوارت  
غيلبرت<sup>2</sup>، بالشعر المستعار للرجل الجالس بجانبه وتدحرجت وصولاً  
إلى نهاية القاعة، ورفع الرجال ياقات معاطفهم وتلحفت النساء، ملأت  
البرودة المكان.

---

1 مارغريت كاياتي (1880 - 1963) صحفية وناشرة أميركية ارتبطت بأرستقراطي  
إيطالي.

2 مترجم وناقد أدبي إنجليزي (1883 - 1969).

إذا، لا يمكننا القول بأن الباليه الميكانيكي قد حظيت بالإنصات، لكن جورج أنتيل حظي باللغظ على أقل تقدير، ومن وجهة نظر دادائية، ليس بمقدور المرء الحصول على شيء أفضل.

بدا لي أن على جورج أنتيل الانغماس أكثر في عمله، وناشده الآخرون للترشح من الدعاية كي ينال رواجًا أكبر. وأخبرني جورج، بأن باوند اقترح عليه البدء بجولة يسير فيها بأرجاء إيطاليا بصحبة قطه كريزي على ظهره، بيد أن جورج لا يحبُّ المشي، خاصة بوجود كريزي على ظهره. أما كريزي، فقد فضل السير عبر الشرفة لزيارة صديقاته من الإناث في الباب المجاور.

اختفى جورج أخيرًا في الأدغال الإفريقية «بحثًا عن الإيقاعات»، ووجد مكانًا حيث الموسيقى «لا تمتاز سوى بالتصاقها في الذهن». بعدها لم أسمع شيئًا عنه. شعرت بالأسف لوجود كتاب المستنقعات الإفريقية في قسم الإعارة، وقلقت بشأن جورج، وشاركني والده القلق، الذي قرأ التقارير الصحافية وأرسل لي برقيةً مستفسرًا عن مدى توفر أي أخبار بخصوص ابنه، واستمر هاتفي بالرنين. تنامى شعوري بالقلق حتى سعدت بظهور أنتيل.

من بين أصدقائي الذي كان صديقًا لجورج أنتيل الكاتب والمؤلف الموسيقي البارع فيرجيل تومسون<sup>1</sup>، والذي كان صديقًا أيضًا لغيرتدروود ستاين. عُزفت مؤلفات تومسون في العديد من الصالونات الموسيقية بباريس، وخاصة في الصالون الشهير لمدام دو بوست، حيث عزف سترافينسكي<sup>2</sup> والفرقة السداسية من مونبارناس وأنتيل أيضًا.

1 موسيقي أميركي (1896 - 1989).

2 إيغور سترافينسكي، مؤلف موسيقي روسي (1882 - 1971).



في عام 1928، جاء أميركي مقيم في باريس إلى شكسبير أند كومباني لشراء نسخة من يوليسيس، هو جورج غيرشوين<sup>1</sup>. كان غيرشوين شخصًا جذابًا ومحبوبًا. وأقامت سيدة لم ألتقِ بها قبلاً حفلًا لآل غيرشوين ودعتني إليها. لم يكن علينا مصافحة المضيفة لعدم تمكننا من الوصول إليها بسبب التزاحم من المصعد وصولاً إلى شقتها والتدافع إلى البيانو الكبير حيث يجلس جورج غيرشوين. وبجانبه يقف شقيقه إيرا، وشقيقته فرانسيس، الفتاة الجميلة، التي غنت بعضاً من أغانيه. وغنى جورج أيضاً وعزف بعض مقطوعاته على البيانو.

---

1 مؤلف موسيقي أميركي (1898 - 1937).

## السفينة الفضية

تعاظم اهتمام القراء الفرنسيين بالكتاب الأميركيين بحلول منتصف العشرينيات، وبذلت أدريان مونييه جهداً في تنامي هذا الاهتمام، كشرها للترجمة الفرنسية الأولى لقصيدة إليوت «بروفوك» في مجلتها السفينة الفضية عام 1925. ترجمت وأدريان القصيدة معاً، ربما ليست بالترجمة الجيدة، لكنه عمل ناتج عن حب على أقل تقدير، ولم نسمع لومًا من الضحية. ثم نشرت أدريان في مارس عام 1926 عددًا من السفينة الفضية حُصص بالكامل للكتابات الأميركية، وتصدّر العدد خطابًا سياسيًا كتبه والت ويتمان بعنوان «الرئاسة الثامنة عشرة»، واكتشف الخطاب أستاذ جامعي شاب يدعى جان كاتل<sup>1</sup>. اعتقد كاتل أن خطاب ويتمان لم يسبق نشره من قبل ولعله كان محققًا. ترجمت وأدريان الخطاب الذي طبعه الشاعر بنفسه - بخط صغير أوشك على تسببه لي بالعمى أثناء العمل عليه، فذهبت إلى طبيب العيون الذي يتعامل معه جويس. حدث ذلك في نفس اليوم الذي حضرت فيه حفل يوم ميلاد جويس، ويا للعجب! وضع كل من جويس وناشرة روايته ضمادًا أسود على عين واحدة.

1 أستاذ وناقد أدبي فرنسي (1891 - 1950).

نشرت أدريان في عددها الأميركي، بالإضافة إلى خطبة ويتمان، أعمالاً «للكتاب الأميركيين الشباب الأربعة» - وليام كارلوس وليامز، روبرت مكالمون، إرنست هيمنغواي وإدوارد كامينغز<sup>2</sup>. كان الظهور الأول لأولئك الكتاب باللغة الفرنسية، احتوى العدد على مقتطع من رواية وليامز الرواية الأميركية العظيمة بترجمة أوغست موريل، وقصة هيمنغواي «الصامد»، ومجتزأ من رواية كامينغز الغرفة الرحبة والتي ترجمها جورج دوبليه بعنوان «الزهري»، وقصة لمكالمون «وكيل الدعاية» ترجمتها مع أدريان.

احتوى العدد جزءاً من فهرس الأدب الأميركي من إعداد أدريان، التي تعهدت بتلك المهمة الصعبة، وجمع قائمة بكل الكتابات الأميركية المترجمة إلى الفرنسية. وأعدت قبله فهرساً مماثلاً للأدب الإنجليزي. ومن الغرابة القول بعدم تواجد قوائم بالأعمال المترجمة من قبل، ولم تتلقَ أدريان مكافأة سوى الرضا عن الذات.

## ويتمان في باريس

أقمت معرضاً تكريمياً لوالد ويتمان في ذات فترة صدور السفينة الفضية. تمتع ويتمان بكل شيء عدا الأسلوب. لم يتقبل والد ويتمان «الحشد»، خصوصاً بعدما أذاع ت. س. إليوت رأيه بوالد. توافق مع أعمال ويتمان كل مني وجويس والفرنسيين، كنا قديمي الطراز كفاية لتقبله. يمكنني بنصف عين أن أرى تأثير ويتمان على أعمال جويس - ألم يقرأ عن ظهر قلب سطوراً له في يوم ما؟

مكتبة  
t.me/soramnqraa

1 كاتب وشاعر أميركي (1883 - 1963).

2 شاعر أميركي (1894 - 1962).

أتاني جو دافيدسون عندما سمع عن تحضيرات معرض ويتمان، وأخبرني عن خطة نصب تمثال لوالد ويتمان في حديقة باتيري بنيويورك، حيث يفضي ممر مشجر إلى التمثال، وتوضع على جانبي الممر مصاطب خشبية يمكن للناس التسكع عليها ساعة الغداء. كُلف جو دافيدسون بنحت التمثال - حيث يبدو ويتمان ماشيًا بمثابة رمزية للطريق المفتوح - وأراد دافيدسون وضع نسخة طبق الأصل من التمثال في المعرض. سعدت لسماعي بأن مانهاتن تخطط لتكريم والت ويتمان، وقررت التبرع بمدخول تذاكر المعرض لصالح تكريم ويتمان.

جلب جو دافيدسون نسخة طبق الأصل من التمثال، بالإضافة إلى صور لافته لوالد، واستعرت العديد من الطبعات الأولى القيمة، ورسائل وأشياء أخرى - فوجئت بالعثور على العديد من المواد المتعلقة بويتمان باللغة الفرنسية. وبطبيعة الأمر فإن شكسبير أند كومباني تملك أشياء تخص ويتمان بصورة دائمة ألا وهي المخطوطات الصغيرة التي أنقذتها خالتي أغنيس أوريسون من سلة المهملات في زيارتها إلى كامدن. أتمننا تجهيز المعرض، وما كان ينقصه سوى علم أميركي ذي أبعاد مناسبة، كي يفصل بين المعرض والأرشفة ولإضفاء لمسة وطنية. دائمًا ما يحيي والت ويتمان مشاعري الوطنية، وأظن بأنه على الأعلام أن تكون «جامحة» كما كتب إ. ب. وايت<sup>1</sup>، وصادف أن حزت على ما يمكن أن يكون أكبر علم أميركي في باريس، حيث حصلت عليه بسعر مخفّض في محالّ اللوفر. كان علمًا بحجم مبنى، ومن بقايا الحرب العالمية الأولى، وأبدى فاعلية كبيرة في معرض والت ويتمان.

---

1 كاتب أميركي (1899 - 1985).

حزت بعد سنوات لاحقة على علم ضخمة ثانٍ، حصلت عليه من مبنى شركة ناشونال لآلات النقد أثناء تحرير باريس إثر إلقاء الألمان لقبلة على المبنى. كنت خارجة في الصباح التالي لتلك الكارثة من كاتدرائية نوتردام، التي كانت قريبة من المبنى المدمر، حيث التقيت برجل يحمل أكبر علمين رأيتهما في حياتي، علم أميركي وآخر فرنسي. وبسؤال الرجل - وهو أمر طبيعي على ضوء تلك الظروف - علمت أنه موظف في شركة ناشونال لآلات النقد فأخذ العلمين معه لإخفائهما في مكان آمن، وألقى عليّ بحمله الذي سرت به إلى منزلي، بيد أن أشياء أغرب شوهدت أثناء تحرير باريس.

بالعودة إلى معرض ويتمان، شهدنا نجاحًا عظيمًا، وخصصت كتابًا من الجلد المغربي بحجم يوليسيس لجمع توقيع العديد من الزوار الذين زاروا المعرض وأولها توقيع بول فاليري.

## كونتاكت وثري ماونتز

حافظت شكسبير أند كومباني على تواصل قريب مع المطابع الصغيرة التي تنشر الكتب بالإنجليزية. وعادت الريادة في المجال إلى روبرت مكالمون عبر شركة كونتاكت للنشر، إذ أعلن عن خطته المتعلقة بالنشر في العدد الأول من مجلة ترانس أتلانتك ريفيو لفورد مادوكس فورد<sup>1</sup>:

---

1 روائي وناقد ومحرر إنجليزي (1873 - 1939).

«في فترات متفاوتة من أسبوعين إلى ستة شهور، أو ستة أعوام، سوف تصدر كتبًا لمختلف الكتاب الذين لا يمكنهم نشر أعمالهم لدى ناشرين آخرين، إما لأسباب تجارية أو قانونية. ستُطبع ثلاثمئة نسخة فقط من كل كتاب. تُنشر تلك الكتب لأنها ببساطة مكتوبة، ونحبها لدرجة رغبتنا في إخراجها. يمكن للمهتمين التواصل مع شركة كونتاكت للنشر، 12 شارع أوديون، باريس.»

تعاون مكالمون ووليام كارلوس وليامز في نيويورك فيما أسماه «حركة كونتاكت» ونشرا عددًا أو اثنين من مجلة كونتاكت ريفيو عندما هاجر مكالمون إلى باريس. لم أفهم ماهية «حركة كونتاكت»، لكن الكتب التي نشرها مكالمون في منشورات كونتاكت كانت خارجة عن المؤلف، فعلى سبيل المثال، صدر كتاب بعنوان ثلاث قصص وعشر قصائد لكاتب جديد يدعى إرنست هيمنغواي. سرعان ما بيعت جميع النسخ، واشتهر هيمنغواي ومنشورات كونتاكت أيضًا. ثم نشرت مجموعة قصصية لمكالمون نفسه، وعنوانها، الذي اقترحه جويس لكونه يحمل سمات المؤلف هو حفنة متسرعة. كانت المجموعة القصصية هي أولى أعمال مكالمون النثرية، حسبما أعتقد، إذ سبق أن نشر مجلدًا شعريًا بعنوان الاستكشافات في إنجلترا بواسطة مطبعة إيجويست.

نشرت كونتاكت رواية براير ذاتان ورواية هيلدا دوليتل طرس، ورواية آل آش من قلعة الخواتم لماري باتس، تلك الرواية التي أصبحت مطلوبة مثل جميع أعمالها، لنأمل يومًا ما، أن تصدر الأعمال الكاملة لماري باتس. وأسهم جون هيرمان بحكاية مسلية عن قارع طبول عنوانها ماذا

يحدث، وتمتعت سيرة غيرترود بيزلي، المعلمة من تكساس، أعوامي  
الثلاثون الأولى بكل صفات كتب السيرة الذاتية عدا الملل.

ونذكر بالطبع واحدة من أوائل كتب كونتاكت، مجموعة الرجل  
المتسرع للشاعر الذي اعتنى به «الحشد» وهو يرقد مريضاً في ميلان،  
الشاعر إيمانويل كارنيفالي<sup>1</sup>. ومن العناوين الأخرى التي نشرتها  
كونتاكت: حكايات عجيبة لكين ساتو، وخمس وعشرون قصيدة  
لماردسين هارتلي، وديوان الربيع وخلافه لوليام كارلوس وليامز، وديوان  
مينا لوي دليل إلى القمر (علمت بقرب إعادة صدوره في الولايات  
المتحدة)، رواية البحارة لا يأبهون لإدوين لانهام<sup>2</sup> ورواية آكل الظلام  
لروبرت كوتس<sup>3</sup>، ومجموعتان قصصيتان لروبرت مكالمون هما المجلد  
المرافق ومرحلة ما بعد المراهقة - المجموعة الثانية هي المفضلة إليّ  
من أعماله. وأخيراً، أذكر كتاب مختارات مجموعة كونتاكت للكتاب  
المعاصرين، التي تألفت من مقتطفات لكتاب ذاك العصر. كان الكتاب  
واحدًا من أكثر كتب القصصات إثارة لاهتمامي، إذ احتوى على أول  
مقطع منشور لرواية بعث آل فينيغان تحت عنوان «من عمل قيد التحضير»  
ومساهمات من جميع الكتاب المستحق ذكرهم في تلك الفترة.  
جرى تسليم المخطوطات لصالح منشورات كونتاكت إلى روبرت  
مكالمون في دوم كافييه، وأخبرني أنه اكتشف معظم الكتاب في مقهى  
ما أو آخر.

1 كاتب وشاعر إيطالي-أميركي (1897 - 1942).

2 كاتب أميركي (1904 - 1979).

3 كاتب وناقد أميركي (1897 - 1973).

كان صديق مكالمون وزميله في النشر وليام بيرد<sup>1</sup> عضوًا بارزًا في مجال النشر بباريس، وأنفق مدخراته ووقته على مشروعه الصغير والشخصي تمامًا، مطبعة ثري ماونتز [ثلاثة جبال]، حين سمع من كاتب صديق عن صفقة جيدة لمطبعة يدوية اشتراها ووضعها في مكتب صغير بجزيرة سان لوي<sup>2</sup>، حيث ذهبت لرؤيته مرة ووجدته منشغلًا بطباعة كتاب، واضطر للخروج والحديث معي على الرصيف لأن «مكتبه»، كما شرح، لا يتسع إلا للمطبعة اليدوية وشخص واحد يتولى التحرير والطباعة. امتلك بيرد معرفة شاملة بالإصدارات النادرة، كان محبًا للمكتب، وتمنى كل جامع للكاتب الحصول على منشوراته - المطبوعة بخط أنيق على صفحات كبيرة من الورق الفاخر بطبعات محدودة. نشر بيرد عمليًا باوند كانتوس وأفعال طائشة، ومجموعة هيمنغواي القصصية في زماننا، وكتاب رجال ونساء لفورد مادوكس فورد، وغيرها من الأعمال. وكان بيل خبيرًا في النيذ أيضًا، والإصدار الوحيد من منشوراته الذي لم يكن مطبوعًا على ورق من الحجم الكبير وصدر على هيئة كتيب هو النيذ الفرنسي من تأليف وليام بيرد.

---

1 صحافي وناشر أميركي (1888 - 1963).

2 واحدة من جزيرتين طبيعيتين في نهر السين.



to Sylvia Beach from  
Dot Mc Almon June 5, 1929  
Ernest Hemingway

Miriam Hartley.

H. D.  
Boylan.  
T. S. Eliot  
James Joyce  
May Sinclair  
Dorothy Richardson.  
— ١٩٢٩

تواقع لمجموعة من الكتاب مهداة إلى المؤلفة

جاك كاهين

ومن الأصدقاء والزملاء الآخرين الذين كانوا في مجال النشر السيد جاك كاهين، من مانشستر بإنجلترا، العسكري السابق في الحرب العالمية الأولى، الذي تعرض للغازات السامة. أعجبت بكاهين بسبب حس الدعابة وازدرائه للمظاهر. أسس كاهين كل من مطبعة فيندوم ومطبعة أوبيليسك، وأهدر القليل من الوقت والمال على أمور أخرى غير الكتب ذات الطابع الإباحي. وأسهم كاهين بكتابة سلسلة من تلك القصص «سلسلة أزهارى» تحت الاسم المستعار «سيسيل بار» بعناوين مثل النرجس البري، وأصدر بجانب «أزهارى» كتاب الماعز الجوال. ارتبط كاهين بامرأة فرنسية وأسسا لعائلة كبيرة من الأطفال الذين ترعرعوا تحت كنف «الأزهار».

اعتاد السيد كاهين قيادة سيارته ذات السقف القابل للطي من نوع فويزان لكي يزور زميلته في شكسبير أند كومباني للدراسة والسؤال «كيف حال الرب؟» (يقصد جويس). وأبدى تقديرًا «لا نهائيًا» لاكتشافه كتابًا «فاحشًا»، كما أطلق على يوليسيس، ولم يتخل يومًا عن أمل إقناعي بالتخلي عن حقوق الكتاب لصالح مطبعة أوبيليسك. كلف كاهين في غضون ذلك بطباعة مجتزأ من عمل جويس الجديد بعنوان لدينا شيلدرز في كل مكان<sup>1</sup>، وأعتقد أن البعد الجنسي قليل الحضور فيها. أصدر كاهين وشريكه م. بابو طبعة فاخرة من شيلدرز في كل مكان، وأصدر بعدها مجموعة قصائد الواحدة بينس حوت خطوطًا وزخرفات للنص صممتها لوسيا ابنة جويس، وتذكر الخطوط والزخرفات المرء بكتاب كيلز<sup>2</sup> المفضل لدى والدها إذ يمكن رؤية تأثير الكتاب على الحروف في مجموعة قصائد الواحدة بينس. ابتهج جويس لدى علمه بامتلاكه بنسخة من كتاب كيلز، وحسب قوله، فإنه وحده الكتاب المذهب العتيق الذي تمتع بحس الفكاهة.

## آل كروسبي

أراد هاري كروسبي<sup>3</sup> وزوجته كاريس الحصول على «عمل قيد التحضير» من جويس، فذهبت لرؤيتهما بشأن «حكايتان لشيم وشون». وقع مشروعهما بلاك صن بريس [مطبعة الشمس السوداء] في شارع صغير وقديم، شارع كاردينال، على خطوات قليلة من سان جيرمان دي

1 أصبحت لاحقًا إحدى فصول رواية (بعث آل فينيغان).

2 مخطوطة مذهب من الإنجيل.

3 شاعر وناشر أميركي (1898 - 1929).

بري. كان آل كروسبي من أفتن الناس الذين قابلتهم في حياتي، وكانا خبيرين في الكتب الفاخرة، وضيعين بشكل أفضل في الكتابة الجيدة، ونشرا لهارت كرين قصيدته المطولة الجسر وقصيدة أرشيبالد ماكليش المطولة آينشتاين، وغيرها من العناوين. ومن المنشورات التي لحظها عدد قليل من القراء هي رسائل إلى والتر بيرري لهنري جيمس، وهي مراسلات مثيرة للاهتمام والشفقة كتبها هنري جيمس مع دنو أجله، يحاول فيها رد هدية هي حقيبة سفر فخمة لأنه لن يستخدمها البتة. أحسب أن هاري كروسبي هو ابن أخت، أو ابنة خالة والتر بيرري<sup>1</sup>، وهو بدوره شخص لافت.

صدرت طبعة كروسبي من الحكايات بعنوان الحكايات المروية لشيم وشون، وحوت الحكايتين المفضلتين لديّ «الثعلب والعنب» و«النملة والجندب»، اللتين أعتبرهما من المآثر اللغوية الاستثنائية التي قدمها جويس، سيد الكلمات المذهل، ناهيك عن ذكر سحرها الشعري المميز.

كُتبت حكاية الثعلب بوصفها انتقامًا ظريفًا من الهجمات التي شنّها ويندهام لويس ضده في مجلته ذا أنيمي<sup>2</sup> [العدو]. إن الحكاية لمثال على طريقة جويس المهدبة في الثأر حال تعرضه للهجوم، وواحدة من اختراعاته الهزلية الصغيرة، وبالكاد تهمس، ونصف مخفية في مناخ جويس غريب - غير ضارة إلى حد ما، ورقيقة القلب.

1 محام ودبلوماسي أميركي (1859 - 1927).

2 مجلة نقدية أسسها ويندهام لويس (1927 - 1929).

كان من الممكن تضمين حكاية الثالثة، وهي عن اللوحة الشخصية لجويس التي طلب آل كروسي من برانكوشي<sup>1</sup> رسمها لتصدر الكتاب. جلس جويس لرسم اللوحة التي جسدها لكنها خيبت آمال الناشرين. حاول برانكوشي مجددًا، ورسم شيئًا قال إنه يجسد الملامح الأساسية لجويس وحسب، نجحت هذه المحاولة - عمل يمثل برانكوشي!

فضلت اللوحة التي جسدت تفاصيل جويس كافة لأنني قديمة الطراز، وأخبر برانكوشي - الذي ضحك من القصة - كاثرين دودلي<sup>2</sup>، منذ فترة قصيرة، أنه أراد التشرف بتقديمه للوحة الأصلية هدية لي.



لوحة جيمس جويس لبرانكوشي

1 كونستانتين برانكوشي، فنان ونحات روماني (1876 - 1957).

2 شقيقة الشاعرة الأميركية دوروثي دودلي (1884 - 1962).

تعلم هاري كروسبي الطيران في أوقات فراغه، كان مهووسًا بفكرة الموت، وظن أن الموت بواسطة طائرة هي مية جيدة كأى مية. وكان مغرمًا بـ كتاب الموتى المصري، وأهدى جويس نسخة فاخرة منه - أو نسخًا بالأحرى، وجاءت في ثلاثة مجلدات. كان كروسبي رجلًا متوترًا، شديد التوتر على قيادة طائرة، حتى وإن راق له ذلك صنف من الموت، واعتاد على الاندفاع دخولًا وخروجًا من المكتبة، والغوص في أرفف الكتب كطائر طنان يستخلص العسل من زهرة، أو يحوم حول طاولتي ليقول لي إنّه هو من أسمى زوجته كاريس، وذهبا يدا بيد إلى مبنى البلدية لتوثيق اسمها الجديد<sup>1</sup>. وجلب لي في يوم ما لقطات لهما أمام طائرته - في اليوم الذي نال فيه رخصة الطيران. ولم يستعرض عليّ شعره - ما يدل على تواضعه، وكانت لمستته حانية على كل شيء، كثير من الجاذبية، وعلى درجة كبيرة من اللطف.

امتاز كروسبي بالسخاء في تعاملاته مع جويس، وبعبارة أخرى، في تعاملاته معي من أجل جويس. كان من صميم عملي، بالطبع، ترتيب كل شيء مع ناشري تلك المقاطع من «الأعمال قيد التحضير» والحصول على أقصى ما يمكنني الحصول عليه لهم. كنت متشبثة جدًا فيما يتعلق بجويس، وحظيت بسمعة كوني متصلبة في العمل، ولم يتوهم أحد ولو قليلاً بشأن هذه السمعة. ومُنحت شكسبير أند كومباني وكالة قانونية من قبل جويس للتعامل مع شؤونه، بيد أن لا مكاسب قد جنيت من وراء ذلك - كانت الخدمات مجانية. ولعلم الناشرين بذلك، فقد داوموا على إهدائي نسخة فاخرة مخصصة لي من كتبهم، التي يوقعها لي جويس مع عبارة «مع امتناني».

---

1 اسمها عند الولادة كان ماري فيليبس جيكوب.

انخرطت غيرترود ستاين وأليس ب. توكلاس في مجال النشر قبل أعوام عديدة من الحرب العالمية الثانية تحت علامة منشورات بلين، وعلى عنوان سكنهما 27 شارع دي فلوريس. حيث أصدرتا العديد من كتب غيرترود، ومنها واحدة من رواياتي المفضلة لوسي تشرش مع الود، ومجلد بعنوان الأوبرات والمسرحيات الذي حوى المسرحية الشهيرة أربعة قديسين في ثلاثة فصول. عندما عرضت المسرحية، التي وضع موسيقاها فيرجل تومسون (زبون سابق لشكسبير أند كومباني)، في نيويورك، أصبح الطلب على الكتاب هائلاً حتى نفذ سريعاً، وحظيت طبعة منشورات بلين بشعبية جارفة بين زبائني من المعجبين بستاين، بطباعتها وورقها الجميل، وذكرتي المجلدات الصغيرة بوحدة من رواد العشرينيات: منشورات كونتاكت لروبرت مكالمون.

أما آخر دور النشر الأميركية الصغيرة في باريس فكانت مطبعة هاريسون للآنسة باربرا هاريسون<sup>1</sup>، بمساعدة خبير هو مونرو ويلر<sup>2</sup>. أصدرت الآنسة هاريسون بعضاً من المنشورات الجيدة، من بينها العزبة وكتاب الأغاني الفرنسي لكاثرين آن بورتر<sup>3</sup>، ومن المؤكد أنهما كتابان نادران الآن.

1 ناشرة أميركية (1904 - 1977).

2 ناشر أميركي (1899 - 1988).

3 قاصة وروائية أميركية (1890 - 1980).

إن الطريقة المثلى لمتابعة الحركة الأدبية في العشرينيات هي عبر مجلات المراجعات النقدية الصغيرة، والتي، للأسف!، حظيت بعمر قصير، بيد أنها دومًا ما كانت مثيرة للاهتمام. لم تنشر شكسبير أند كومباني مجلة نقدية أبدًا، إذ اكتفينا بالاعتناء بالمجلات المنشورة من قبل أصدقائنا.

أولى تلك المجلات، كما أظن، هي مجلة آرثر موس<sup>1</sup> غرغول<sup>2</sup>، وساعدته في التحرير زوجته فلورنس غيليام. وعلى غلاف المجلة رسم لكائن أسطوري، ولكن، أشار إليّ معماري فرنسي أنه كائن مختلف تمامًا عن الغرغول. لا يحب الفرنسيون الخلط بين هويات حيواناتهم الأليفة. صدرت أعداد قليلة من مجلة غرغول، لكنها كانت أعدادًا لافتة.

ثم جاءت مجلة ترانس أتلانتيك ريفيو لفورد مادوكس هيوفر، المحرر السابق للمجلة المشوقة إنغليش ريفيو، والذي أغراه القدوم إلى باريس، حيث تخلى عن اسم هيوفر، وعُرف لاحقًا باسم فورد مادوكس فورد. تعرض فورد للغازات في الحرب، لكنها لم تؤثر على نشاطاته، وكان شخصًا مرحًا، وحظي بشعبية بين زملائه الكتاب، وعُرف بإنفاقه من ماله الخاص لصالح المساهمين في إنغليش ريفيو [المجلة الإنجليزية] في حال عدم توافر موارد أخرى.

1 شاعر ومحرر أميركي (1889 - 1969).

2 غرغول هي مزاريب حجرية على شكل كائنات أسطورية، وتبرز في العمارة الأوروبية القديمة.

تبنى مادوكس السفينة في شعار النبالة لمدينة باريس علامة لمجلته واقتبس النصف الأول من شعار النبالة «تتقاذفها الأمواج»، وأهمل بحصافة النصف الثاني من الشعار «لكنها لا تغرق».

كان أول ما فعله فورد وزوجته ستيليا بوين هو دعوة «الحشد» إلى حفل في الأستوديو الكبير الذي أُعير إليهم، حيث الرقص على أنغام الأكورديون والكثير من البيرة والجبنه والمرطبات الأخرى. دعاني فورد إلى الرقص معه، وجعلني أنزع حذائي - كان قد نزع حذاءه مسبقاً. كان الوضع مع فورد نطاً وقفزاً أقرب منه رقصاً. ورأيت جويس وهو يراقبنا جانباً باستمتاع كبير.

ودعاني فورد وستيليا إلى العشاء في مناسبة أخرى، وأقاما حينها في أستوديو أصغر ذي عليّة، حيث وجدت المائدة مجهزة، وطها فورد بنفسه وجبة لذيذة من البيض المقلي واللحم المقدد. قرأ فورد بعد العشاء، وبصوت عال ومتواتر، قصيدة عن الجنة أنهاها مؤخراً، وكان ما سمعته منها على الأقل مثيراً للاهتمام. آمل أن فورد لم يلحظ استسلامي للنوم، إذ كان عليّ الاستيقاظ مبكراً ما يجعلني عرضة للوقوع في النوم حالما أستمع ليلاً إلى أي قصيدة مهما بلغ طولها. استمر فورد، ولسوء حظه، في قراءة قصيدته الجديدة، على أمل أن تنشرها شكسبير أند كومباني، على الرغم من أنه لم يذهب بعيداً ويقترح عليّ ذلك. خشيت أن بعض الكتاب لم يعجبوا بنشري لجويس حصراً، لكنهم على الأرجح لم يدركوا أنني غارقة في شؤون المؤلف الوحيد الذي نشرت له.



نشر فورد في العدد الأول من ترانس أتلانتيك ريفيو رسالة ممتعة كتبها ت. س. إليوت، ونشر في العدد الرابع «أربعة رجال عجائز» لجويس. بدأت الموارد بالتقلص بعد فترة قصيرة من نشر المجلة، وحسبما أتذكر، سافر المحرر عبر المحيط الأطلسي في محاولة لجمع المال للإبقاء على سفينته طافية، تاركًا هيمغواي يتولى شؤون المجلة في غيابه، وبقيت المجلة حية في وقت عودة فورد.

توقفت ترانس أتلانتيك ريفيو عن الصدور رغم تميز محررها والمساهمين في مواضيعها، وافتقدها القراء والعديد من الكتاب الذين توافرت مخطوطاتهم خارج بلدانهم في تلك السنوات.

## إرنست والش وديس كوارتر

وصلتني في يوم ما من فندق كلاريدج رسالة لشاب يدعى إرنست والش<sup>1</sup>، وأررفت معها رسالة توصية من شخص ما بشيكاغو. اعتذر والش من عدم المجيء بنفسه، كان مريضًا إلى درجة عدم استطاعته ترك الفراش. أخبرني والش عن وضعه، ونفاد مدخراته، وفي حال عدم حصوله على مساعدة، فإنه سيضطر لمغادرة فندق كلاريدج.

تساءلت عما يمكن لشكسبير أند كومباني فعله في تلك الظروف، وكنت مشغلة جدًا ولا يسعني ترك المكتبة، لكنني أرسلت صديقًا ينوب عني لرؤية ما يمكن فعله لوالش. وجد الصديق والش راقدًا في واحدة من أفضل الغرف بالفندق، ومرضه شديد بالفعل، ومشمول برعاية طبيب وممرضات ليل نهار، وعاجز عن الحركة بسبب المرض.

---

1 شاعر ومحرر أميركي (1895 - 1926).

اكتشف صديقي أن والش قد وصل إلى باريس برفقة شابتين جذابتين التقى بهما على الباخرة. ويُعزى مرضه إلى نوبة برد التقطها وهو يقود بهما في غابة بولونيا. اختفت الفتاتان، لعلهما تبحثان عن شخص مع أموال وفيرة. أنفق والش كل ما لديه، ولحظ صديقي على الطاولة زجاجة ويسكي ذات سداة مذهّبة، وثوب نوم فخماً ملقى على الكرسي، وملابس فاخرة في الخزانة المفتوحة.

ترفت إدارة فندق كلاريدج بحال والش، لكنها بدأت تصر على عدم بقاء الضيف في حال عدم تمكنه من الدفع، حتى أنهم تواصلوا مع السفارة بشأنه.

ولحسن حظ والش، كانت لديه رسالة توصية أيضاً للسيد باوند، الذي عمل على نجدة الشعراء، وهرع لمساعدة والش. سمعت لاحقاً بأن مشاكل والش المالية قد حُلّت، وأنه تعافى من المرض عندما ظهر في المكتبة وبرفقته امرأة صادقة وأحسنّت إليه هي الآنسة إيثيل مورهد، شاعرة أسكتلندية، وناشطة مسلحة فجرت صناديق البريد العمودية لمنح حق التصويت للنساء. كان والش المغامرة المتفجرة الجديدة لمورهد، إذ قرر الاثنان البدء بمجلة نقدية سميت بـ ذيس كوارتر، وخططا لنشرها في الريفيرا، بما أن المناخ في باريس لم يلائم والش.

أحببت ذلك الثنائي كثيراً، وأعجبت بشجاعتها وشغفها تجاه الشعر، وحققا خططهما، وأصدرا أعداداً حيوية، وخصصا العدد الأول لأعمال إزرا باوند، أما العدد الثاني فضمّ مجتراً من «شيم» من «عمل قيد التحضير» لجويس، ومساهمات من قبل العديد من الكتاب الآخرين الذين عاصروا تلك «الحقبة الباريسية» المثيرة من التاريخ الأدبي الأميركي.

ساعدت كاي بويل<sup>1</sup> إرنست والش لاحقًا في تحرير مجلته النقدية، وأُعتبرت بويل واحدة من أكثر الشخصيات إثارة للاهتمام في حكاية أعوام العشرينيات لموهبتها في الكتابة وأمومتها. وعندما تعرفت إليها، كانت تكتب رواياتها الأولى، مصابة بالطاعون بسبب العنديل، والتي استندت على زواجها الأول، ورواية العام قبل الماضي.

علمنا لاحقًا بأن إرنست والش قد أُبلغ بأن لديه أشهر قليلة ليعيش فيها، فقرر المجيء إلى باريس لقضاء ما تبقى من الوقت بين الكتاب الذين أجّلهم. كان يحلم بتكريس اسمه شاعرًا، وكانت تلك مهمته الأصعب. ثمة شيء طيّب يتعلق بإرنست والش، كان حيويًا وذا شخصية بطولية.

## ترانزيشن

شكل ظهور مجلة ترانزيشن حدثًا هامًا في حياتنا الأدبية بباريس العشرينيات.

جاءني صديقنا العظيم، والمواكب للحراك الأدبي الحديث، الكاتب الفرانكو-أميركي يوجين جولاس، وأبلغني بتركه العمل في صحيفة هيرالد تريبيون الباريسية لنشر مجلة نقدية بالإنجليزية - بالطبع، في باريس.

كان خبرًا طيبًا، تأتي مجلات نقدية وتذهب أخرى، وكانت اللحظة مواتية لتدشين مجلة جديدة، وتحديدًا مع محرر كفء مثل جولاس. أحببت جولاس لا لشخصه فحسب، بل لأفكاره أيضًا.

---

1 قصة ورواية أميركية (1902 - 1992).

سألني جولاس إن كنت أعرف شيئاً مميزاً يمكن إدراجه إسهاماً في مجلته، وطراً إليّ أنه على جويس نشر عمل كامل على سلسلة حلقات في مجلة ترانزিশن في حال وافق المحرر، بدلاً من الاستمرار في نشر أجزاء متفرقة من «عمل قيد التحضير» في مجلات مختلفة. استقبل جولاس، ومساعدته إليوت بول<sup>1</sup>، الاقتراح بحماس. وعرض جولاس من فوره على جويس جلب عمله بعث آل فينيغان كاملاً ونشره في ترانزيشن، وعندما استدعاني جويس لسؤالني عن رأيي إزاء الخطة، نصحته بالقبول دون تردد. كنت على يقين بأن جولاس صديق يمكن الاعتماد عليه، وأن اسم جيمس جويس سوف يكون مساعدة كبيرة في تدشين مجلة جديدة. من المؤكد أن واحدة من أفضل الأمور في حياة جويس كانت صداقته وتعاونه مع يوجين جولاس وزوجته ماريا، منذ اللحظة التي توليا فيها نشر عمله حتى مماته، وقدما كل خدمة من دون استكثار أي تضحية.

شرح يوجين جولاس، بلغاته الأم الثلاثة، الإنجليزية والفرنسية والألمانية (كان من إقليم لورين)، ومعه جيمس جويس متعدد اللغات، بإطلاق ثورة في اللغة الإنجليزية، وفي حوزتهما العديد من الكلمات ولم يريا ما يجنبهما التمتع بعالم من ابتكارهما. كان الدعم الذي تلقاه جويس من جولاس هبة ربانية، إذ كان يشعر بالوحدة في ثورته ذات الرجل الواحد حتى جاءت مجلة ترانزيشن.

---

1 صحافي ومؤلف أميركي (1891 - 1958).

أيد جولاس ديمقراطية الآداب، وهي فكرة لم أتفق معها دومًا. وأخبرني أنه لم يرفض البتة مخطوطة من كاتب غير معروف، كان يعتبرها مسألة مبدئية، ورأيت منافع فيها، أقلها عدم إقصاء الكتاب الجدد. وإن اطلعت على ملفات ترانزيشن، سترون توسعها غير المألوف، حيث ظهرت فيها أفضل ما كتب في تلك الحقبة من أعمال أوروبية وأنجلو-ساكسونية، وظهر أغلبها للمرة الأولى. كانت مجلة ترانزيشن، من بين جميع المجلات التي كنت على تماس معها، هي الأهم والأطول عمرًا، والمجلة التي شعرت أنها قد أخلصت ببراعة لصالح الكتابة الجديدة.

كان روبرت سيج<sup>1</sup> أول من تعاون مع يوجيس جولاس بعد مغادرة إليوت بول، ومن الأسماء الأخرى التي ارتبطت بمجلة ترانزيشن كانت ماثيو جوزيفسون<sup>2</sup> وهاري كروسبي وكارل آينشاين<sup>3</sup> وستيوارت غيلبرت وجيمس جونسون سويني<sup>4</sup>.

## كوميرس

أتيت في حكايتي على ذكر المجلات الناطقة بالإنجليزية فقط، وأستثني منها مجلة كوميرس<sup>5</sup> [بضاعة]، التي يكتب المساهمون فيها بالفرنسية، إلا أن صاحبة المجلة أميركية، الأميرة باسيانو، أو مارغريت كايتاني كما تحب أن تُنادى.

1 كاتب ومترجم أميركي (1899 - 1962).

2 كاتب وصحافي أميركي (1899 - 1978).

3 كاتب ألماني (1885 - 1940).

4 أمين متحف وكاتب في الفن من أميركا (1900 - 1986).

5 التجارة أو البضاعة.

ظهرت كوميرس في عام 1924، وساهم فيها أصدقاؤنا، ونشرتها أدريان مونييه في مكتبتها بشارع أوديون. كان بول فاليري محرر المجلة، وساعده كل من فاليري لاربو وليون بول فارغ. ومن المساهمين سان جون بيرس<sup>1</sup>، المشار بحضوره عبر عنوان المجلة المقتبس من إحدى سطور قصيدته أناباز<sup>2</sup>: «سأهب القليل من الثقة في بضاعة الروح»<sup>3</sup>. اطلعوا على ترجمة ت. س. إليوت لهذه القصيدة الجميلة.

حظيت مارغريت كايثاني بتقدير كبير من قبل الكتاب الفرنسيين من أصدقائها لذائقها، وبراعتها، ولباقتها، وكرمها. وشعروا بالغيرة من روما لأنها اختطففت كايثاني من باريس.

تولت أدريان مونييه مسؤولية إنتاج كوميرس واستخراج المساهمات من ليون بول فارغ، واستلزم عمل الأخير جهدًا كبيرًا، لأن أفكار فارغ أسرع من قلمه الكسول؛ إذ يتحدث عما يمكن كتابته، ومهمة المسكينة أدريان تكمن في الاشتغال بالفكرة كتابة حتى تنشر في كوميرس.

وبالمناسبة، كان فارغ متحدثًا بارعًا، وذا شعبية بين المضيفات، لكنه شكّل لهم اختبارًا أيضًا. أستذكر المناسبة التي دعت مارغريت كايثاني فيها أصدقاءها العاملين في كوميرس للغداء في منزلها بفرساي، وأرسلت مركبة لتقلنا. وصل السائق ليقلني وأدريان أولاً من شارع أوديون، ثم جويس من ميدان روبيك، فتوجهنا إلى إقليم المحطة الشرقية حيث يقيم فارغ. صعد السائق السلالم ليلبغه بانتظارنا له. لم يكن فارغ مستيقظًا، وكتب قصيدة عن إحدى قططه التي كانت على

1 شاعر فرنسي (1887 - 1975) وفاز بنوبل الآداب 1960.

2 الغزو الداخلي باليونانية.

3 ترجمة عبدالكريم كاصد.

السريير من حوله. كان عليه أن يستيقظ وينزل حالاً. تجاوز انتظارنا أكثر من ساعة، ثم نزل أخيراً، لكنه صعد مجدداً لأنه رأى أنّ الحذاء الأسود سيبدو مناسباً أكثر من الحذاء البني الذي ارتداه لبذلته. ثم صعد مرة أخرى لتغيير قبعته. وطلب من السائق قبل الصعود إلى المركبة أن يبحث له عن محل حلاقة، لقص شعره وحلاقة ذقنه.

كان يوم أحد، وبطبيعة الحال فإن جميع محالّ الحلاقة مغلقة. عثرنا أخيراً على محل حلاقة، في اللحظة التي أراد فيها الحلاق إغلاق المكان، لكن فارغ أقنعه بقص شعره وحلاقة ذقنه، واختفيا في الداخل. لم يمنعنا شيء بعدها من الانطلاق إلى غدائنا في فرساي.

قلقت أدريان من تأخرنا على الموعد. ولم تكن لدى فارغ ساعة يد، فسأل جويس، الذي كان يرتدي أربع ساعات يد، وكل واحدة منها بتوقيت مختلف، عن الوقت. كان من المفترض تقديم الغداء في الساعة الواحدة، وللعجب، فإننا تأخرنا لساعة ونصف الساعة فقط. لم تنطق مارغريت كايثاني بكلمة لوم، وكانت رابطة الجأش، وتضحك كعادتها. أما بالنسبة للضيوف، فإنهم اعتادوا على انتظار فارغ.

احتفلنا على الغداء من أجل كوميرس، ومن أجل ظهور أولى المقاطع المترجمة من يوليسيس إلى الفرنسية. يُحسب لجويس حضوره في ذلك اليوم، إذ لم يقبل دعوات منتصف اليوم أبداً، ولا يشعر بالرغبة في مخالطة الناس إلا ليلاً، لكنني أقنعت بالحضور هذه المرة، وظننتُ بأنه لن يندم، بيد أنه قد ندم، فما كدنا نجلسُ عند الطاولة حتى خطا كلب كبير وأشعث مباشرة نحو جويس، ووضع مخالفه الكبيرة على كتفي جويس، وحدق بوجه جويس بمودة.

يا للمسكين جويس! أبعدت الأميرة باسيانو أفضل صديق للإنسان عن جويس بمجرد ما أدركت حالته، وأخبرته أن الكلب غير مؤذٍ، ومحبوب لدى الأطفال، ولم يطارده سوى سبائك هرب من النافذة، وقالت ضاحكة: «اضطرت أن أشتري للرجل بنطالاً جديداً». ارتجف جويس وهمس إليّ: «ستفعل معي الشيء ذاته».

### صديقنا ستيوارت غيلبرت

جذبت الترجمة الفرنسية لمقطع من يوليسيس في كوميرس انتباه خبير كبير في موضوع العمل؛ حظيت بزيارة من ستيوارت غيلبرت، أو غيلبرت ببساطة، على الطريقة الفرنسية، بعيد نشر الترجمة في كوميرس. لطالما استمتعت بزيارات ذلك الرجل الإنجليزي شديد اللطف، صاحب الدعابة، خفيف الظل والمتناقض، والمتهمك. عمل غيلبرت قاضيًا في بورما لتسع سنوات، ووفقاً إليه، كان عمله يقوم على شنق الناس. لكنني أظن بأن على القصة التعرض للغربة، لأنها لا تليق بغيلبرت بتاتاً، إذ بدرت منه العديد من الأفعال الطيبة التي تجيب ضد ذلك الوصف.

كان غيلبرت من أوائل المعجبين بيوليسيس، واضطلع بدراسة يوليسيس مستنداً على علمه الجدير بالاعتبار. لا أعتقد بوجود أحد يعرف الكثير عن يوليسيس بقدر غيلبرت باستثناء جويس، وأدرك [غيلبرت] بعينه الحادة خطأ أو اثنين في المقطع المترجم بمجلة كوميرس؛ زلات واردة حتى من مترجم بكفاءة أوغست موريل، الشاعر الشاب الذي تصدى لتلك المهمة الجسيمة. بجلّت أدريان مونييه ومعها



لاربو ترجمات موريل لفرانسيس تومسون<sup>1</sup> وبليلك وجون دون<sup>2</sup> وآخرين. قطع موريل عمله على فهرس كامل للشعراء الإنجليز بإقناع من أدريان ولاربو كي يترجم يوليسيس، واشترط موريل أن يراجع لاربو الترجمة. عندما أنهى موريل الترجمة - في عام 1924 - وبدأ لاربو في المراجعة، سأل غيلبرت إن كان لاربو وموريل يقبلان مساعدته، التي قد تكون مفيدة كونه إنجليزيًا.

قبلت أدريان مونييه، التي ستشر الترجمة الفرنسية ليوليسيس، من فورها عرض غيلبرت، وقبله لاربو وموريل أيضًا. كانت مساعدة غيلبرت ضرورية حقًا في مشروع صعب كهذا، وتم تجنب العديد من الأخطاء وإزالة الغموض بفضل غيلبرت، وأنا متيقنة بأن غيلبرت قد أسدى خدمة عظيمة للمترجم وللاربو، المسؤول عن سير الترجمة.

حظي المتعاونون على المشروع في طبيعة الحال بمشاكلهم الخاصة، ونالت أدريان النصيب الأكبر من المعاناة في خضم تلك الفوضى؛ منها اعتراض موريل لا على مراجعة لاربو للترجمة، بل على إعادة كتابة لاربو لجملته اعتراضية. ثار موريل وأظن أنه قال شيئًا عن لاربو. ثم تضايق موريل من غيلبرت، ورآه شديد التطلب، وغادر مكشراً. في غضون ذلك، لم تكن صحة لاربو جيدة، فسقط مريضاً واعتزل في منزله بفيشي. وقضى الناجيان، غيلبرت وأدريان العديد من أوقات ما بعد الظهر، حسب قول أدريان، في استكمال العمل في الغرفة الخلفية لمكتبتهما.

---

1 شاعر إنجليزي (1859 - 1907).

2 شاعر إنجليزي (1582 - 1631).

## جول رومان و«الرفاق»

قرأت جول رومان لأول مرة بترجمة ديسموند مكارثي<sup>1</sup> وسيدني واتيرلو<sup>2</sup> لروايته موت نكرة، التي اكتشفتها في مكتبة نيويورك العامة عام 1914. سحرتني الرواية، وتتبع أعمال جول رومان عن كُتب بعد هذا المدخل إلى عالمه. أعتقد بأن جول رومان وجيمس جويس يشتركان في العديد من الأشياء، أكثر من العديد من معاصريهم رغم بعض الاختلافات.

تردد جول رومان كثيرًا على مكتبة أدريان، واعتاد المجيء إلى مكتبتي في زيارات ودية، وشملني بلطفه عندما ضمني وأدريان إلى حفلات لم شمل «الرفاق»: الشخصيات التي تواجدت في سلسلة القصص التي حملت هذا العنوان. كان رفاق رومان أناسًا مبهجين - أستاذ جامعي وزوجته أستاذة جامعية أيضًا، ورسام، ومدير أعمال مسرح جوفيه. كانوا جميعهم أشخاصًا ممتعين، لكن رومان نفسه، الرأس المدبر - مع رومان الحكمة دائمًا موجودة - كان قائد العصابة.

1 كاتب وناقد إنجليزي (1877 - 1952).

2 دبلوماسي وكاتب ومترجم بريطاني (1878 - 1944).

تناوبنا على استضافة بعضنا بعضاً، وغالبًا ما كان رومان وزوجته هما اللذان يدعوننا إلى منزلهما. قطن رومان وزوجته مرة فيلا في أعلى موممارتر، أو بالأحرى في مينيلمونتان، وهو حي حمل ارتباطات عدة بجول رومان، حيث أقاما في شارع منعزل، وتمتع الحي بسمعة سيئة بسبب رجال عصابات لُقّبوا بالأباتشي، فاضطر رومان إلى وضع كلب شرس من فصيلة الدوراس لحراسة الفيلا لا يجرؤ أي من رجال الأباتشي على الاقتراب منه، ويخافه ضيوف رومان حتى. كنا نسمع وقع الأقدام ونحن جالسون إلى وقت متأخر. سمعنا بوضوح ذات مرة صوتًا متعثرًا من نافذة الطابق السفلي ثم صريرًا، أملت أنه في حال ظهور أحد أفراد الأباتشي فعليه أن يصفى حساباته مع الكلب في السرداب من دون توريطنا في ذلك.

أخذ رومان بيد «الرفاق» إلى إقليم القنوات المائية الأخاذ، حيث مسرح أحداث بعض قصصه. تردد قلة من الباريسيين على هذه الأرصفة القنوات والشبيهة بالأرصفة المائية في هولندا، أو علموا بوجودها، مثل قناة لا فيليت وقناة سان مارتن. عاودت التردد على تلك القنوات منذ تعرّفي إليها.

دُعي «الرفاق» ذات مرة إلى موعد في حانة صغيرة قريبة من «زقاق الرب». أبلغنا بالتحلي بمظهر خشن يتناسب وطبيعة الحي. تعرفت وأدريان عندما عثرنا على الحانة الصغيرة على بعض «الرفاق» من بين الذين يحسّون النبيذ في «الزنك» أو واجهة الاستقبال. لم نلمح رومان، وطراً إلينا بأنه لن يظهر، وفي غضون ذلك، لحظنا شخصية بقبعة غطت إحدى العينين وهي تتسكع في زاوية خارج الحانة وتحقق بنا بطريقة

لا تبتعث على الاطمئنان، اقترح أحدهم مازحًا: لعلّ تلك الشخصية كانت رومان. دخل الشخص إلى الحانة، كان رومان فعلاً. أجاد رومان التخفي تمامًا.

### شكسبيرِّي فرنسي

قام جورج دوهاميل<sup>1</sup> بالعديد من الزيارات الودية إلى شكسبير أند كومباني، الذي جذب اسمها هذا الشكسبيرِّي الفرنسي لم يكتف [دوهاميل] بإبداء صداقته للمكتبة، بل ودعا برفقة مدام دوهاميل كل من صاحبة المكتبة وأدريان مونييه إلى قضاء يوم في فالموندا قرب باريس، حيث منزلهما. كانت أدريان أحد ناشري دوهاميل. أما مدام دوهاميل، أو بلانش ألبان، فكانت معروفة في مجال المسرح، وعضوًا في مجموعة الحمامة القديمة لجاك كوبو وواحدة من أمهر ممثلاته. امتازت مدام دوهاميل بسحرها الاستثنائي ورشاقتها، وأحبيت دومًا سماعها وهي تتلو الشعر: تترك تلاوة الشعر من قبل الممثلين، حتى العظماء منهم، في بعض الأحيان انطباعًا مخيبًا للآمال.

استمتعنا، في ذلك اليوم الصيفي بفالموندا، بمشاهدة دوهاميل وهو يحمم طفله البكر، برنارد، في حوض استحمام بالحديقة.

---

1 روائي فرنسي (1884 - 1966).

حظي صديق ألف رواية رجل سعيد بتقدير ومودة بالغة من قبلي وأدريان هو جان شلمبرغير. كانت أول رحلة قدنا فيها مركبة ستروين التي اشتريناها بالتقسيط في عام 1927 هي إلى محل إقامة شلمبرغير في النورماندي، حيث دعانا لقضاء نهاية الأسبوع، ووعدت بإلقاء نظرة على الروايات الإنجليزية في مكتبة العائلة والتخلص من الأعمال غير الجديرة بالمحافظة عليها.

بُنِيَ منزل شلمبرغير الريفي الجميل، الذي سُمِّي ببرافي، من قبل جده الأكبر، المؤرخ ورجل الدولة فرانسوا جيزو. ترعرع شلمبرغير في ذلك المنزل الريفي، وأطفاله أيضًا، وتعلق به كثيرًا. بيد أنه فضل العيش والعمل لا في المنزل، بل في كوخ مجاور له، حيث بقينا معه بصحبة رفيقين له هما رجل وزوجته يعتنيان به وطبخا وجباتنا الشهية. أما المرافق، فكانت كلبًا من فصيلة داشهند، على قدر رهان سيدها، بوقوفها على قدميها الخلفيين لترينا «أزرار معطفها». كانت الجلسة مع شلمبرغير بالغة البهجة مع كلبة داشهند أمام موقد النار الذي التمع بأخشاب أقتطعت من أشجار المكان.

عكست مكتبة الكتب الإنجليزية، كما خشي شلمبرغير، ذائقة المربيات الإنجليزية اللاتي تولين تعليم أجيال متوالية من الفتيات الصغيرات اللاتي سكنَ برافي.

تردد الشاعر ليون بول فارغ إلى مكتبتي رغم أنه لم ينطق بكلمة إنجليزية واحدة. فارغ هو واحد من أكثر الشخصيات إثارة للاهتمام في عالم الأدب الفرنسي، وكان مبتكرًا جيدًا للكلمات بقدر جويس - كان مهووسًا بالكلمات - بيد أن أثرى إبداعاته قد فوّتها القراء الذين لم يكونوا من المستمعين إليه. شكّلت مكتبة أدريان مقرًا لفارغ، حيث تروونه في عصر أي يوم، وتسمعونه وهو يسردُ أقبح القصص إلى دائرة من المستمعين المبتهجين، «البوتاسونيون»<sup>1</sup>، كما أطلق على أصدقائه، وحظيت بشرف اعتباري منهم. وكانت ابتكارات فارغ اللفظية فاحشة على نحو لا يمكن تخيله، وكذلك الإيماءات التي رافقتها، ويحدث كل هذا في مكتبة تختار فيها الأمهات الجميلات وفتياتهن كتبًا لهن من الأرفف. وكان لاربو واحدًا من أكثر المستمعين إنصافًا له، حيث يحمر خجلًا، ويضحك بصوت خفيض قائلاً «أوه!» بأسلوبه الخاص. وعلى الجانب الآخر، امتازت قصائد فارغ التي ظهرت في مجلدات صدرت بين الحين والآخر بالعفة.

لم يأتِ فارغ إلى مكتبتي من أجل الكتب، بل لاحتتمالية العثور على أحد «البوتاسونيون» الذين نجوا منه في مكان آخر. كانت ضرورة إيجابية لفارغ أن يتتبع أصدقاءه في كل مكان. وتناول فارغ سلمًا ذات مرة عندما لم يفتح لاربو بابه، وتسلق النافذة، وأخبرني لاربو أنه رأى فارغ فجأة وهو يحدق به بينما كان يعمل في مكتبه. يصحو فارغ من نومه في ساعات ما بعد الظهر، ثم يبدأ جولاته كساعي البريد.

1 مفردا بوتاسون، وهو اسم قط فارغ الذي كتب عنه قصيدة (أغنية القط بوتاسون).

لطالما ظهر فارغ عاجلاً أم آجلاً في مكتبة أدريان، ويذهب لاحقاً إلى دار نشر غاليمار، حيث يجتمع أصدقاؤه القدامى والجدد، واشترك في تأسيس نوفيل ريفيو فرانسيس NRF وكان صديق دراسة قديم لغاستون غاليمار<sup>1</sup> ناشر المجلة. اعتاد فارغ التسكع طويلاً في مكتبة أدريان بعد مغادرة الجميع، حيث يصب حسرته بينما تحاول أدريان إغلاق المحل.

عاش فارغ في مصنع الزجاج الذي ورثه من والده المهندس الذي اخترع تركيبات تتعلق بصناعة الزجاج مع والدته وخادمة العائلة التي عانت طويلاً. كان المصنع على مقربة من محطة قطار الشرق، وقال فارغ إن صافرات القطارات قد ألهمته. بجّل فارغ والده، وعزف جزئياً عن المصنع الذي بناه والده، وشهد تراجعاً سريعاً تحت ملكية شاعر، اشتهر مصنع فارغ للزجاج في أوج ازدهار حركة الفن الجديد المعمارية، حين تزينت بيوت أصحاب الملايين بنوافذ من الزجاج المزخرف والمزهريات صنعت وفقاً لذائقة تلك الحقبة. أراني فارغ بنفسه نافذة في مطعم ماكسيم من تنفيذ والده. وأبقى رئيس العمال، الذي يعمل منذ عهد الأب، وعلى معرفة بجميع التركيبات السرية، على سير العمل في المصنع، وعندما تأتي الطلبات بين فترة وأخرى، يستدعي رئيس العمال عاملين إضافيين لمساعدته.

زرت المصنع في يوم ما برفقة أدريان وشقيقتها ماري مونييه، التي نفذت بعض التصاميم لصالح مصنع فارغ للزجاج، ووجدنا العاملين منشغلين في تصنيع أضواء للسقف تشبه أطباق الحساء المقلوبة ومزينة

---

1 ناشر فرنسي (1881 - 1975).

بأشكال غريبة مستوحاة من الأبراج الفلكية. حجبت الألوان نفاذ الضوء، ربما كانت هذه نيتهم. خطط فارغ لهذا الإنتاج المفاجئ لإنعاش العمل الذي شهد تذبذبًا مطردًا آنذاك. تحسر فارغ كثيرًا على المصنع المهدد بالفناء، وبعث التفكير بالأب ورئيس العمال المخلص على الحزن. أملنا جميعًا تجنب ذلك المصير. ظننت بأن دعاية صغيرة قد تكون ملائمة، وطلبت من بعض العاملين بصحيفة نيويورك تايمز الذين كانوا يصورون مكتبتى بتصوير فارغ في مصنعه. أمتلك صورًا لفارغ في مصنعه وهو يعرض قطعة من أعماله إلينا، بمن فيهم رئيس العمال والخادمة جوليان. جمع فارغ بعض العينات من أضواء السقف التي جهزت في مركبة أجرة وجمال المحالّ الكبرى، وتحدث إلى العديد من مسؤولي أقسام الإضاءة في تلك المحالّ كي يمنحوه طلبات كبيرة. بإمكانى أن أتخيل تمتع أولئك الناس، الذين كانوا على علم بزجاج الأب، وأشعار الابن، بزيارات فارغ.

كان فارغ مطلوبًا بشدة في المناسبات الاجتماعية، بيد أنه كان تجربة مريعة لمضيفيه، بسبب افتقاره لأدنى اعتبار للوقت، وتأخره الدائم، الذي طالما غفره مضيفوه، حينما يصل ويرفه عن الضيوف الذين ينتظروه بشكل رائع، وحظي الجميع بحكايات عن تصرفات فارغ - حكايات عنه لا تنتهي، ومنها ما تجعل أي مضيف يرتجف خوفًا، كالمرّة التي تأخر فيها لأسبوعين عن دعوة على العشاء.



اعتاد فارغ التجوال دومًا بمركبات الأجرة، التي يبقها بانتظاره لساعات، حتى يقوم السائق بالبحث عنه. رأى أحدهم ذات مرة فارغ خارجًا أخيرًا وهو يشير إلى مركبة أجرة ثانية، ناسيًا أنَّ مركبة أخرى ظلَّت في انتظاره طويلًا أمام منزله.

بدا أن العديد من سائقي الأجرة كانوا أصدقاء شخصين لفارغ، وهذا ما يفسر تسامحهم مع أساليبه. وقدمني فارغ إلى أحدهم وهو خارج من عربة الأجرة، وكان قارئًا لقصائده وامتلك إصدارات نادرة مهداة من المؤلف.

لطالما قدمني فارغ على بعض من أصدقائه الجدد، أحدهم ذو ثروة مذهلة من تجارة الجبن السويسري، ونبيل إسباني اعتاد الخروج معه لفترة، أو صانع الأقمشة ذو الاسم اللافت، غابرييل لاتومب<sup>1</sup>، ثم هناك جيلي جيلي، الساحر المصري، الرجل الممتع الذي يقول «جيلي جيلي» كلما قامَ بحركة خادعة بيده.

## ريموند

ريموند لينوسير هي واحدة من أكثر الصديقات الفرنسيات إثارة للإعجاب، وجاءت، كما ذكرت سابقًا، لنجدة حلقة سيرسي حينما أردنا طباعة يوليسيس، وقال جويس لاحقًا «أدخلت ريموند إلى عالم يوليسيس». تلقت ريموند تربية حسنة من قبل والدها الطبيب الشهير، وكان من المفترض أن تتابع دراستها في كلية الحقوق، فلو لم يكن والدها منشغلًا عن ملاحظة ذهابها ومجيئها، لاكتشف أنها تقضي

---

1 لاتومب بالفرنسية تعني القبر la tombe

فترات ما بعد الظهر إما في رقم 7 شارع أوديون، حيث كانت عضوًا بارزًا في عائلة أدريان مونييه الأدبية و«بوتاسون» أصيلة لدى الشاعر ليون بول فارغ، أو في شكسبير أند كومباني، حيث تساعد وتشجع حتى أنها تحل محل صاحبة المكتبة في بعض الأوقات.

واجهت صعوبة في تكتم ريموند لكوني فتاة أميركية اعتادت فعل ما يحلو لها. لم أفهم السبب لماذا على فتاة شابة تعمل في المحاكم، وكتبت دراسة لافتةً عن البغاء ودافعت عن بائعة هوى حتى، ألا تُرى على مقربة من فارغ أو جويس.

كان فرانسيس بولنك<sup>1</sup> الصديق المقرب إلى ريموند، ونشأت معه، وتطابقت ذائقتهما وطريقتهما في رؤية الأمور. قسمت ريموند وقتها ما بين الشعراء في شارع أوديون وأصدقائها الموسيقيين المنتمين إلى ما يعرف بمجموعة «الستة»، وتحديدًا داريوس ميلود<sup>2</sup> وزوجته مادلين<sup>3</sup> اللذين كانا من أصدقائي أيضًا، وعلى الأخص مادلين، التي قرأت كل جديد من الكتب الأميركية.

لم تكن ريموند زبونة لمكتبتي، إذ خصصت مصروفها المحدود للمكتب الفرنسية، أما شاعرها المفضل فكان فارغ، الذي امتلكت كل ما كتبه، بما فيها مخطوطاته، لكنها تابعت أنشطتي عن قرب وأبدت اهتمامًا بها بقدر

1 موسيقي فرنسي (1899 - 1963).

2 موسيقي فرنسي (1892 - 1974).

3 مادلين ميلود، ممثلة فرنسية (1902 - 2008).

أنشطة أدريان الفرنسية في مكتبتها. واشتغلت بالكتابة سرًا بطبيعة الأمر، وألفت كتابًا بعنوان بيبي-لا-بيبيست Bibi-la-Bibiste، وعلى الصفحة الأولى كتبت «من تأليف الشقيقتين المجهولتين»، أي ريموند وشقيقتها أليس، المعروفة حاليًا باسم الدكتورة أليس لينوسير أردوان. بيد أن المؤلفة الحقيقية هي ريموند - وساهمت شقيقتها بمصروفها الخاص بطباعة العمل. أخلصت الشقيقتان لبعضهما البعض. أهدت ريموند العمل، الذي يمكن ترجمة عنوانه عمليًا بـ «المرء نفسه هو ذاته»<sup>1</sup>، إلى فرانسيس بولنك. وطُبع العمل على ورق كبير الحجم، واحتوى العمل ذو الصفحات الأربع عشرة بما فيها صفحة العنوان، بالكاد على نص. شكّل ذلك «العمل» حدثًا ثقافيًا في عام 1918، حين قابلت ريموند لأول مرة. حاز إزرا باوند على نسخة من العمل، وأرسلها إلى مجلة ليتل ريفيو مع رسالة وصف فيها العمل بالتحفة الفنية التي تمتعت، كما قال: «بكل الفضائل المطلوبة من قبل الأكاديميين: الوضوح التام، والبنية الجوهرية، بداية ووسط ونهاية». لا أعتقد أن الفرنسيين، وريموند تحديدًا، قد ذهبوا بعيدًا في تصنيف العمل. وأعلنت ريموند تأسيس حركة أسمتها «حركة الذات» - ما ذكرني بقول فاليري عن رغبته بتأسيس مجتمع «إلهي الذات»، ومجلة إيجويست<sup>2</sup> في إنجلترا. بيد أن ريموند كانت شديدة التواضع وتحمل روح دعاية لا تجعل منها جادة في المرء نفسه هو الذات. شعرنا نحن الذين عرفنا ريموند أنها تمتلك موهبة ونقائب الكاتب، إن تمتعت بقدر أكثر قليلًا من «الذاتية»! بقدر ما تملكه من انعدام الأنانية ودفء القلب،

1 أشار المترجم محمد آيت حنا مشكورًا بإبقاء العنوان دون ترجمة لأنه اسم علم، ولعل ترجمة بيتش الموصوفة بالعملية قد تعود إلى طبيعة النص.

2 من Egoist وتعني (الأنا).

وتشبه كتابتها، في الكتمان والاختفاء وراء التناقض الظاهري والهزل. ثمة وجود لتلك العينات من البشر، لكنها نادرة، والموهوبة منها على الأخص. اشتركت وريموند في صداقة موسيقي عظيم هو إيريك ساتيه<sup>1</sup>، الذي من المحتمل أنه معجب بشكسبير أند كومباني بسبب الدم الإنجليزي في جانب واحد من عائلته. واعتاد ساتيه على مناداتي بما أعتقد أنها الكلمة الإنجليزية الوحيدة التي يعرفها: «ميس» (آنسة)، والظهور الدائم برفقة مظلة يحملها سواء أكان الجو مشمسًا أو ماطرًا، لم يره أحد دون مظلة. ربما كان ذلك حيلةً حكيمة من قبل شخص قدم على عربة متحركة من ضواحي باريس البعيدة بنية البقاء طيلة اليوم في المدينة.

رآني ساتيه مرة وأنا أكتب، وسألني عما أكتب، وأجبت أنه رسائل تتعلق بالعمل، وعلق بأنها أفضل نوع من الكتابات؛ المخاطبات التجارية تتمتع بمعنى حتمي، إذ تقولين ما تريدن قوله مباشرة. أخبرته أن هذا ما أفعله تمامًا.

تمتع ساتيه وأدريان بصداقة طيبة، وسمعت مقطوعته سقراط للمرة الأولى في مكتبتها. وكان ساتيه وفارغ صديقين مقربين، ثم تخصصا على نحو مربع، وأظن أن السبب يعود إلى واقعة مؤسفة في إحدى الدوائر الاجتماعية حيث تقاسم الشاعر والملحن الشعبية بينهما، حين أعلن عريف الحفل في أحد الصالونات عن أغان من تلحين إيريك ساتيه لكنه نسي ذكر فارغ كاتب القصائد المغناة. لا شك أنه من غير المقصود فعل ذلك، ولم تكن غلطة ساتيه، ومع ذلك، ثارت نائرة فارغ. قضى فارغ، كعادته في خصوماته، وقتًا طويلًا في كتابة أقسى إهانات يمكنه ذكرها في رسائل يومية إلى ساتيه. لم يكن فارغ راضيًا عن خدمة

---

1 موسيقي فرنسي (1866 - 1925).

البريد في باريس آنذاك، فتجشّم عناء التوجه إلى أركي-كاشان، حيث عاش ساتيه، ليدس رسالة مهينة أخرى أسفل الباب. فشلت الرسائل، حتى الأخيرة منها والتي لا يمكن ترديدها لبشاعتها، في الحصول على رد فعل من ساتيه، الرجل المعتدل ذي العقلية الفلسفية، سوى الضحك. كانت تلك الرسالة هي آخر طلقة وجَّهَهَا فارغ إلى ملحن مقطوعة سقراط. اهتمت ريموند أخيرًا بالدراسات والفنون الشرقية، والتي أثارت فضولها على الدوام. قلّت لقاءاتنا بها عندما وُضع لها مكتب في متحف غيميه الباريسي المختص بالشرق.

عاشت ريموند مع شقيقتها أليس حتى تزوجت الأخيرة من الدكتور أردوان، ثم اكتشفت ريموند شقة صغيرة في رصيف سان ميشيل، شبيهة تمامًا بالمكان الذي تحبه؛ أسقف خفيضة، وخزائن كتب مليئة بالإصدارات النادرة ومخطوطات شاعرها المفضل ليون بول فارغ. زرنا ريموند في ذلك المكان بمناسبة واحدة، كان الصيف دافئًا والوقت ليلاً، والنوافذ مفتوحة. أحببنا إطلالة ريموند على نهر السين، وفي المقابل أبراج نوتردام والقمر من فوقها. توفيت ريموند بعدئذ بوقت قصير، افتقدناها بشدة.

## عزيزنا جيد

ذكرت بأن أندريه جيد كان واحدًا من أوائل المشتركين في المكتبة، وظل صديقًا وداعمًا على مر الأعوام. التقيت وأدريان بجيد مرارًا عندما حللنا ذات صيف في ساحل المتوسط ببلدة هيريس حيث انضم جيد إلينا. وصلنا فندقًا صغيرًا مطلقًا على البحر، نصحنا به جول رومان الذي كان يعيش في برج يطل على البلدة، وبعد يومين، نظرت إلى الأعلى ورأيت جيد يطل من النافذة، وقلت لأدريان «جيد هنا»، وابتهجت أدريان بذلك.

كان جيد مولعًا بالبحر والسباحة فيه، وحظينا بصديقنا جيد وهو يطرش المياه من حولنا في الماء الأزرق الدافئ أمام الفندق. قدّرنا انضمام جيد إلينا، واعتبرناها علامة حقيقية على صداقته. انضمت صديقة رائعة لجيد للسباحة معنا في أكثر الأحيان، وهي إليزابيث فان ريسلبيرغ، التي كانت تقطن الحي. إليزابيث هي ابنة صديق جيد القديم، الرسام البلجيكي ثيو فان ريسلبيرغ. كانت إليزابيث جميلة، وذات تصرفات صبيانية، ولا بد أنها قد تلقت تعليمها في إنجلترا، بالحكم على لغتها الإنجليزية المثالية. أصبحت إليزابيث أمًا لكأثرين، ابنة جيد، الذي تزوجها لاحقًا.

كانت إيزابيث سباحة ممتازة، أما بالنسبة إليّ وجيد، فمن الصعب تحديد الأسوأ في السباحة. لم تسبح أدريان بالمرة؛ إذ اكتفت بالطفو على مقربة من الشاطئ مرتدية سترة النجاة. جدّف جيد بي على قارب بعيداً عن الشاطئ، حيث أرادني أن أغطس. شاهدني جيد وأنا أخبط بالماء بشكل أفقي من نهاية القارب رغم أنني لم يسبق لي الغطس وفضلت عدم البدء في حضرته، وعلق «سيّئ!».»

أتانا جول رومان في بعض الأحيان نزولاً من بلدة هيريس الواقعة على بعد ميل واحد من البحر وتناول الغداء معنا. ويعزف جيّداً موسيقا شوبان على بيانو الفندق عندما تمطر وتغلق الأبواب ونحن في الداخل، وبدا على البيانو التأثير بالهواء القادم من البحر. عزف لنا جيد بإحساس عظيم، بيد أن عزفه لم يكن جيّداً بقدر كتاباته.

في تلك الأيام الجميلة كنا نجلس جميعاً بعد الغداء في الشرفة الأمامية للفندق ونشرب قهوتنا وندخن. كان جيد مدخّناً شرها. وكان الابن الصغير لحارس الفندق آفة حقيقية، إذ حاول دائماً تسلق ركبتي جيد، واستمتع جيد بمضايقته، وذهب جيد ذات مرة إلى البلدة وجلب معه بعض الشوكولاتة العفنة التي كان يعلم بأنها من بقايا موسم الشتاء الفاتت، وعرضها على الصبي الصغير، الذي انتزعها وحشرها في فمه، ثم استمتع جيد برؤيته وهو يبصق الشوكولاتة، استمر الصبي في البصق ساخطاً. كانَ تصرّفًا سيّئًا. لكن كان مُزعجًا.

كان جيد طيب القلب في الواقع، وكثيراً ما يُدخل إلى شقته الكتاب الشباب الذين يحاصرون باب المدخل ويقاسمهم وجباته، بيد أن الارتباطات تشير غيظه فيعدهم عنه. يفعل جيد أي شيء من أجل

أصدقائه إلا في حال إجباره على ذلك، ويمكنه أن يكون قاسيًا في بعض الأحيان. وعلى سبيل المثال، أخبرني لاربو بعدم مجيء جيد إلى القطار الذي كان سيأخذهما إلى إيطاليا ذات يوم، فتألم لاربو من ذلك. أبدى جيد، كما يعلم الجميع، في وقت ما اهتمامًا بمشاهدة الأفلام، وباع العديد من كتبه لتمويل رحلة إلى الكونغو برفقة مارك أليغريه<sup>1</sup> لجمع مواد ما سيصبح أول فيلم<sup>2</sup> للمخرج الشهير. حظي الفيلم، الذي كتب جيد نصه وبتصوير أليغريه بتقديرنا عندما عُرضَ في مسرح فيو كولمبييه، رغم صنعه على طريقة الهواة والظروف الصعبة التي أحيطت به. لم ينل كتاب جيد عن الكونغو موافقة المسؤولين، لكن جيد لم يبال بالرأي الرسمي أو الشعبي، وقال ما يرضيه، سواء في روسيا أو في المستعمرات أو في موطنه.

حظيت بصداقة رائعة مع مارك أليغريه، الذي اعتاد على المجيء إلى المكتبة. وجلب سلحفاة صغيرة قال إنها هدية لي من جيد، واتضح أن اسمها آغالي، وقرأت مرة أنه لكارل فان فيختن<sup>3</sup> سلحفاة أسماها آغالي، لا بد أنه الاسم الاعتيادي للسلاحف.

على ذكر هدية السلحفاة، أتذكر على نحو مبهم قصة حكاها لي جيد عنه وعن واحد من أصدقائه عندما كانا في المدرسة، حين خدعا حارسه مبنى سكني، ومنحني الإذن لروايتها في مذكراتي.

---

1 مخرج وكاتب سيناريو فرنسي (1900 - 1973).

2 فيلم (رحلة إلى الكونغو) 1927.

3 كاتب ومصور أميركي (1880 - 1964).



امتلكت حارسة المبنى سلحفاة متوسطة الحجم في مقصورتها، وامتلك الصبيان سلحفاة أكبر، وعندما أدارت المرأة ظهرها بدل الصبيان السلحفاة. لم تلاحظ المرأة الفارق، فاستمر في الحصول على سلاحف أكبر فأكثر، وسمعا الحارسة متعجبة من النمو الملحوظ لحيوانها الأليف متسائلة عن طرق نمو السلاحف. كبرت السلحفاة أكثر فأكثر حتى احتلت مساحة كبيرة من الغرفة ثم توقفت عن النمو بسبب عدم عثور الصبيين على سلحفاة أكبر رغم بحثهما في أرجاء باريس كافة، ثم قررا أن الوقت قد حان للسلحفاة أن تتقلص، وحصل ذلك على وقع حيرة الحارسة المسكينة، حتى صارت السلحفاة بحجم زر قميص أخيرًا.

اختفت الحارسة بعد ذلك بفترة قصيرة، وبعد تساؤلات قلقة، قيل للصبيين إن الحارسة قد رحلت بعيدًا من أجل الراحة.

## صديقي بول فاليري

تشرفت بمعرفة بول فاليري، الذي التقيته في مكتبة أدريان مونييه، وسعدت بمجيئه بعد افتتاح شكسبير أند كومباني والجلوس بجانب للدرشة والمزاح معي. كان فاليري دائم المزاح.

لم أصدق، كوني طالبة شابة أوان نشر قصيدة بارك الشابة، أن يخط فاليري إهداء على نسختي، وأن يأتي بنفسه جالبًا معه نسخًا من كتبه فور صدورها. أحببت فاليري، وأحبه كل من عرفه.

كانت زيارات فاليري إلى مكتبتي شرفًا عظيمًا، ومتعة عظيمة أيضًا. وعاكسني بإنجليزته الخاصة به بشأن «رب عملي»، واستل مجلدًا

من أعماله، فاتحًا الصفحة على قصيدة «طائر الفينيق والسلحفاة» وسأل: «والآن يا سيلفيا، أتعلمين ما تدور القصيدة حوله؟» فأجبت «لا أعلم بالفعل». قال إنها لا تعد شيئًا، بالمقارنة مع سطور موسيه<sup>1</sup> التي سمعها في أصبوحه شعرية بمسرح فيو كولمبييه: «أجمل الأغاني هي أغاني اليأس». قال فاليري إن تلك السطور مبهمة تمامًا بالنسبة إليه و«توبخني على التباس الأمر لدي!».

حكى لي فاليري عن شيء حدث له في شبابه بلندن؛ كان الطقس مطرًا في كل يوم، وحيدًا وبائسًا في غرفة قدرة، ملمحًا عن ظروفه المتدنية. وقرر في يوم ما الانتحار، لكنه حين فتح الخزانة ليخرج مسدسه، التقط كتابًا وقع على الأرض وجلس ليقراه. كان عملاً ظريفًا، وقرأه كاملاً، وأمتعته إلى درجة إنهائه فاقداً الرغبة في الانتحار. من المؤسف أن فاليري لم يستطع تذكر عنوان الكتاب! لم أتمكن من العثور على شخص باسم شول في أي قائمة<sup>2</sup>.

كان سحر فاليري فريداً من نوعه، ولطفه كذلك. وعلى الرغم من كل التملق وأسلوب «سيدي العزيز» في مخاطبته بالدوائر العليا التي ارتادها، إلا أنه لم يتأثر بكل هذا وعامل الجميع بالألفة ذاتها، بشوش على الدوام، حتى وإن أخبرك بأنه كان على حافة الانتحار.

تلقى فاليري، المتحدث البارِع، الترحاب في الصالونات وتمتع الحضور بصحبته، مع هذا حمل فاليري جميع الصفات عدا التكبر، وعندما عاكسته في هذا الشأن قال إنه لم يتكبر سوى على رنين أكواب

1 ألفريد دي موسيه، شاعر ومسرحي فرنسي (1810 - 1857).

2 قد يكون شول المعني هو أوريلين شول، الكاتب الفرنسي (1833 - 1902).

الشيء وثرثرة المستفيد ماليًا من أعماله. اعتاد فاليري أن يستيقظ في السادسة من كل صباح، ويعد قهوته بنفسه ثم يبدأ بالعمل. أحب الساعات المبكرة من اليوم، حيث يعم الصمت أرجاء المنزل.

عاكسته ذات مرة وقلت «أنت بكامل زينتك اليوم، لا بد أنك كنت في صالون ما»، ضحك، ووضع إصبعه على قمة قبعته وجاء على ذكر أميرة «أتعرفيها يا سيلفيا؟».. لكنها أميركية! عرفت قلة من الأميرات. فأسأله «ما الذي عليّ فعله في صالون؟» فنضحك معًا على أساليبي الغريبة.

انتخب صديقنا بول فاليري في منتصف العشرينيات لعضوية الأكاديمية الفرنسية، وكان من بين أوائل أصدقائنا الذين دخلوا تلك المؤسسة التي عدت مغبرة آنذاك، ولم يوافق زملاؤه على دخول الأكاديمية، لكنهم دخلوها واحدًا تلو الآخر مع حلول دورهم.

حضر فاليري اجتماعات الأكاديمية في كل يوم خميس - ليقبض المئة فرنك المخصصة له، كما قال لي مازحًا، ولأنها كانت على مسافة قصيرة من شارع أوديون، حيث اعتاد على المجيء لرؤيتنا في ذلك اليوم.

تشرفت شقيقتي سيبيان بهديّة فاليري الذي أهدى لها لوحة من رسوماته، لكنها، ولسوء الحظ، لم تستطع الحفاظ عليها. رُسمت اللوحة عندما أتت سيبيان ذات يوم إلى المكتبة، وكانت ترتدي تنورة قصيرة جدًا وجوربين توقف حدودهما عند الركبتين، فاستل فاليري قلم رصاص ورسم رأس امرأة على إحدى ركبتها، وحملت اللوحة توقيع «ب.ف.».

طلبت براير من فاليري مرة أن يعطيها شيئاً لصالح عدد مخصص للأدب الفرنسي في مجلتها لايف أند ليزرز توداي [الحياة والآداب اليوم]، فسألني فاليري عن رأيي بشأن تسليم مقاله المعنون بـ «المؤلف». ظننت بأن المقال ملائم، عندئذ قدم فاليري عرضاً مهيباً لترجمة مساهمته معاً. كان شرفاً عظيماً، لكنه شرف فضلت التخلي عنه لصالح مترجم أكثر كفاءةً.

لكن فاليري أصر على فعل ذلك «معاً»، وقال إنه في حال تعثري، فإن كل ما عليّ فعله هو الهروع باتجاه شارع دي فيلجست (شارع بول فاليري الآن) للاستشارة. لسوء الحظ، ففي كل مرة آخذ فيها باقتراحه بالإسراع إلى شارع دي فيلجست أجدني لا يمكنني الاعتماد عليه مساهماً في الترجمة. حيث أسأله «ما الذي تقصده هنا؟»، فيتظاهر بالنظر ملياً في الفقرة فيتساءل «ما الذي كنت أريد قوله هنا؟» أو «أنا متأكد أنني لم أكتب هذا أبداً». ظل فاليري في حالة نكران أي علم بالفقرات رغم مواجهتي له بالنص، ثم ينصحي أخيراً بتجاهل الفقرة ببساطة. هل يمكن اعتباره مساهماً جاداً في «مهمتنا» الصعبة؟ استمتعت بتلك الحصص مع فاليري على الأقل. حملت الترجمة توقيع «سيلفيا بيتش والمؤلف»، وقال فاليري إن «المؤلف» هو من سيتلقى اللوم. عرفت بأنه لا مفر من إنني سوف أكون الجانية، شريكة «المؤلف» في جريمة القتل، في واحدة من أكثر مقالات فاليري إدهاشاً.

أعجبت دومًا بمدام فاليري وشقيقتها الفنانة بول غوبيار، اللتين كانتا ابنتي شقيقة بيرت موريسو<sup>1</sup> التي جلستا أمامها كي ترسمهما أطفالًا وفتيات صغيرات، وترعرعتا وسط الانطباعيين، وغطيت حوائط شقتهما في شارع دي فيلجست بأثمن لوحات ديغا ومانيه ومونيه ورينوار، وبيرت موريسو بالطبع.

كان فرانسوا، الابن الأصغر لفاليري، صديقًا عظيمًا. كان شعره أشقر، الاستثناء الوحيد في عائلة من ذوي الشعر الداكن، وإن امتلكت ابنة فاليري، أغاثي، عينين زرقاوين جميلتين كعينيه (والدة فاليري إيطالية). بدا فاليري مبتهجًا إزاء اللون الفاتح لابنه فرانسوا، واصفًا إياه بـ «الشمالي المتوحش».

تردد «الشمالي المتوحش» على مكتبتي كثيرًا ليقرأ الشعراء الإنجليز ويبلغني بأخر الأخبار الموسيقية. وتعلم التلحين الموسيقي في مدرسة ناديا بولنجر<sup>2</sup>، حيث كاد أن يعيش هناك حسب قوله لي، وأنفق جميع مصروفه على الحفلات الموسيقية. كان المصروف محدودًا، فعززه فرانسوا ببيع واحدة من أسطوانات والده، الذي امتلك مجموعة كبيرة منها. من الغريب القول بأن فاليري يميل إلى فاغر، واعترف بذلك على عكس جويس.

شهدت بلوغ فرانسوا، وتوجت دراسته للإنجليزية بأطروحة في السوربون، وأبدت اهتمامًا بالموضوع الذي اقترحه والده عليه الخاتم والكتاب<sup>3</sup>.

1 رسامة فرنسية (1841 - 1895).

2 معلمة موسيقا فرنسية (1887 - 1979).

3 قصيدة مسرحية للشاعر الإنجليزي روبرت براونينغ (1812 - 1889).

حاضر فاليري عن الشعر أثناء الاحتلال الألماني في الكوليج دو فرانس، وامتألت القاعة الصغيرة بأنصاره. لم يكن من السهل متابعة فاليري، إذ لم يكن حديثه واضحًا تمامًا ويضيع تسلسل الحديث. تصورت بأن لديه متعة غريبة في إضاعة مستمعيه. كانت تلك المحاضرات من الأشياء المعتبرة القليلة خلال تلك الأيام.

دعنتي مدام فاليري ذات يوم على الغداء خلال الحرب، وما أن بالكاد جلسنا مع فرانسيس جورداين<sup>1</sup> والآنسة بول غوبيار وفرانسوا حتى دوى إنذار القصف الجوي، فقفز فاليري وهرع نحو النافذة وتعلق ليشاهد الطائرات فوق سماء باريس وهي تلقي بالقنابل. بدت العائلة معتادة على هذا السلوك، وقال فرانسوا «يحب بابا تلك الغارات».

---

1 رسام ومصمم فرنسي (1876 - 1958).

## منفيو جويس

المنفيون هي العمل المسرحي الوحيد لجويس، أو المسرحية الوحيدة التي نسبها إلى نفسه على الأقل، وكانت واحدة من أولى المشكلات التي جلبها لي.

لم يكد جويس يصل إلى باريس حتى وصلها لونييه-پو، واحد من أجل مدراء المسارح في باريس، والذي تقرب إلى جويس وبيده عقد للسماح بأداء «المنفيون» في مسرح دي لوفر، حيث عمل لونييه-پو مخرجًا.

لم يعترض جويس، بل ابتهج لفرصة إنتاج مسرحيته في مسرح يخصص موسمًا سنويًا لأعمال إيسن<sup>1</sup>، معبود جويس عندما كان في الثامنة عشر من عمره. أبدى جويس حماسًا للقاء سوزان ديبيري، زوجة لونييه-پو الموهوبة، التي أدت شخصية بيرثا المستوحاة من [زوجته] نورا.

وُقِع العقد، ومر الوقت دون سماع جديد من لونييه-پو المتشوق لإنتاج المسرحية. تلقى جويس في غضون ذلك خبرًا من السيد بيرنارت أنه ومدام هيلين باسكييه قد أتما ترجمة «المنفيون» آملين أن يخرجها

1 كاتب مسرحي نرويجي (1828 - 1906).

البارع هيبيرتوت<sup>1</sup> في مسرح الشانزليزية البهي. أبدى هيبيرتوت استعداداه لقبول «المنفيون»، لكنه أراد التأكد من موقف لونييه-پو.

طلب مني جويس اللقاء بلونييه-پو ومعرفة موقفه من «المنفيون»، وضرب لونييه-پو موعدًا ذات صباح بمسرحه في الساعة الحادية عشرة، حيث قضيت بعض الوقت في مطاردته حول الأجنحة والممرات الباردة حتى أوقفته أخيرًا، وجلسنا لاهئين للحديث عن «المنفيون».

تحدث لونييه-پو بنبرة اعتذار عن فشله في إنتاج مسرحية جويس. أراد صدقًا عرضها في مسرح دي لوفر، حتى أنه كلّف سكرتيره الكاتب المسرحي ناتانسون<sup>2</sup> بترجمتها. توقف لونييه-پو، وانتظرته ثم قال: «كما ترين، عليّ أن أكسب عيشي. تلك هي مشكلتي. عليّ أن أضع مطالب جمهور المسرح الحالي بعين الاعتبار، وكل ما يطلبونه اليوم هو شيء يضحكهم». تفهمت وجهة نظره، لم تكن مسرحية جويس مضحكة بالمرّة، وتشاركه مسرحيات إيسن في الأمر أيضًا. هذا ما ميز بيل شكسبير؛ جعل مهرجيه يقدمون عروضًا فكاهية في مسرحياته.

كان واضحًا أنني لم أستطع حث لونييه-پو على المجازفة مع «المنفيون»، إذ سمعت عن مشاكله المالية، التي تبينت الآن حداثها. وعلى الجانب الآخر، لم يكن من المتوقع من جويس تحويل «المنفيون» إلى كوميديا ساخنة. وكان تعليق جويس الوحيد عندما أبلغته بحواري

1 جاك هيبيرتوت (1886 - 1970) مخرج مسرحي فرنسي.

2 جاك ناتانسون، كاتب مسرحي فرنسي (1901 - 1975).



مع لونييه-پو: «كان عليّ أن أجعل المسرحية مضحكة، وأن أضع ساقًا خشبية لريتشارد»<sup>1</sup>!

أنتج لونييه-پو عوضًا عن «المنفيون» مسرحية الديوث الرائع للكاتب المسرحي البلجيكي فيرناند كرومليكن. وانتابتنى فكرة أن بطل المسرحية ابن عم بعيد لريتشارد، لكن مع متعة تراكمت حتى حصل جمهور مسرح دي لوفر على كل الضحكات التي ابتغوها. استمر عرض الديوث الرائع لشهور.

لم يقف شيء الآن أمام خطط هيبيرتوت إزاء «المنفيون»؛ فالعروض التي قدمها هيبيرتوت في مسرحه، سواء أكانت موسيقًا أو باليه أو دراما، كانت أحداثًا لا يمكن لأحد تفويتها أو حضورها إلا إن كنت مدعوًا مثلي. تجد في مقعدك على المسرح نشرة هيبيرتوت الصغيرة وفيها إعلانات عن العروض القادمة، وأشرت إلى كاتب النشرة إلى واحدة من تلك العروض «المنفيون» بيد أن هيبيرتوت لم يعلن عنها لسبب ما.

أبدى لويس جوفيه، الذي أدار مسرح الشانزليزيه الكوميدي، وهو الجناح الصغير من مسرح الشانزليزيه الكبير، اهتمامه بمسرحية جويس، وبما أن جويس لم يكن على علم بذلك، فقد أعفاه فشل جوفيه في أداء «المنفيون» من الشعور بخيبة الأمل. كل ما في الأمر هو أن جوفيه لم يجتهد في أداء دور ريتشارد، وناسبته أدواره العظيمة في مسرحية نوك لجول رومان ومسرحيتي مولير طرطوف ودون جوان أكثر.

---

1 البطل في «المنفيون».

على أية حال، حاز جوفيه على حقوق عرض المسرحية، ثم تخلى عنها لصالح جويس بعد أعوام قليلة عندما خطط المسرح الكوميدي الفرنسي لإنتاج «المنفيون». كان جوفيه رجلاً لطيفاً، وبالغ الطيبة.

ثم أراني جويس خطاباً شغوفاً من كوبو، مدير مسرح فيو كولمبييه الصغير - «مسرح الحمام القديمة» كما أسمته غيرترود ستاين. بدا كوبو على عجلة من أمره لأداء المسرحية، ما دعا جويس إلى أن يطلب مني الإسراع إلى فيو كولمبييه، آملاً وصولي قبل فتح الستار على «المنفيون». كان كوبو في غاية الود، معبراً عن تقديره لجيمس جويس ومسرحيته، وطمأنني أنها ستكون مسرحيته المقبلة، وأنه رأى نفسه في دور ريتشارد.

بدا من المنطقي الأمل بأن كوبو سينتج المسرحية؛ إذ كان محاطاً بمجموعة من أفضل الكتاب في فرنسا، وجمهوره على درجة عالية من الوعي ومتمرس على المصاعب. وارتأيت أنه بمقدور كوبو النفاذ إلى جلد ريتشارد وإيصال لطائف جويس إلى مستمعيه الصاغين. نعم، ظننت أن هنالك ثمة أمل.

كان أصدقاء كوبو على علم بميوله الدينية، ولكن، فوجئ البعض منهم، خاصة أولئك الذين لديهم مسرحيات واعتادوا على كوبو في إنتاجها، بأن كوبو قد اعتزل المسرح من أجل حياة التأمل في الريف. حدث ذلك بعد وقت قصير من لقائي به، حين أظهر حماسة كبيرة لـ «المنفيون»، وهذا ما صعقني بالفعل.

ثم حان دور امرأة شقراء متفائلة ومبهجة في المطالبة بمسرحيتنا، وجاءت تتصبب عرقاً، وأخبرتني بعدما التقطت أنفاسها أنها أتمت ترجمة

«المنفيون» دون صعوبة، وأنها تعرف عدة مسارح ترغب في عرض المسرحية فورًا، وأنها سوف تبقيني على اطلاع، ثم انطلقت خارجًا. كانت تلك الشخصية البشوشة تعمل في مجال الطيران، حسبما أخبرتني، الطيران هو عملها، وتشغل أوقات فراغها بالمسرح. استمتعت بزياراتها «الطائرة»، ورسائلها المتكررة بخط يدها الطويل. وتهب من المطار رأسًا إلى المكتبة وحول المسارح، وكانت الأخبار طيبة على الدوام. لم نتفاجأ أنا وجويس عندما توقف الأزيز وانقطعت زيارات صديقتنا الطائرة.

بدأت زوجة شابة وجذابة لأحد ممثلي وأعضاء المسرح الكوميدي الفرنسي بالتردد على مكتبي قبل وقت قصير من اندلاع الحرب العالمية الثانية. لفتتها أعمال جويس تحديدًا، وأبلغتني ذات يوم برغبتها الشديدة في عرض «المنفيون» بالمسرح الكوميدي الفرنسي، وأنها قد أتمت ترجمتها (ترجمة أخرى جديدة!)، وساعدها صديق لها في معالجة العمل للمسرح الفرنسي، وتيقنت بأن العمل سيُقبل، وأن زوجها - مارسيل ديسونيز<sup>1</sup> - قد بدأ بالفعل في دراسة دور ريتشارد.

بدا الوضع واعدًا؛ ترددت مدام ديسونيز ذهابًا وإيابًا، وأتى معها زوجها ليعبر عن إعجابه بـ «المنفيون» وأنه يتطلع قدمًا لأداء دور ريتشارد، ودعاني لأراه وهو يؤدي أدوارًا مختلفة، وكان فنًا يستحق التقدير.

---

1 ممثل مسرحي فرنسي (1877 - 1960).

أخيرًا، رتبت لاجتماع مع جويس في المكتبة، لأن هنالك ثمة مشاكل ظننت أن على المؤلف الاطلاع عليها. تمت تسوية المشاكل بسهولة، وكانت إحداها تتعلق ما إذا كان جويس سيعترض على المعالجة الضرورية للعمل ليصلح للعرض على المسرح الفرنسي. طمأن جويس مدام ديسونيز بأنه لن يتدخل في أداء مسرحيته - لم يكن ذلك من شأنه. ثم جاء ذكر مسألة القبلية في المسرحية، وطلبت مدام ديسونيز من جويس السماح لها بتعديل المشهد لصالح المسرح الكوميدي الفرنسي الذي تحضر عروضه العديد من الفتيات الشابات. لا يمكن لقبلة التسبب بضجة، وأخبرت مدام ديسونيز بأن جمهور المسرح في باريس ليس بالجمهور الذي سيعترض على ذلك.

قال جويس، الذي استمتع بردود الفعل الفرنسية على مشهد القبلية، بأنه منح كامل الحرية بالتصرف بذلك المشهد وغيرها من مشاهد المسرحية.

سعدت بفكرة أن «المنفيون» ستعرض في المسرح رقم واحد في باريس، وخذاني الأمل. وكان جويس راضيًا، لكنه لم يحذئه الأمل كما كنت. توقع جويس بأن شيئًا ما سيحدث لتجنب عرض مسرحيته. كان «الشيء» الذي توقعه جويس هو الحرب، ولم تعرض المسرحية في باريس إلا بعد خمسة عشر عامًا، أي في عام 1954. عرضت المسرحية في مسرح غرامونت، بترجمة ممتازة من السيدة جيني برادلي، وهي الترجمة الأولى للمسرحية إلى الفرنسية حسبما أخبرتني. خرجت المسرحية بصورة متقنة لدرجة أنني تأسفت على وفاة جويس وعدم رؤيته للعرض.

حضر بن هويش، الناشر الأميركي لـ «المنفيون»، العرض الأول لها في مسرح نيبرهود [الحي] بنيويورك عام 1925، وأرسل لي نسخة من رسالته إلى منتجة العرض هيلين آرثر. أظن أن السيد هويش قد لخص مصاعب اندماج الجمهور بمسرحية «المنفيون»، وأذن لي متلطفًا بالاقتراب من رسالته، بعدما أثنى على الإنتاج والممثلين في مسرح الحي، إذ كتب:

كما أرى، فإن الصعوبة العظمى في عرض مسرحية من هذا النوع تكمن في نقل الأفكار والعواطف غير المنطوقة للشخصيات إلى الجمهور وفي جعل الخطابات الفعلية دلالة على أفكار مخفية دون تسطيح لرهاقة الكلمات. تصبح المشكلة معقدة عندما تدرك كل شخصية عبر وجهة نظرها ما تسمح به للجمهور الاستماع إليه وما تسمح للجمهور بالاستدلال، وتتعدد الأمور أكثر عندما يتوجب على الجمهور خلق انطباع يتعلق بما تفكر به الشخصيات إزاء بعضها البعض دون الاعتماد كليًا على ما تقوله لبعضها البعض.

«أن في عرض أزمة تقوم على صراع الأرواح في ليلة ترفيهية (قد يبدو تعليقًا فجأً، لكن يذهب معظم الناس إلى المسرح من أجل الترفيه) وهي مهمة صعبة خصوصًا حين تتعلق بمسرحية كالممنفيون التي لا تمثل بنفسها بل تتطلب ممثلين لها. عليّ أن أضع بعين الاعتبار أن الممثل الحقيقي عليه أن يحب مقاطع جويس لأنها اختبار قاسٍ. لا يمكن اعتبار تلك المقاطع نزهة - فإمّا أن تمثل أو تفشل».

استمعت إلى «المنفيون» باللغة الفرنسية على راديو باريس في عام 1955، وأدّيت بإتقان شديد. قدمها إلى المستعنين رينيه لالوا، وأدى بيير بلانشار<sup>2</sup> دور ريتشارد باقتدار.

أ.ل.ب.

تسببت أنا ليفيا بلورايبيل، أو أ.ل.ب. كما نطلق عليها اختصارًا، ببطلة رواية بعث آل فينيغان «عمل قيد التحضير» لجويس، لي ببعض المتاعب.

ذكر ويندهام لويس لجويس، في إحدى زيارته إلى باريس، بأنه يتوقع صدورًا قريبًا لمجلة أدبية جديدة لتخلف مجلة تايرو، وسأل جويس إن كان يود منحه جزءًا من عمله الجديد في أقرب وقت ممكن؟ وعد جويس بذلك، وظن أن الوقت مناسب، ومجلة لويس مكان جيد للظهور الأول لبطلته المستعدة للخروج من ورشة الكتابة، فالتقطها خالقها وأزال نشارة الخشب عن تنورتها، وحزم حقائبها للتوجه إلى ويندهام لويس، وانطلق جويس في غضون ذلك إلى بلجيكا.

لم نتلقَ خبرًا أو جوابًا من ويندهام لويس بتاتًا، وانتظر جويس في بلجيكا بفارغ الصبر وهو يشعر بالأذى من عينيه. لم يتحمل جويس الانتظار أكثر فكتب رسالة إلى لويس بقلمه الرصاص الأكثر سوادًا وسماكة، وأرسل جويس الرسالة إليّ طالبًا مني نسخها وإرسالها إلى لويس وكأنها كتبت من قبلي، ففعلت.

1 كاتب فرنسي (1889 - 1960).

2 ممثل فرنسي (1892 - 1963).

لم يصلني رد على «رسالتي»، لكن وبعد فترة وصلني العدد الأول من المجلة الجديدة التي يحررها ويندهام لويس والتي تدعي إينيمي. لم تحتوِ المجلة على نص جويس، وأستغلت المساحة المتاحة في المجلة في هجوم عنيف على عمل جويس الجديد من قبل ويندهام لويس.

تألم جويس جراء ذلك الهجوم، وشعر بخيبة الأمل أيضًا، بسبب خسارة فرصة تقديم فرد من آل إيرويكير إلى القراء في لندن.

كان المحرر التالي الذي طلب «أ.ل.ب.» هو شاب إنجليزي يدعى إيدجيل ريكوارد<sup>1</sup>، الذي كان يعد العدة لإصدار العدد الأول من مجلته الجديدة ذا كاليندار [التقويم]. كتب ريكوارد عارضًا «ضيافة صفحاتنا إلى جويس، القوة العظمى للجيل الحاضر».

وعدت ريكوارد بـ «أ.ل.ب.» لكنني حذرتَه بأنه عليه الانتظار حتى ينشر السيد ت.س. إليوت في مجلة كرايتيريون [المعيار] مقطعًا سابقًا من العمل، فقال إنه سيبليغ المشتركين الذي توافدوا على وقع سماعهم لنبا نشر ذا كاليندار مقطعًا من كتاب جويس الجديد في عددها الأول بالانتظار.

ظهر عدد كرايتيريون، وأرسلت فصل «أ.ل.ب.» في الحال إلى ذا كاليندار، وتلقيت من المحرر رسالة عرفان مبهجة، ثم استلمت منه رسالة مخزية؛ رفضت المطابع صف فقرة تبدأ بـ «صبيان يرتديان بنطالين ضيقين» وتنتهي بـ «يحرمان خجلًا وينظران إليها بازدراء». كتب محرر ذا كاليندار، وطلب باحترام إذن السيد جويس بحذف هذه الفقرة من نصه.

1 شاعر ومحرر إنجليزي (1898 - 1982).

أجبت بتردد بالغ عن أسف السيد جويس لعدم ملاءمة مساهمته  
ببدا أنه لا يمكنه مناقشة أي تعديل على نصه، راجية من السيد ريكوارد  
إعادة إرسال النص.

نشرت أدريان مونييه حتى ذلك الحين نصوصًا بالفرنسية في مجلة  
السفينة الفضية، لكنها أرسلت من فورها دعوة لكي تأتي «أ.ل.ب.»  
كما هي عليه، بالإنجليزية، على متن السفينة الفضية. هكذا ظهر لأول  
مرة ذلك الجزء من عمل جويس الجديد في مجلة فرنسية.

رأت أدريان في «أ.ل.ب.» شخصية ممتعة وأسهمت في ترجمتها  
إلى الفرنسية عندما نُشرت في نوفيل ريفيو فرانسيسه، وساعدها في ذلك  
الجميع بما فيهم جويس نفسه، وقُرئت الترجمة من قبل أدريان في قراءة  
عامة في مكتبتها - كانت القراءة لجويس في مكتبتها.

كان جويس شديد التوتر حيال تقديم بطلته إلى القراء في الولايات  
المتحدة، فأرسلتها بطموح عالٍ إلى مجلة ذا ديال، آملة بأن تراها ماريان  
مور، محررة المجلة، شخصية جذابة.

سعدت بتلقي قبول مجلة ذا ديال للعمل، لكنه اتضح أن القبول كان  
خطأ، لأنه صدر في وقت إجازة الأنسة مور، والتي كانت مترددة في  
نشر العمل. لم تراجع ذا ديال عن نشر العمل تمامًا، وأُبلغت بأنه سيتم  
الاقطاع من العمل ليلائم متطلبات المجلة. من الأرجح أن جويس  
سيقبل بالتوسع في عمل خاص به، لكنه لا يقبل بإنقاصه أبدًا. وعلى  
الجانب الآخر، لم أستطع أن ألوم ذا ديال على تأنيها في التعامل مع مقطع  
مليء بالأنهار التي قد تفيض على رقم 152 غرب الشارع الثالث عشر.<sup>1</sup>

---

1 عنوان مجلة ذا ديال في نيويورك.



شعرت بالأسف لفشل «أ.ل.ب.» في الظهور بمجلة ذا ديال. أما جويس، الذي ظل في بلجيكا، فلم يكن متفاجئًا، وكتب لي سائلًا «لماذا لم تراهني معي؟». «لربما كسبت شيئًا ما». وأضاف أنه نادم على خسارته «الموقع الاستراتيجي». لطالما نظر جويس إلى بعث آل فينيغان بوصفها معركة.

## تسجيلان

ذهبت في عام 1924 إلى شركة هيز ماسترز فويس HMV للتسجيلات في باريس سائلة عن إمكانية تسجيلهم قراءة ليوليسيس بصوت جيمس جويس. أرسلت للقاء بييرو كوبولا<sup>1</sup>، الذي كان مسؤولًا عن التسجيلات الموسيقية في الشركة، بيد أن الشركة ستوافق على تسجيل قراءة جويس فقط في حال تحملي للتكاليف، وأن التسجيل لن يحمل علامة الشركة، ولن يدرج في فهرس أعمال الشركة.

ظهرت تسجيلات لبعض الكتاب في إنجلترا وفي فرنسا منذ فترة قد تصل إلى عام 1913. سجّل غيوم أبولينير بصوته بعض الأعمال التي حُفِظَتْ في أرشيف متحف دولا بارول. ولكن في عام 1924، وبحسب قول كوبولا، فإن لا طلب حاليًا سوى على التسجيلات الموسيقية. تقبلت شروط هيز ماسترز فويس: ثلاثين نسخة من التسجيلات والدفع عند التسليم، وهذا كل ما في الأمر.

---

1 موسيقي إيطالي (1888 - 1971).

كان جويس قلقًا حيال تسجيل صوته، وعانى من عينيه ومن التوتر في اليوم الذي أخذته معي بمركبة الأجرة إلى المصنع في بيانكور، البعيدة عن المدينة، ولحسن الحظ، اجتمع جويس مع كوبولا، وخاضا حوارًا بالإيطالية عن الموسيقى وكأنهما في منزل أحدهما. بيد أن التسجيل كان بلاءً بالنسبة إلى جويس، إذ فشلت المحاولة الأولى، ثم أعدنا الكرة، وأظن أن تسجيل يوليسيس قد نتج عنه أداء رائعًا، ولم أسمعه أبدًا دون الشعور بالتأثر العميق.

اختار جويس تسجيل الخطبة الواردة في فصل إيلوس، المقطع الذي قاله إنه الوحيد الذي يمكن حذفه من الرواية، والوحيد الذي كان «خطابيًا» ولذلك سيكون مناسبًا للقراءة. اتخذ جويس قراره، وأبلغني بأنه سيكون المقطع الوحيد الذي سيقروؤه من يوليسيس.

خطرت لي فكرة أن جويس لم يختر هذه الفقرة من حلقة إيلوس لأسباب خطابية فحسب، بل لأنني أو من بأنها تعبر عن شيء ما أراد قوله ومختزن في صوته، لئسمع بصوت عالٍ - «رفع صوته أعلى منه بجرأة»<sup>1</sup> - يشعر المرء بأن الأمر أكثر من مجرد خطبة.

كان تسجيل يوليسيس «سيئًا جدًا» بحسب صديقي تشارلز أوغدن<sup>2</sup>، الذي شهد كتابه معنى المعنى بالاشتراك مع إيفور ريتشاردز<sup>3</sup> إقبالًا كبيرًا في مكتبتي، حيث امتلكت أيضًا كتبه الصغيرة عن اللغة الإنجليزية المبسطة واعتبرته في بعض الأحيان مخترعًا لنمط مقيد لحرية الفرد في التصرف باللغة الإنجليزية.

1 يوليسيس (الجزء الثاني). ترجمة صلاح نيازي. دار المدى ط 1 (2010). ص 38.

2 عالم لغوي إنجليزي (1889 - 1957).

3 ناقد أدبي إنجليزي (1893 - 1979).

أنجز السيد أوغدن بعض التسجيلات لبرنارد شو وآخرين في أستوديو جمعية علم تصويب الكلام بكامبردج واهتم بالتجريب مع الكتاب، وأظن أن ذلك يعود لأسباب تتعلق أساسًا باللغة. (كان برنارد شو بصف أوغدن، ولم يتمكن من رؤية ما يسعى إليه جويس إذ وُجدت كلمات في اللغة الإنجليزية أكثر مما يتاح للمرء التصرف بها). تفاخر السيد أوغدن بامتلاكه أكبر جهازين للتسجيل في العالم في الأستوديو الخاص به في كامبردج وأخبرني بأن أرسل إليه جويس كي ينجز تسجيلًا حقيقيًا. فتوجه جويس إلى كامبردج لتسجيل «آنا ليفيا بلورايبيل».

جمعت الاثنين إذًا، رجل محرر ويدعو لتوسع اللغة الإنجليزية، وآخر أراد تكثيفها إلى معجم من خمسمئة كلمة. وجرت تجاربهما في اتجاهين متضادين، لكنها لم تجنّبهما من اكتشاف أن أفكار كل منهما مشيرة للاهتمام. قد يموت جويس جوعًا لو قد عاش على خمسمئة أو ستمئة كلمة، لكنه استمتع بالنسخة الإنجليزية المبسطة من «آنا ليفيا بلورايبيل» والتي نشرها أوغدن في مجلة سايك (النفس). رأيت بأن «ترجمة» أوغدن للعمل قد حرمته من جمالياته، لكن السيدين أوغدن وريتشاردز هما الشخصان الوحيدان اللذان عرفتهما باهتمامهما باللغة الإنجليزية والمساوي لاهتمام جويس بها. واقترحت أن يكون تشارلز أوغدن هو من سيكتب تقديمًا لحكايات يرويها شيم وشون عندما نشرت بلاك صن بريس الكتاب الصغير.

يا لجمال تسجيل «آنا ليفيا»، ويا للمتعة التي منحنا إياها جويس بلكنة غاسلة ملابس إيرلندية! هذا كنز ندين به إلى تشارلز أوغدن ولغته الإنجليزية المبسطة. حفظ جويس، بذاكرته الشهيرة، آنا ليفيا عن ظهر قلب، وتعرّض ذلك في موضع ما، واضطر إلى إعادة التسجيل كما حدث مع يولييسيس.

أعطاني أوغدن النسختين الأولى والثانية معًا، وأعطاني جويس أوراقًا ضخمة طبع عليها أوغدن «آنا ليفيا» بحروف كبيرة حتى يتمكن الكاتب - الذي أخذ نظره بالخفوت - من القراءة من دون جهد. تساءلت من أين تمكن أوغدن من الحصول على حروف طباعة بتلك الحجم، حتى فحصها صديقي موريس سايبه<sup>1</sup>، وأخبرني بأن صفحات الكتاب قد صُوِّرَتْ ثم كُبِّرَتْ. تم تسجيل «آنا ليفيا» على وجهي الأسطوانة، واحتوى أحد الجانبين على المقطع المقتبس من يوليسيس، وكان التسجيل الوحيد من يوليسيس الذي وافق عليه جويس.

ندمت على عدم فعل شيء حيال الحفاظ على النسخة الأصلية «الماستر» من التسجيل، جراء جهلي بما يخص أمور التسجيلات الصوتية. قيل لي بأن تلك كانت القاعدة في تسجيلات كهذه، ولسبب ما دُمِرَتْ النسخة «الماستر» الثمينة من تسجيل يوليسيس. ثم التسجيل بأسلوب يمكن وصفه بالبدائي آنذاك، في الفرع الباريسي من هيز ماسترز فويس على الأقل، وكان أوغدن محقًا؛ لم يكن تسجيل يوليسيس ناجحًا على المستوى التقني. لا فرق، فهذا هو التسجيل الوحيد الذي يقرأ فيه جويس بنفسه من يوليسيس، وهو التسجيل المفضل لي من بين الاثنين.

لم يكن تسجيل يوليسيس مغامرة تجارية بالمرّة، إذ سلمت معظم النسخ الثلاثين إلى جويس كي يوزعها على عائلته وأصدقائه، ولم تباع نسخة منها حتى بعد سنوات، عندما واجهت ظروفًا مالية صعبة، وأنفقت ثم قبضت مبلغًا عاليًا لقاء نسخة أو نسختين متبقيتين.

---

1 كاتب فرنسي (1914 - 1990). عمل في شبابه معاونًا لأدريان مونييه في مكتبها.

ثبطني الخبراء اللاحقين في مكتب هيز ماسترز فويس، وأولئك في هيئة الإذاعة البريطانية B.B.C في لندن، واستسلمت من محاولة «إعادة طباعة» التسجيل - أعتقد بأن هذا هو المصطلح الصحيح. منحت موافقتي لهيئة الإذاعة البريطانية على تسجيل مستمد من آخر أسطوانة كانت بحوزتي لغرض إذاعتها في برنامج عن جويس من تقديم وليام رودجرز<sup>1</sup>، والذي شاركت فيه برفقة أدريان مونييه.

يمكن لأي شخص يتمنى سماع تسجيل يوليسيس التوجه إلى متحف دي لا بارول، حيث يُحتفظ بقراءة جويس مع تسجيلات لبعض الكتاب الفرنسيين العظام بفضل اقتراح من صديقي في كاليفورنيا فيلياس لالان.

---

1 شاعر ومذيع إيرلندي شمالي (1909 - 1969).

## قصائد الواحدة ببنس

نشرت قصائد الواحدة ببنس في عام 1927.

يكتب جويس قصيدة بين فترة وأخرى، وأعتقد بأنه «يرمي» البعض منها، ويبقي البعض الآخر جانبًا. وجلب لي في عام 1927 ثلاثة عشر قصيدة وسألني إن كنت مهتمة بطباعتها: دزينة خباز<sup>1</sup> تباع لقاء شلن واحد، كبضاعة امرأة عجوز تباع التفاح على جسر فوق نهر ليفي<sup>2</sup>. أطلق جويس على المجموعة عنوان قصائد الواحدة ببنس Pomes Penyeach. كانت تلك قيمتها حسب رأيه، وبالطبع، فإن الكلمة «Pomes» تلاعب لفظي للكلمة الفرنسية Pommes (تفاح)، وأراد الغلاف بلون أخضر تمامًا كتفاح كالقيل، الرقيق على نحو مميز، وذو صبغة خضراء - ما يدل على قدرة جويس على تمييز الألوان رغم نظره الضعيف. ذهبت إلى هيربرت كلارك، الطباع الإنجليزي في باريس، والذي يملك خطوط طباعة جميلة. شرحت له رغبة المؤلف بكتيب صغير ذي

1 Baker's dozen تعبير اصطلاحي في اللغة الإنجليزية عن الرقم 13، ويعود أصله إلى باعة الخبز في القرن السادس عشر الذين يضيفون قطعة خبز إضافية للذينة تجنبًا لمخالفتهم في حال كانت الذينة بأقل من الوزن المحدد.

2 نهر في دبلن بإيرلندا.

مظهر رخيص كي يباع مقابل بوب<sup>1</sup> واحد. أخرج كلارك بتردد كتراسًا أخضر صغيرًا وبائسًا، ظانًا أنه يبدو كـ «مستحضر دوائي». رأيت كم كان جويس يشعر بالأسف، ومع ذلك فقد تمسك برأيه. كنت أنا من لم تحتمل أن أكون ناشرة لذلك الوحش الصغير. أحبيت كتاب القصائد أيضًا، وأردت لها الظهور بشكل جميل.

قال كلارك إنه بإمكانه القيام بعمل أفضل مع غلاف بالورق المقوى بدلًا من غلاف بالورق العادي، لكن ذلك سيكلفني أكثر بما لا يمكنني بيع الكتاب بشلن واحد - ستة فرنكات ونصف حسب سعر الصرف في عام 1927. طلبت الورق المقوى، وبعث الكتاب لقاء شلن واحد كي يتطابق مع العنوان. كان كتابًا صغيرًا وجميلًا. وطُبعت ثلاث عشرة نسخة من الحجم الكبير خصيصًا لجويس وأصدقائه، ووقع جويس على النسخ لا باسمه الكامل، بل بالأحرف الأولى من اسمه.

أراد جويس لا لأشعاره فحسب، بل لأعماله الأخرى أيضًا، أن تباع بأسعار مخفضة حتى يتمكن من يعتبرهم قراءه الحقيقيين من شرائها. بيد أن أعماله غالبًا ما تنشر بطريقة محددة دون وضع التكلفة التي يتحملها ناشريه بعين الاعتبار. فلو أن جويس قد أولى انتباهًا إلى مشاكلنا، لجعل الأمور أسهل بالنسبة إلينا. لكنه كان أمرًا لا يعنيه. لذا، سواء أكنت تدير شؤون النشر بعيدًا، حيث لا يمكن لكاتبك التدخل فيه، أو أنك تنشر والكاتب بجانبك - فإنك ستحظى بمتعة أكبر، وتكاليف أكثر.

---

1 بوب هو المصطلح العامي لمبلغ شلن إنجليزي واحد، والشلن يساوي إثني عشر بنسا.

أما الأفراد الذين أعطاهم جويس النسخ الثلاثة عشر ذات الورق الكبير فكانوا: 1 س.ب. 1 2 هاريت ويفر 3 آرثر سيمونز<sup>2</sup> 4 لاريو 5 جورجيو 6 لوسيا 7 أدريان مونييه 8 كلود سايكس<sup>3</sup> 9 أ. ماكلش 10 يوجين جولاس 11 إليوت بول 12 السيدة مايرون نوتغ<sup>4</sup> 13 ج.ج. نفسه.

كانت قصائد الواحدة بينس، أو «P.P» كما أسماها جويس، مطبوعًا لطيف التناول على العكس من يوليسيس. وتم «تناول» القصائد في مكتبة الشعر بلندن، حيث تلقت ترحيبًا دافئًا. لكنني أعتقد، بالمجمل، أن صدور شيء متواضع من قلم جويس قد حير قراءه. لم يكن العمل «شعرًا عظيمًا» - لكن من قال ذلك؟ فجويس على علم بمحدوديته شاعرًا. وسألني إن لم أعتقد أنه قد عبّر عن نفسه بشكل أفضل كاتبًا للنثر. فالنسبة إلى جويس، فإن الشعر العظيم يعود إلى بيتس، الذي كان يتلو إلى شعره على الدوام محاولاً تحويلي إلى معجبة به - مضيعة للوقت؛ إذ كنت مهتمة أكثر بفاليري وسان جون بيرس وميشو وبالطبع ماريان مور وت.س. إليوت.

ما جذبني إلى أبيات جويس الصغيرة ثمة غموض حاضر في مجمل عمله، الحضور الغريب لجويس نفسه. وتلك القصائد، وتحديدًا «على الشاطئ في فونتانا» و«صلاة» قد تركتا في أثرًا عميقًا.

1 المؤلفه.

2 شاعر بريطاني (1865 - 1945).

3 ممثل مسرحي إنجليزي (1883 - 1963).

4 رسامة أميركية (1880 - 1972).



كانت فرحة جويس هائلة عندما تبني ثلاثة عشر ملحناً موسيقياً قصائد الواحدة بينس وجمعتهم مطبعة جامعة أكسفورد تكريمًا لجيمس جويس. أُنتج العمل مع لوحة شخصية لجويس رسمها أوغستوس ستيفنز<sup>1</sup>، وكتب هيربرت هيوز<sup>2</sup> رسالة المحرر، وكتب التقديم والخاتمة كل من جيمس ستيفنز<sup>3</sup> وآرثر سيمونز. ظهر الكتاب في ليلة عيد القديس باتريك عام 1932، وأصدرته، بمصادفة مضحكة، مطبعة سيلفان<sup>4</sup>. قلّمَا رأيت جويس راضيًا عن شيء بقدر «كتاب جويس» هذا. أفترض أن جويس ليس الكاتب الوحيد الذي أحب أن تخصص له مناسبة تكريمية، لكنه ربما الوحيد الذي تلقى تكريمًا موسيقياً. استاء جويس من النقد كحال زملائه من الكتاب، وكان الأمر في الواقع «مثل مطواة في القلب» كما يقال في أغنية الأطفال. شعر جويس بجرح عميق جراء تعليق إزرا باوند المتهمك بعد تلقيه الكتاب الصغير قصائد الواحدة بينس والتي وصفها بأنها «ذلك النوع من الشعر الذي يُحتفظ به في إنجيل العائلة».

زار آرثر سيمونز المكتبة بعد وقت قصير من نشر قصائد الواحدة بينس، فاستدعت جويس، الذي ما إن سمع بتواجد سيمونز في المكتبة حتى أعلن عن مجيئه حالاً. دائماً ما تذكر جويس مقال سيمونز الذي أثنى فيه على مجموعة موسيقا الحجرة في ظهورها الأول.

---

1 رسام من ويلز (1878 - 1961).

2 موسيقي إيرلندي (1882 - 1937).

3 شاعر وروائي إيرلندي (1880 - 1950).

4 صيغة المذكر لاسم سيلفيا.

كان آرثر سيمونز يقضي عطلته في القارة بعد تعرضه لانهايار عصبي، ورافقه رجل ملتح ذو ملمح ودود، لم يكن ذلك الرجل سوى الدكتور هافلوك إليس<sup>1</sup>. شكّل سيمونز ودكتور إليس رفيقَي سفر متجانسين على نحو غريب؛ فسيمونز نوع شاحب وهش من الشعراء، وذو سحنة تبدو مصطنعة، أما هافلوك إليس، ذو الرأس الشبيه برؤوس الحواريين، والذي خرج منه كل تلك المجلدات التي تطرقت إلى الجنس لتتوير جيل كامل حائر إزاء مشاكلهم. استندت صداقتي بإليس على أسس العمل، فقد كنت الوكيلة الأدبية لكتابه علم نفس الجنس في باريس.

جاء كل من الدكتور إليس وسيمونز ذات يوم ودعاني للخروج معهما للغداء في مطعم. جلست على طاولة بين هذين المخلوقين المجنحين وكانت تجربة باعثة على الفضول كما يجب أن تكون، فاختياراتهما من قائمة الطعام كانت مميزة، تشاور سيمونز الذواق مع النادل والساقي وكسب احترامهما باختياره من الأطباق والنبذ الملائم. وقال الدكتور إليس إنه يريد الخضروات، ولا نبذ، شكرًا، ماء فقط. قضى النادل وقتًا طويلًا في تدبر الطلبات، واختياراتي من القائمة كانت على طرفي نقيض. تولى سيمونز زمام الحديث. لم ننطق أنا والدكتور إليس بكلمة، ولم نبالِ بذلك. لم أتمكن يومًا من منح انتباهي لوجبة وحديث في الوقت نفسه. إذا كان الطعام شهياً، فعليه ألا يتداخل مع أمور أخرى، وفي حال ورود حديث، سواء عن العمل أو الفن، فعلى المرء الاستماع مليًا، فكيف عليه فعل ذلك وهو يستمتع بطعام لذيذ في ذات الوقت؟ لاحظت على الدوام أن الفرنسيين لا يناقشون شيئًا على المائدة،

---

1 طبيب وكاتب بريطاني (1859 - 1939).

عدا الطعام ربما، حتى بعد تقديم الطبق الثاني، حينها يمكن للمرء البدء بالتفكير في أمر آخر.

الموضوع الذي لفت سيمونز - بعد جويس، الذي أثار اهتمامه كثيرًا - هو زوجا الأحذية اللذان فقدهما في رحلته، وأخبرني أنهما سقطا من مؤخرة السيارة التي سافرا بها في جنوب فرنسا.

شاركت سيمونز اهتمامه ببليك بجانب جويس، مع الاختلاف بأن سيمونز مختص ببليك، أما أنا فمجبة لبليك وحسب. تفحص سيمونز الرسمتين اللتين اشتريتهما من إلكين ماثيوز، وجزم بأنهما أصليتان، وقد تكونان جزءًا من دراسة بليك لقصيدة القبر لروبرت بليرا، ووصفهما بالمثال الجيد، وهنأني على حظي في حصولي عليهما. ونظر إلى اللوحتين مختص آخر ببليك ولم يشك بأصالتهما، هو الكاتب الإيرلندي داريل فيجيس، الذي انتهت حياته على نحو مأساوي.

## استقراؤنا

نشرتُ ثالث وآخر عمل لجويس في عام 1929، وكان المجلد ذو العنوان بالغ الطول «استقراؤنا حول موثوقيته في التجسيد لعمل قيد التحضير»، وجرى تشذيب العنوان في طبعات تالية من العمل.

حمل العنوان لمسة جويس بالطبع<sup>1</sup> وعلى الأرجح أيضًا «الرسالة/ القمامة»<sup>2</sup> في نهاية العمل. تألف الكتاب من اثنتي عشرة دراسة عن عمل جويس الجديد «قيد التحضير» من قبل اثني عشر كاتبًا: سامويل بيكيت ومارسيل بريون<sup>3</sup> وفرانك بودجين وستيوارت غيلبرت ويوجين جولاس وفيكتور لونا<sup>4</sup> وروبرت مكالمون وتوماس ماكغريفي<sup>5</sup> واليوت بول وجون رودكر وروبرت سيج ووليام كارلوس وليامز.

راقب أولئك الكتاب «العمل قيد التحضير» منذ البداية، كلٌّ من زاويته الخاصة، واجتمعوا على اهتمامهم بتجربة جويس وتشجيعها. اعتقد جويس بضرورة تضمين مقال معارض، ولم يكن سهلًا إيجاد مقال كهذا في الجوار، حيث كل من أعرفه كان مناصرًا بقوة «للعمل قيد التحضير». غير أنني سمعت واحدة من زبائني، صحافية، عبّرت بقوة ضد التقنية الجويسية الجديدة، وسألته ما إن تود في المساهمة بمقال للكتاب، وقلت، بطيش، إنه بإمكانها المضي بعيدًا بقدر ما تحب. كتبت هذه السيدة مقالًا بعنوان «تكتبه قارئة عادية»، وزجرت جويس بقسوة جعلتني غير مسرورة من «ج.ف.ل سليغزبي» كما أسمت نفسها، وهو اسم مستوحى من قصيدة «ذا جامبليز» لإدوارد لير<sup>6</sup>. عليّ القول بأن المقال لم يكن جيّدًا بمقاييس النقد.

1 العنوان بالإنجليزية Our Exagmination Round his Factification for Incamination of Work in Progress. تكمن خصوصية العنوان في دمج جويس لكلمات مثل Examination مع Imagination، و Incarnation مع Imagination.

2 كتبت كلمة Litter (قمامة) محل كلمة Letter (رسالة).

3 كاتب وناقد فرنسي (1895 - 1984).

4 كاتب ومترجم بيروفي (1886 - 1953).

5 شاعر أيرلندي (1893 - 1967).

6 فنان وشاعر إنجليزي (1812 - 1888).

جلب ساعي البريد في الأثناء ظرفاً ضخماً ذا شكل غريب واسم مرسله «فلاديمير ديكسون»، أما العنوان في الخلف فكان «لعاية برينتانو». احتوى الظرف مجابهة ذكية ضد المسلك الجويسي، واستمتع جويس بالمقال ظاناً أنه عليّ أن أطلب من ذلك النذ تضمين رسالته في مجلد «استقراؤنا». هكذا ظهرت «الرسالة/القمامة» بوصفها التقييم الرابع عشر في كتابنا.

لم أخط - على حد علمي - بشرف اللقاء بالسيد ديكسون، لكنني أشبه أنه لم يكن سوى «جيمس جويس/ جيرم تشويس»<sup>1</sup> نفسه. بدا لي أن خط اليد حمل صفة أو اثنتين من الصفات المميزة لخط جويس، وقد أكون مخطئة في ذلك.

لطالما حمل جويس رغبة قوية في مشاركة الآخرين أفكاره إلى حد معين؛ كانت غريزة المعلم قوية الحضور فيه. كان «استقراؤنا» منفذاً غير مباشرٍ لتلك الرغبة. أحب جويس إرشاد سائحيه وتضليلهم حتى.

انحصرت مساهمتي في «استقراؤنا» على تصميم الغلاف: دائرة شكلتها أسماء المساهمين تدور حول الموضوع «حول موثوقيته». حصلت على الدائرة من ورقة مرفقة في منشور يدعى الفلك عام 1928، كتاب سنوي على الأرجح، وأرسله إليّ و.ل. باس من ناشفيل، نيو جيرسي. رُسمت على الورقة واجهة ساعة استبدلت عدد الساعات فيها بأسماء المؤلفين الاثني عشر.

# مكتبة

t.me/soramnqraa

---

1 خاطب كاتب الرسائل جيمس جويس مسمياً إياه Germ Choice (جرثومة الاختيار)

عندما اقترح السيد ت.س. إليوت والسادة الناشران فاير وفاير الاستحواذ على «استقراؤنا»، ظننت بأن هذا أفضل ما يحدث ليتبع نشر بعث آل فينيغان. طلب مني جويس، في المراحل الأولى من «العمل قيد التحضير» أن أكون ناشرة الكتاب. حينها بدأت في الشعور بالإرهاق جراء أعمالى المتعلقة بشكسبير أند كومباني وجويس، وأقل قدرة على تلبية متطلبات جويس المالية. كانت فكرة اعتناء الآنسة ويفر والسيد ت.س. إليوت ببعث آل فينيغان مبعث ارتياح كبير لى.

## قراصنة

لم أتفاجأ من سماع أن قرصنة أعمال جويس قد بدأت مع سرقة كراسه عن بارنيل<sup>1</sup> الذي كتبه في التاسعة من عمره. كانت المرة الأولى التي سمعت فيها عن القراصنة وهم يركبون على صنعة جويس عندما ظهرت نسخة غير مرخصة لمجموعة موسيقا الحجرة في بوسطن عام 1918. وكان اغتصاب يوليسيس في سنة 1916 حدثاً أشد خطورة. تطلب أمر طباعة الكتاب من قبل راندوم هاوس، واستعادة المؤلف لحقوقه سنوات.

لم تكن يوليسيس محمية بحقوق الطبع في الولايات المتحدة، ولتأمين حقوق الطبع، كان على الكتاب أن يتم صفه وطباعته في بلادنا، وهذا مستحيل بالطبع على عمل ممنوع. لم يحلم ناشر أميركي باستغلال وضع جويس وكتاب أوروبيين آخرين لا يمكن عدهم. كان قطاع الطرق بالمرصاد.

1 توماس بارنيل، كاتب وشاعر إيرلندي (1679 - 1718).

ظهرت إعلانات بحجم صفحة كاملة عام 1926 في المجلات الأسبوعية الإنجليزية والأميركية عن نشر يوليسيس في مجلة تدعى تو وورلدز (عالمان) وعن «عمل جديد غير معنون لجيمس جويس» في مجلة تدعى تو وورلدز كوارترلي (عالمان ربع السنوية). كان سامويل روث<sup>1</sup> محررًا للمجلتين، وكانت مجلة أخرى له تدعى بيو على وشك نشر أعمال ل.ت.س. إليوت. احتوت تلك الدوريات عمليًا - حسب الإعلان - جميع الكتاب الذين يعدون أفضل كتاب الحقبة. ساعدوا أنفسهم في التعرف عليهم.

ثمة استياء كبير شاع بين المساهمين غير الطوعيين لمنشورات سامويل روث، وكان إليوت ضحية مثل جويس - إذ حُصص العدد الأول من مجلة بيو لأعمال إليوت. كتب إليّ إليوت من فوره راغبًا في الانضمام إلى احتجاجنا ضد نشاطات روث، وطُبعت رسائلي ورسائل إليوت في العديد من الصحف والمجلات. ثم طبع أحدهم يوليسيس على هيئة كتاب، كان من السهل التعرف على النسخة المزورة إن كانت النسخة الأصلية مألوفة لديكم رغم وجود دمغة شكسبير أند كومباني واسم المطبعة. تعرض النص للتحويل في النسخة المزورة، أما الورق وخط الطباعة فكانا مختلفين. وبذلك، نجح بعض القراصنة في السنوات القليلة القادمة بوضع مستحقات كاتب في جيوبهم، كاتب لم يقض وقتًا طويلًا على عمله ويخسر بصره فحسب، بل تزداد مشاكله المالية سوءًا أكثر فأكثر.

---

1 كاتب وناشر أميركي (1893 - 1974).

أخبرني زائر من الغرب الأوسط الأميركي، وهو زميل في مجال بيع الكتب، كيف يزود «مهربي الكتب» المحالّ بيضاعتهم. تقف شاحنة عند باب المكتبة، ويسأل سائق الشاحنة، الذي يختلف في كل مرة، عن عدد النسخ المطلوبة من يوليسيس أو عشيقه الليدي تشارتلي المطلوبة. ويمكن لبائع الكتب طلب عشرة نسخ أو أكثر لقاء خمسة دولارات للنسخة ثم تباع الواحدة بعشرة دولارات، فيلقي السائق بالكتب ويذهب.

ظن جويس أنه عليّ التوجه إلى الولايات المتحدة وفعل شيء ما حيال القرصنة، لكنني لم أستطع ترك شكسبير أند كومباني، وعلى أي حال، فإن ما يضع نهاية للقرصنة هو النشر الرسمي في الولايات المتحدة. فكرت بكل جهد يمكننا فعله لجذب الانتباه إلى ما يجري. استشرنا أصدقاءنا في باريس، وقررنا كتابة احتجاج يحمل توابع أكبر عدد من الكتاب الذين يمكننا التواصل معهم، ثم توزيعه إلى الصحافة حول العالم.

كتب لودفيغ لويسون الاحتجاج، وراجع آرشيالد ماكليش للتأكد من قانونيته. طبعتُ نسخًا من الاحتجاج، ووقع عليه كل من أعرفه وساعدوني بدورهم في الحصول على توابع. فكرت أنه علينا أن نطلب - بجانب الكتاب الموجودين في باريس آنذاك - من المؤلفين في كافة أرجاء أوروبا التوقيع على الاحتجاج، إنجلترا وألمان ونمساويين وإيطاليين وإسبان وإسكندنافيين. كان جويس قلقًا بشأن الحصول على توابع الكتاب الإسكندنافيين، وشعرت أن الأمر سيضيع سدى لو لم أتبع الشاعر النرويجي أولاف بل (نجحت في ذلك بمساعدة من معلم جويس للغة الدنماركية). تلقيت اقتراحات من جويس والجميع، لكنه



عليّ القول إنني من اقترحت معظم الأسماء، بمن فيها الأكاديميين الفرنسيين. خصصت ساعات عديدة في البحث عن العناوين، وأرسلت رسالة شخصية إلى كل كاتب، وتلقيت العديد من الردود المثيرة للإعجاب. كان معظم الموقعين ضحايا للقرصنة، وشاركونا الشعور القوي حيالها. اعتنيت بحفظ بالرسائل والتواقيع التي شكّلت قائمة لكتاب عصرنا. نظر جويس إلى الردود المتدفقة من فوق كتفي، وأظهر «الكاتب الممنوع» تقديرًا مؤثرًا لتألف زملائه المؤلفين.

طُبع الاحتجاج بالصحف في كل مكان وفي العديد من المجلات والدوريات. وخصصت مجلة ذا هيومانست (الإنساني) صفحة كاملة للاحتجاج وأعدت نسخ بعض التواقيع، وطلب محرر المجلة مني إعادة نسخ بعض التواقيع التي طلبها بالاسم لدى المطبعة في باريس، ما زال صندوقًا مليئًا بألواح الطباعة، ووقع خطأ عندما كان على لوح طباعة باسم «الأكاديمية الفرنسية» أن يوضع أسفل توقيع أحد الأكاديميين الفرنسيين - وقع العديد منهم على الاحتجاج - لكنه وضع تحت اسم إرنست هيمنغواي. لم يحتج أحد على ذلك.

اغتاظ روث من الاحتجاج واتهم «سيلفيا بيتش، سكرتيرة جويس الآثمة، سليطة اللسان» بتضمين كتاب موتى بين الموقعين. قد يكون هذا من فعله، لكن لا ذنب لي في ذلك. الرسائل في ملفي دليل كاف على أصالة التواقيع، ولكن عليّ القول، أن واحدًا أو اثنين من الموقعين كانا في سن متقدمة ومعتلين، وماتا بعد وقت قصير. كان إزرا باوند هو الكاتب الوحيد الذي رفض التوقيع على الاحتجاج. تصرف طبيعي من إزرا.

استمر استغلال يوليسيس رغم كل الجهود التي بذلتها. لاحظت ذات مرة في جزيرة ستاتن<sup>1</sup> لوحة إعلانية كبيرة لشركة مبيدات تضمن تخليصك من «آفة الشهر». كان عليّ وجويس الاشتراك بالخدمة. دائماً ما يستولي أحدهم على شيء ما، واستمر جويس في كونه فريسة للقراصنة، الذين دائماً ما أعلنوا عن أنفسهم بصفتهم «من كبار المعجبين بجويس»، وأثبتوا ذلك عبر تصرفاتهم. حظي جويس بـ«معجبين» في أماكن بعيدة مثل اليابان، حيث تلقيت أربعة مجلدات ضخمة من يوليسيس مطبوعة في طوكيو مع رسالة تحية من الناشرين! وعادة ما يتهموني بالجشع عندما أحتج على تلك السرقات.

التقط ناشر شاب من الغرب الأوسط الأميركي قصائد الواحدة ببس كزهرة أقحوان، وأبدى عجلة في إصدار العمل حتى أنه لم ينتظر موافقة مني أو من المؤلف. كنت للتو قد نشرت المجموعة عندما تلقيت الأخبار المقلقة من معجب بتلك القصائد في كليفلاند عن قرب ظهور طبعة غير مرخصة من المجموعة، فطلبت من والدي طباعة عدد من النسخ في مطبعة جامعة برينستون لتأمين حقوق الطباعة في واشنطن، بيد أن الطبعة غير المرخصة - الخاصة و«غير المخصصة للبيع» كالعادة طبعًا - قد وصلت هناك أولاً، ولم يحصل المؤلف على الاثني عشر بنسًا لقاء النسخة الواحدة من قصائد الواحدة ببس.

---

1 جزيرة في جنوب مانهاتن بنيويورك.

## خليفة يوليسيس

لا أعلم متى بدأ جويس في التفكير ببعث آل فينيغان، ولكن، وبما أنه لم يتوقف عن الاختلاق أبداً، فلا بد أن السيد إيرويك قد حل محل السيد بلوم في اليوم التالي من الانتهاء من يوليسيس. فقد جويس الاهتمام بيوليسيس بعد أن خرج من يديه بوصفه كتاباً إن لم يفقد اهتمامه به بوصفه استثماراً أيضاً، وقال إنه لا يود أن يحدثه الناس عن الكتاب. تحدث جويس عن عمله الجديد طواعية، وتابعت العمل معه خطوة إثر خطوة، واهتمت بعائلة همفري شيمبدن إيرويك ه.ش.ا. بقدر اهتمامي بشخصيات يوليسيس. شرح جويس كل شيء مستخدماً العلامات والرسوم والحروف الأبجدية بينما نمضي قدماً، ووجدت أفكاره مثيرة للاهتمام وممتعة ومقنعة والتي مع حلول وقت ظهور الكتاب شعرت وكأنني في مكان مألوف وتأقلمت على أسلوبه في الكتابة، الذي أسماه «العمل ضمن طبقات»، عوضاً عن الكتابة بالطريقة السطحية المتبناة من قبل الآخرين. اعتقد جويس أن أسلوب وصف الإنسان قد أغفل كل شيء. أما مسألة اللغة، فلم يتفق جويس مع برنارد شو بأن معجم اللغة الإنجليزية ضخم بما فيه الكفاية دون الحاجة لاختراع كلمات جديدة. كان جويس مع الاستمتاع بلعبة اللغة، ولم يرَ حاجة في وضع حدود لذلك، ولم يكن جويس، صاحب الشخصية

التي ابتدعت يوليسيس، وبعث آل فينيغان على التحديد، على وفاق مع «المقاييس» حسب مفهوم الفرنسيين. لكنه قال إنه ربما كان مخطئًا، ولعل الطريقة المغايرة هي الأفضل، شاعرًا بأن الآخرين لم يقضوا نصف الوقت المطلوب للتعامل مع الكلمات.

كانت النزعة السائدة في إنجلترا وقت بدء جويس في كتابة عمله الجديد تميل إلى المحافظة على اللغة ضمن حدود معينة. تخبرك الكتب الإنجليزية ما يمكنك قوله وما لا يمكنك قوله، وما يمكن أن يقدمه الغرباء إلى اللغة ضمن حصة صارمة، وما يمكن أن تكون كلمة أميركية أو تكون كلمة دارجة، وهكذا دواليك. كانت لغة السيد تشارلز أوغدن الإنجليزية المبسطة، والتي تمنحك خمسمئة أو ستمئة كلمة لتعيش عليها، مسلية على النقيض من المعجم الجويس المتدفق.

روى لي جويس قصة اختياره موضوع العملاق في عمله الجديد؛ طلب من الأنسة هاربيت ويفر اقتراحًا لموضوع، فأخبرته عن «قبر الرجل العملاق» في كورنوال، فهرع جويس إلى كورنوال لإلقاء نظرة. سمع يوجين جولاس في وقت لاحق الحكاية نفسها من شفاه جويس. أظن أن جويس قد أبدى اهتمامًا بالعمالقة في فترة مبكرة تعود إلى عام 1922، حين قال لي عما أدهشه في كتاب فرانك هاريس عن أوسكار وايلد، ألا وهو تقديم برنارد شو للكتاب، حيث تطرق الأخير إلى مرض العملاقة لدى وايلد.

أمتلك صورة لجويس وهو يرتدي قبعة في طريقه إلى باجنور بإنجلترا في عام 1923 لمقابلة «العملاق». وألقى جويس في عام 1924 نظرة على الأنصبة الحجرية في بلدة كارناك الفرنسية برفقة مترجم يوليسيس

أوغوست موريل، حيث تطرق جويس في بطاقة بريدية أرسلها الثنائي إلى «السايكلوب»<sup>1</sup>.

ثم جاء دور الأنهار، انغمس جويس بالأنهار في صيف عام 1925. وتلقيت منه بطاقة بريدية أرسلها من بوردو: «غارون<sup>2</sup>، غارون!» لكن السماء تعلم كم نهر قد أطلع عليه جويس شخصياً. وقع جويس في حب نهر السين، «أنا سيكوانا»<sup>3</sup> الخاصة به. أتذكر عندما أخذت وأدريان جويس في سيارتنا الستروين إلى بقعة أراد زيارتها أعلى نهر السين، حيث أقيمت بعض المنشآت المائية التي أراد «إلقاء نظرة عليها». وجلس على ضفة النهر، وحدق إلى النهر وجميع المنشآت المائية التي تطفو عليه باهتمام شديد.

امتلك جويس القدرة على رؤية أمور مفاجئة بالنسبة إلى شخص أخذ نظره بالضعف. وأعتقد أن نظره المتلاشي قد طوّر قدرته على السمع جعلته يعيش في عالم من الأصوات، لذا، فمن المنطقي أن تكون بعث آل فينيغان رواية يجب أن يسمعها القارئ. دائماً ما عزف جويس على وتر الصوت حتى في أعماله المبكرة، فنظره كان ضعيفاً حتى وهو طفل. يرتعد جويس من ذكر الحرب، وكره أي نزاع يحدث حوله قائلًا: «أنا شخص مسالم». ومع ذلك، فقد خاض معارك إلى سنة 1926. جلبت لجويس كتاب خمس عشرة معركة عالمية حاسمة لإدوارد شيرد كريسبي<sup>4</sup>، حيث ألقى نظرة على الكتاب، ثم انطلق برفقة عائلته

1 مسخ ذو عين واحد. وهو عنوان الحلقة 12 من رواية يوليسيس.

2 نهر في جنوب غرب فرنسا.

3 دمج بين آنا ليفيا بلورايل وسيكوانا آلهة نهر السين في الديانة الرومانية.

4 مؤرخ إنجليزي (1812 - 1878).

لرؤية واترلو و«الميوزيروم» الخاصة بها<sup>1</sup>. كان خلط جويس للحابل بالنابل في ساحات المعارك من أمتع المقاطع في عمله، حيث نقرأ عن «الليوليومز»<sup>2</sup> و«مؤخراتهم البيضاء، بأحذيتهم وقبعاتهم ذوات القرنين. وكتب إليّ جويس في العام التالي مجددًا من بلجيكا، وحكى لي في رسالة مؤرخة بـ «ذكرى يوم واترلو» أن نادل الفندق قد نصحه بنبيذ زهري اللون «oen bloem» (آن بلوم)<sup>3</sup>. أعد جويس للمعارك في الكتب وكأنها حملات واقعية، وأظن بأنه قد شعر بالإحباط جراء قلة الاهتمام إن لم نقل العداء الصريح لثاني أعظم أعماله. أتساءل، ماذا استلهمه في «ميوزيروم» واترلو؟

أعتقد بأن جويس استمتع في بعض الأوقات بتضليل قرائه، وقال لي إنَّ التاريخ مثل تلك اللعبة التي تمارس في الصالونات حيث يهمس أحدهم للشخص المجاور له، ثم يعيد الآخر ما سمعه للمجاور له بدقة أقل، هكذا حتى يسمع الشخص الأخير الحديث وهو مختلف تمامًا عما قيل منذ البداية. وشرح لي، بالطبع، بأن المعنى في بعث آل فينيغان غامض لأنها «حكاية ليلية». وأتفق معه في ذلك، فالعمل مغبش كبصر مؤلفه.

1 تطرق جويس لمعركة واترلو التي زار موقعها عام 1926 في بعث آل فينيغان، ويرجح أن كلمة ميوزيروم Museyroom هي دمج لثلاث كلمات هي Museum (متحف) و Music Room (حجرة الموسيقى) و Muse (إلهام).

2 أي جيش نابليون، وكلمة ليوليومز Lipoleums هي دمج كلمات Lipos (شحم باليونانية) و Oleum (زيت باللاتينية) و Lip (شفاه-شفاهي) التي تشير إلى غرور نابليون في خطابه بداية المعركة.

3 إشارة إلى ليوبولد بلوم، بطل رواية بوليسيس.

زارني جويس أثناء انشغاله في عمله الجديد طلبًا لبعض النقد، إذ فوجئ بدور من تعاطفوا مع جهوده إبان كتابة يوليسيس. أتذكر في عام 1919 عندما قال لي هارولد مونرو إنَّه كان على جويس التوقف عن الكتابة بعد صورة الفنان في شبابه، ولعل بعض المعجبين بيوليسيس قد قالوا الشيء نفسه عنها.

اعتمد جويس دائمًا على تشجيع السيد ت.س. إليوت اللطيف له، ودائمًا ما عاد مبتهجًا من زيارته إليه، بيد أن الوضع مختلف مع بعض من زملائه في القلم.

## جيمس والثنائي جون

أسهم مغنيان، كلاهما من موطن جويس، في خلق شخصيتي شيم وشون في بعث آل فينيغان.

تأثر المؤلف بجون ماكورماك في مرحلة مبكرة من «تحضيره لعمله». ظهر الرجلان في شبابهما بدبلن في ذات الفقرة في حفل موسيقي، وأعجب جيمس بجون منذ ذاك. تتبع جويس مسيرة جون ماكورماك خطوة بخطوة. لم يفارق جويس أبدًا وهم أنه كان سيصبح مغنيًا. قرأ جويس كل ما ذكر في الصحافة عن أنشطة ماكورماك، وعلاقاته العاطفية، ولعبه للتنس، وطريقته في اللباس وتسريحة شعره المتموجة. لم يعلم ماكورماك أنه كمثل من يجلس أمام جيمس جويس ويرسمه في لوحة.

تحدث جويس كثيرا عن جون ماكورماك حتى حصلت أخيراً على تسجيلاته، أحببت له «دمعة خفية»، وتعلقت أدريان بأغنية «صديقي القديم العزيز»، أما الأغنية التي لفتت اهتمام جويس فكانت «مولي برانيغان». وسألني إن لم ألاحظ تشابهاً لافتاً بين صوته وصوت ماكورماك. قد يعود ذلك إلى طابع الصوت الإيرلندي، بيد أن هنالك تطابق بين الصوتين.

مع ذلك، تغير اسم مولي بلوم برانيغان إلى أنا ليفيا بلورابيل، وكان شون ابن هذه السيدة هو من بدأ بالظهور في «العمل قيد التحضير». وأسهم العديد من الناس في طبيعة الحال بالاحتمالات والتفاصيل الصغيرة المتعلقة بشخصيات جويس، لكن الشخصيات كانت مجرد إكسسوارات، إذ هيمن شخص واحد على العمل. عندما حضرت عزفاً لجون ماكورماك لدى آل جويس، شعرت بأنني قد التقيت بـ «ساعي البريد شون».

كان لصوت ماكورماك ذي طبقة التينور وفنه العظيم أثرٌ لا يقاوم، وصفقت له بحماس كما فعل جويس، الذي سألني إن لاحظت طريقة ماكورماك في المشي الشبيهة بالحمام وهو يهبط من المنصة. لم أجد ماكورماك جذاباً، بجسده الممتلئ وشعره المتموج وطريقته في الانحناء، بيد أنني وجدت افتتاحان جويس به، والمشاعر التي أظهرها وهو يستمع إلى ماكورماك مؤثرة ومدهشة.

أبدى جويس اهتماماً بالغناء، لكن ماكورماك لم يبدُ عليه الاهتمام بالكتابة. تقبل ماكورماك بإعجاب جويس به كإعجاب الآخرين من جمهوره، وأرى أنه لم يهتم بأحد سوى بنفسه. ومع انتهاء جويس من كتابة «شون ساعي البريد»، لم أعد أسمع عن ماكورماك.



ثم جاء مغنٍ آخر، إيرلندي أيضًا واسمه جون أيضًا، كان أشد ذكاءً، واهتمام جويس به فاق الاهتمام الذي أبداه لماكورماك. تطرق كل من إيلزورث ماسون وريتشارد إيلمان لتلك الحلقة من حياة جويس في شهادة نشرت بمجلة ذا أناليس (المحلل) لجامعة نورث ويسترن.

إن الذين عرفوا جويس ولحظوا افتتاحه بالأوبرا ونجومها قد يقارنون بعث آل فينيغان بأوبرا ضخمة، تحوي أوبرا تريستان وإيزولد، وأوبرا وليام تِل - نوعًا من الوسط الجويسى متواجدًا في منطقة «الرعب المحجوب» الخاصة به. وبطبيعة الحال، فإن هذا ليس سوى جانب واحد من الكتاب مع كل شخص وكل شيء فيه، ولكن يبدو لي أنه ذو صفة جويسية خالصة.

تتبع، برفقة يوجين وماريا جولاس، والسيد ستوروات غيلبرت وزوجته، العلاقة بين جويس وجون سوليفان عن كثب، وهي واحدة من العلاقات الاستثنائية في تاريخ جويس.

كان آل جويس من أعظم رواد الأوبرا. إذ حضروا عددًا كبيرًا من عروض الأوبرا في تريستي، وكانوا كما الإيطاليين، متطلبين مع المغنين وكانوا لهم بالمرصاد، كانوا قساة تجاه أي شخص مذنب بالتهرب من الغناء بنعمة (دو) عالية: أخبرني جويس بأن آخر مغني تينور إيطالي كان قادرًا على مجازاة أوبرا وليام تِل قدمات قبل مئة عام، وبذلك، فإن أوبرا وليام تِل لن تؤدي في إيطاليا حتى يظهر بديل. بقي الإيطاليون في انتظار تِل، وكذلك جويس.

احتاج جويس لمساعدة تِل في بعث آل فينيغان وأراد الاستماع إليه في كل ليلة. ولسوء الحظ، لم يحظ مغني التينور في دار أوبرا باريس،

الذي أدى دور غيوم تِل<sup>1</sup> وقدّرهُ الجمهور الفرنسي لنغماته الرخيمة وفنه الفاتن برضا جويس؛ لتقصيره في الأداء بنغمة (دو) عالية، وانزعج جويس منه وأبلغني بعزوفه عن حضور أي عروض مقبلة لغيوم تِل.

ثم جاء يوم تفحص فيه جويس الإعلانات الموضوعية في دار الأوبرا، ورأى اسمًا جديدًا حل محل تِل المعتاد، تِل إيرلندي هو جون سوليفان. تحمس جويس بشدة، وجرى نحو شباك التذاكر وحجز أربعة مقاعد لعرض تلك الليلة. شغل أفراد عائلة جويس أربعة مقاعد في الصف الأمامي، واستمعوا للمرة الأولى لصوت جون سوليفان المهيب مع التوزيع الموسيقي «كاملا كما كُتبت» مثل يولييسيس. انساق جويس مع صوت سوليفان، وقال لي إنَّ صوته تطهيري وذكره بالرجال الذين يجمعون القمامة في الصباح الباكر. حضر جويس جميع العروض التالية لغيوم تِل، وصفق لسوليفان بنشوة من مقعده في الصف الأمامي، ونهض في العديد من المرات للمناداة عليه، وانضم إليه في التصفيق مرشدات المسرح العجائز بقبعاتهن ذوات الخيوط الخلفية؛ إذ جاد عليهن جويس ببقيشيش سخّي يجعلهن يصفقن لأي شخص. وشكّل أصدقاء جويس في جميع أرجاء دار الأوبرا مجموعة «تصفيق بالأجرة». حضرنا جميعًا عروض غيوم تِل، وقدرنا جميعًا جون سوليفان، وملاً جويس المسرح بمعجبي سوليفان ومعجبيه بالطبع. أحبت أوبرا وليام تِل، أما الآخرون، الذين لا يعدون من رواد الأوبرا أساسًا، فقد «حضروا وكانهم مرغمون على ذلك».

1 غيوم هو الاسم الفرنسي المعادل لوليام.

بدا جون سوليفان، الرجل الوسيم الضخم، مثل إله وامتلك صوتًا ذا نطاق هائل، صوتًا مدويًا مصدره موطن وليام تِل في قمم الجبال. وكان ممثلًا غير مكترث، ولم يبدُ مهتمًا في الشخصية التي جسدها. وكان ذا هوى مهني، ولم يفعل ما يرضي الجمهور بل ما يرضيه هو. افتقر سوليفان على المسرح لدفع وسحر ما كورماك، ولم يملك صفتًا مسرحية.

عانى كل من جيمس جويس وجون سوليفان ما تصوره اضطهادًا. بإمكانكم قراءة مقال جويس «رسالة من كاتب ممنوع إلى مغنٍ ممنوع» (في الواقع، أظن أن من حسن الحظ منع يولييسيس. لأنه لو لم يحدث ذلك لانتظر الكاتب عدة مئات من الأعوام كي يصبح مشهورًا على نطاق أكبر من مجموعة صغيرة تسعى وراء يولييسيس. لكن جويس دائمًا ما اعتبر نفسه ضحية للاضطهاد. تساءلت إن كان كذلك في يوم ما). لم يؤدِّ سوليفان غناء التينور بذلك القدر من السوء في دار أوبرا باريس، بيد أنه كان عليه الأداء في مسرح المتروبوليتان أو في مسرح لا سكاللا، وكان جويس محققًا في ذلك. كان سوليفان واحدًا من أعظم مغنِّي عصره بحق، لكنه من الواضح أنه قد وقع ضحية للدسائس في العالم الأوبرالي وتعرض للنبد.

استمع جويس بتعاطف إلى حكايات سوليفان عن تعرضه للظلم. أصبح الكاتب الممنوع والمغني الممنوع صديقين مخلصين. واعتاد آل جويس وآل سوليفان - بعد كل عرض لغيوم تِل وأوبرا لي هيوغونوز، التي أدى وغنى سوليفان فيها دور راؤول - الذهاب إلى كافييه دي لا باي برفقة أصدقائهم وتناول العشاء. وكان المغني، خارج المسرح، ذا شخصية جذابة، ومتأثرًا بشدة لصداقة جويس وإصراره على نيل اعتراف العالم به.

لم يوافق جويس يومًا على إجراء الحوارات، لكنه وافق على التحدث مع المراسلين عن سوليفان. كل العظماء الذين عرفوه ولكنه لم ينحن لهم فأضحوا يتقربون للتعاقد مع سوليفان. اتخذ جويس قراره بإيصال سوليفان إلى مسرح المتروبوليتان، لكن جهوده لم تثمر عن نتيجة. رأيت عددًا من الردود تجاه التماسات جويس: قالوا على الدوام إنهم يسعدون بفعل أي شيء من أجل جويس، ولكن يؤسفهم عدم قدرتهم على فعل شيء من أجل صديقه.

أخشى أن أساليب جويس المغالية في دار أوبرا باريس قد سببت ضررًا أكثر منه نفعًا؛ فقد أثارت أعصاب مدير الدار، وأثارت مشاعر الغيرة والوطنية. استبدل سوليفان بمغني تينور آخر في دور وليام تِل، وأرغم جويس على البقاء بعيدًا عن الأوبرا مجددًا. فزع سوليفان جراء إقصائه فعليًا من برامج أوبرا باريس. والتمس جويس إلينا كي نتصل بشباك التذاكر وحجز مقاعد عرض غيوم تِل، وربما جميع المقاعد. لكننا أوضحنا أملنا في سماع سوليفان في دور تِل، وفي حال إبلاغنا أنه ليس سوليفان من يؤدي الدور، فسنلغي الحجز. حدث ذلك كثيرًا حتى أن العاملين على الشباك قد انزعجوا وتوقفوا عن الرد على الهاتف.

أصبح جويس مهووسًا بقضية سوليفان، وازداد إلحاحه كلما ازداد فشله. تعبت السيدة جويس من الوضع حتى أنها حرّمت ذكر اسم سوليفان في المنزل.

## بعيدًا، بعيدًا...

شئت القيام بكل ما بوسعي فعله لجويس، لكنني أصررت على قضاء عطلات نهاية الأسبوع بعيدًا، وواجهت صراعًا مع جويس في كل يوم سبت يتعلق بمغادرتي إلى الريف. ولولا وقوف أدريان بجانبني، لما كنت طليقة. دائمًا ما يفكر جويس في إسناد مهام إضافية لي مع اقتراب يوم السبت وعادة ما يبدو وكأنه سيكسب، بيد أن أدريان وصلابتي في التمسك بقضاء السبت في الريف كانا سلاحني في المقاومة.

قضينا عطل نهاية الأسبوع في منزل والدي أدريان الواقع في منطقة روكفوار بإقليم أور ولوار. كانت الطريق المؤدية إلى المنزل تمر عبر بلدة شارتر - حيث يمكنكم رؤية الكاتدرائية عبر الحقول المنبسطة غير المشجرة في ريف بوس المعروفة بإنتاج القمح. (تفسير رابليه لافتقار ذلك الريف للأشجار يبدو مقبولًا: فالخيول التي امتطتها شخصيات رابليه في روايته غارغنتوا وبانتاغرويل قد حفت بذبولها فتسببت باقتطاع جميع الأشجار).

كان آل مونييه على مبعدة من أي بلدة، ولم يبدووا أي حاجة إلى هاتف أو سيارة أو إلى أي وسيلة من وسائل الراحة. وعلى الجانب الآخر، فإنهم يسعدون بأي فرصة لمقايضة السقف المصنوع من القش

مقابل البلاط، ولحسن الحظ لم يحدث ذلك، إذ كنت مغرمة بتلك الأسقف من القش الرمادي وداعبني آل مونييه بسبب ذائقتي الأميركية التي تفضل أي شيء غير مألوف. أفترض أنه لو كان لديك الوفير من شيء ما في حياتك، فأنه لن يحظى بنفس القدر من الجاذبية.

قضينا أيام الأحد في حديقة بروكفوان، حيث بسطت شجرة دردار، وهي واحدة من الأشجار النادرة في الإقليم، وكأنها مظلة. ونمت في مواجهة الجدار ثمار الدراق والكمثرى على هيئة تعريشة. وتواجدت الأزهار والدواجن والطيور والقطط، وكلبان هما تيدي وموس.

لم تكن هناك دورات مياه في روكفوان، حيث يأتي الماء من مضخة - أو يمكنك عبور الحقول والانضمام إلى الكلاب في النهر الصغير.

كان من السهل الوصول إلى المكان الذي قضينا فيه عطلات نهاية الأسبوع إن لم تمنعوا السير لمسافة ثلاثة أميال سيرًا من أقرب محطة قطار. ما اعترض عليه جويس هو معتكفنا الجبلي، لو ديزير، حيث قضينا العطل الصيفية. فمع اقتراب لحظة المغادرة إلى الجبل، يدخل جويس في حالة من الرعب، ويقدم إليّ في اللحظة الأخيرة ما أسماها «قائمة البقالة»، تحوي كل ما يريدني فعله من أجله قبل أن أترك المدينة. «حجج وطلبات عديدة!» لم أسمح أبدًا لأي شيء أو لأي شخص أن يتدخل بشأن رحلتي إلى جبال الألب، لكنها كانت مباراة ضد خصم صعب المراس.

أنا مدينة لآل مونييه في اكتشاف لو ديزير؛ انحدرت عائلة والدة أدريان من هذا الجبل، حيث تناثرت على منحدراته العديد من القرى الصغيرة التي تمتعت كل منها باسمها الخاص وجميعها تنتمي لمجتمع لو ديزير. احتوت العاصمة، إن أمكن تسمية المركز هكذا، على محكمة ومدرسة ومكتب بريد جميعهم في مبنى واحد، ويشمل أيضًا متجرًا عموميًا ودكان تبغ وإسكافيًا وحانة. ومن أجل الوصول إلى ما تبقى من لو ديزير، كان عليك تسلق الجبل، حيث تواجدت قرية في كل منحدر. وعند آخر مرتفع شديد الانحدار ستجد نفسك في بلاتودي لا فيكلاز، حيث يمضي القرويون برفقة قطيعهم صيفًا، ويقودون عربات تجرها الثيران حاملة الأواني إلى المصايف، وتحمل كل عربة إلى الأعلى هناك شاليهًا من القش أو جزءًا منه.

قضينا عطلتنا في هذا البلاتو، وما اعتبره جويس عوائق كالارتفاع، حوالي أربعة آلاف قدم (كان يخشى الأماكن المرتفعة)، وصعوبة الوصول، والافتقار للتسهيلات البريدية والمواصلات ووسائل الراحة العصرية كانت هي الأمور التي أحببناها في لا فيكلاز. لم نبال حتى بالرحلة المنهكة التي تتطلب الوصول إلى هناك: رحلة ليلية على متن ما أسمته خدمة السكك الحديدية على سبيل المفارقة «قطار المتعة»، وهي رحلة خاصة عبر القطار لإيصال المنحدرين من إقليم سافوا إلى موطنهم في الجبل للمساعدة في حصاد المحاصيل. لا أحد سوى المنحدرين من ذلك الجبل الذين اعتادوا على قطع تلك المسافة إلى باريس على قباقيهم الخشبية المحشية بالقش للحصول على عمل قد يسافر على ذلك رحلة ذلك القار التي وصفت بالمتعة. بيد أنهم كانوا جدلين ويغنون طوال الوقت، وألقيت نظرة ثاقبة على أصدقائي من أهالي إقليم سافوا.

تنتهي الجولة الأولى من الرحلة في الصباح الباكر عند شامبيري، ثم يتبقى ما هو أكثر إرهاقًا وتشويقًا: تسلق الجبل، حين يسود الظلام ونصل لو ديزير على متن عربة يجرها بغل.

تحولت الحانة التي زرتها في أوّل إجازة صيفية في لو ديزير برفقة أدرينا ومدام مونييه إلى نُزلٍ بمجرد الانتهاء من بناء الطابق الثاني ووصول الأسرّة، فنمنا على القش في غضون ذلك. هبت الرياح شديدة البرودة بسبب الارتفاع أعلى مخزن التبن، ومرت في المسافة المفتوحة بين السقف والمنزل الذي بقينا فيه، صممت تلك المسافة للإبقاء على القش جافًا. كانت رائحة القش منعشة، رغم تواجد الأنصال بينها والتي قد تلامس الأذان كإبر الحياكة والتطريز. ستسعد العائلة وأبناء عمومتنا لمشاركة غرفتهم معنا بيد أن الغرفة مشغولة بأربعة أشخاص سلفًا.

استضافنا زوجان من السكّان بعد الصيف الأول، واقتطعا جزءًا من مخزن التبن كي يصبح غرفة نوم صغيرة لنا. أقيمت الغرفة فوق الإسطبلات مباشرة، وكنا نصعد للغرفة عبر سلم خارجي، وأتاح لنا موقع الغرفة عدم تفويت الأحداث المهمة التي وقعت في الإسطبلات، مثل توليد بقرة لعجل بحضور الجميع في الثالثة صباحًا وعلى ضوء المصباح، وتعرض خنزير للدهس من قبل بقرة في منتصف الليل وخياطة جروحه بالغرز - انتحبت امرأة، وقالت إنّ الخنزير قد لوح بإحدى كفوفه وكأنه يقول «أزيو، أزيو» (أي أديو - وداعًا - بلهجة سكان الجبل).

تُفتح أبواب الإسطبل في مطلع الفجر، وينهال القطيع خارجا وكأنه جمهور يغادر المسرح، وتقوم ابنة عم أدريان، فين، بحشو أجراس الأبقار بالأوراق كي يتجنب استيقاظنا، لكن نباح الكلب وهو يدفع بالقطيع إلى الحقول هو ما يوقظنا - هل بإمكانها كتم صوت الكلب؟



اقتطعت زاوية من مخزن التبن واتسعت لسريرين فقط، وصار الجزء المخصص للتبن غرفة لتبديل الملابس، أما طاولة الزينة فكانت صندوقاً احتفظت فيه فين بدجاجة أو اثنتين لتسمينهما من أجل عشاء يوم الأحد، وعندما تقع فرشاة أسناني داخل الصندوق بين شرائح الخشب على تلك المخلوقات المسكينة، تزعق ما إن أحشر يدي في داخل الصندوق بحثاً عن الفرشاة.

بني الشاليه، كحال بقية الشاليهات، على يد المالك، الذي صنع الأثاث بنفسه أيضاً - أسرة، طاولة، مصطبة، مقاعد، كرسي أو اثنان. وعلى أسفل السقف المصنوع من القش، بنيت غرفة صغيرة على الطابق الأرضي، خصصت لتكون غرفة للمعيشة من خلفها مقصورة مخصصة للنوم. ووضعت في الجانب الشمالي من المنزل خزانة ملصقة بثقب في الحائط للتهوية حيث يحتفظون بالطعام، وكانت كفاءتها بقدر الثلاجة. وكانت إضاءة غرفة المعيشة خافتة بفضل نافذة صغيرة، وعلى يمين باب المنزل يقع باب الإسطبل، الذي كان أكبر الغرفتين، وأمام باب الإسطبل كومة من الروث. ووضع المرحاض بجانب الشاليه بجوار الطريق، حيث يمكنك التحدث مع العابرين. كانت فين طاهية رائعة، بيد أنه لم تكن هناك لحوم آنذاك، إذ عشنا على تناول الحساء والمعكرونة والبيض والزبدة التي تخضعها فين نفسها، والبطاطس ونوع من الأجبان المصنوعة في سافوا تدعى «توم».

كانت الشاليهات الصغيرة المتناثرة حول البلاتو عرضة للعواصف الرعدية التي ترعب السكان، الذين إن ضربت صاعقة بأحدهم حتى يشتعل سقف القش فتضطر للقفز خارجاً قبل أن تحاصرك دائرة من اللهب مع وقوع السقف، وعليك أن تُخرج القطيع - لم يبارح الرجال

أبواب الإسطبلات مع استمرار العاصفة قط. ولم يحاول أحد إنقاذ أي من متعلقاته الشخصية. لم نذهب إلى الفراش ذات ليلة صيفية عاصفة، وأوقدت فين شمعة نذرًا للسيدة العذراء، وبقي زوجها قرب الإسطبل وبيده مصباح مشتعل، ضربت الصاعقة في تلك الليلة ثلاثة شاليهات في لو ديزير، ولم يتبقَ منها سوى كومة من الحجارة.

يجتمع الجيران معًا ليلاً مع انتهاء العمل، وجرت النقاشات المفعمة بالحيوية باللهجة المحلية، كان أولئك الجيليون يتوقدون حماسة. وكانت أدريان تتقن اللهجة المحلية، بينما حاولت مجاراتها. هبطت عربة قش من أعلى الجبل محملة بنباً محزن؛ وقعت بقرة في جرف شديد الانحدار، ما أجبر جميع الرجال في البلاطو على سحبها بالحبال من الحافة التي هبطت عليها. لا علاقة ببعض الأبقار الصغيرة بحكاية الثور فيرديناند<sup>1</sup>. يتطرق الجيليون في بعض الأحيان لموضوع الساحرات، وفي حال كان المزاج رائقاً فإنهم يتحدثون عن الممارسات الغريبة. ثمة عجائز - لم تُذكر أسماؤهن في المناقشات، بيد أن الجميع يعلم هوياتهن - دائماً ما «مارسن السحر» واعتبرن مسؤولات عمّا يجري لك، كأن يحمل جارك ضغينة تجاهك، أو يموت أحد عجولك، أو أن الممخضة لا تنتج الزبدة، حينها ستدرك أن جارك قد التقى بإحدى أولئك العجائز.

إن أردت إبطال المشكلة، فالفكرة الجيدة هي سلق العديد من الأظافر الصدئة في قدر، أو خلع بعض الألواح الخشبية من أرضية الإسطبل لرؤية ما إن يستقر في أسفلها ضفدع الجبل. تضايق والد أحد

---

1 قصة للأطفال عن ثور يفضل شم الأزهار على المصارعة، وكتبها الأميركي مونرو ليف في عام 1936، وتحولت إلى فيلم كارتوني عام 2017.

أصدقائنا من الحشرات - لبس بعد ساعة قميصًا نظيفًا امتلأ بعدها بالحشرات، ثم لاحظ امرأة مسنة تعبر بجوار المنزل، ثم هرع خارجًا وحاصرها بذراعه وهدد بضربها ما لم تُزل اللعنة التي وضعتها عليه، ارتاعت المرأة حتى أومأت بإشارة ما، ومنذ ذلك الحين لم يعانِ الرجل من قملة واحدة.

اضطرت الكلاب، كحال الجميع، إلى العمل لكسب العيش في لو ديزير، ولم يُغسل شعرهم الأشعث أو يمشط أبدًا. وقضوا أيامهم ولياليهم، صيفًا وشتاء، في الخارج. إذ كان عليهم مراقبة الأبقار، والاندفاع خلف أي بقرة تضل طريقها والنباح بشراسة. أبقى الرعاة من السيدات والسادة كلابهم رهن الإشارة بحزم، ويا لبلاء ذلك الكلب الذي لا يقفز استجابة لنداء سيده أو سيدته «آ.. كولا»! - ذلك ما بدا لي أن سمعته على الأقل.

من علامات أن الكلب من سلالة نوع أصيل من كلاب الراعي (شيرد) عندما يمتلك عينًا زرقاء وأخرى رمادية.

قضينا أيامنا في التجوال حول غابات الصنوبر الشاسعة صعودًا ونزولًا عند التلال، مستمعين برفقة «شيف»، الذي لا يستطيع القراءة أو الكتابة - كان يوقع اسمه بعلامة الصليب.

أدت البرقيات دورًا صغيرًا في حياة أهالي لو ديزير، بينما كانت مهمة بالنسبة إلى جويس. يجلب ساعي البريد البرقيات مع بقية البريد في جولاته اليومية، ولم يحدث أن أحدًا ما قد ترك عمله في المزرعة كي يجلب برقية في الأعلى إلى فيكلاز، وفي حال ورود برقية، فإنها تعلن فقط عن وفاة، ما يعني أنه كلما طال وقت ورود برقية فذلك أفضل. تلقيت ذات مرة برقية تسببت بذعر وكدر للمرأة التي كانت

معنا جعلتني أتوسل مرسلها، جويس، بالتواصل مستقبلاً عبر البريد فقط. سلم ساعي البريد البرقية للمرأة، وقلقت بشأن كيفية نقل الأخبار السيئة إليّ، وأخفت البرقية في مئزرها وذهبت لسؤال أدريان عما تفعله بالبرقية، ثم تناولت زجاجة شراب لحالات الإغماء تحتفظ بها لتلك المناسبات. فتحت أدريان البرقية وقرأتها، كانت من جويس وذكر فيها عنوانه البريدي المؤقت.

## أسلوب حياة جويس

تلقيت معظم رسائلي من جويس بطبيعة الحال أثناء عطلاتي الصيفية أو أثناء سفراته الخاصة، ودائمًا ما طالبني بورود الإجابات «غدا»، أو «عبر البريد السريع». كانت القاعدة في مراسلاته هي طلبه للمال، واعتاد تدبُّر أمره بواسطة ميرسيني، التي تبقى لتدير شؤون شكسبير أند كومباني عندما أكون بعيدة، وتعلم ميرسيني تمام العلم، أنه علينا الاعتناء بمؤلف يولييسيس سواء إن تبقى في حسابه شيء أو لا.

كانت نفقات جويس ثقيلة، بطبيعة الحال، مع عائلة من أربعة أفراد، وبجانب ذلك، فقد استمتع بالإنفاق بقدر ما يستمتع بعض الناس باختزان السلع. قال لي ناشر زائر، بعد تناوله العشاء مع جويس، أنه «ينفق المال كبحار ثمل». شيء من الغريب قوله عندما تحل ضيفاً على أحد، حتى وإن كان صحيحًا.

اعتاد جويس السَّفَر مع عائلته إلى الأماكن التي ترتبط بالعمل الذي يكتبه. وأرسل إليّ من بلجيكا سلسلة بطاقات بريدية عليها نسخ طبق الأصل من لوحات جدارية، وكتب أنه يحرز تقدمًا في اللغة الفلمنكية

- تلقى درسه الأربعين فيها - وأنه قد أتقن الهولندية. عبر آل جويس القناة للقاء بالآنسة ويفر والسيد إليوت وتشارلز شقيق جويس وفرانك بودجن، صديقه القديم منذ أيام زيورخ. وفي بعض الأحيان يرافق ستورات غيلبرت وزوجته آل جويس، ومع ذلك، فإنهما لا يقيمان مع آل جويس في فندق بالاس المحلي، إذ قال ستورات غيلبرت إنه لا يستطيع تحمل التكاليف. حتى آل جويس لا يستطيعون ذلك.

تدبرت وأدريان التزاماتنا عبر العيش بأبسط طريقة، بيد أن جويس أحب مجارة الموسورين - وقد ذهب في ذلك بعيداً، ولا شك في أن وضاعة البيئة التي أحاطته في شبابه قد تركت أثراً. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه اعتبر نفسه صاحب حق في البجوحة المادية، بسبب إنجازاته وسمعته، وهو محق في ذلك، وأنفق الأموال بلا حساب، وبذرها لا على نفسه، بل على الآخرين، ولم يستكثر شيئاً على نورا والأطفال، الذين إن سافروا، فإنهم يسافرون على نمط الدرجة الأولى.

عندما تفكر في عمل جويس الشاق، فستجده لم ينل ما يستحقه مادياً، وكان محقاً في أن سنوات الفقر لا بد من أن تتلوها أعوام مزدهرة، وإلا لصار مؤلفاً من نوع آخر.

اعتاد جويس وعائلته في باريس تناول العشاء يومياً في الخارج، وكان مطعمه المفضل - أوائل العشرينيات - هو مطعم لو تريانون المقابل لمحطة مونبارناس، وكان المالك والموظفون متفانين في خدمة جويس، ويستقبلونه عند باب مركبة الأجرة قبل أن يحط ويرافقوه إلى طاولة محجوزة له في الخلف، حيث يكون أقل عرضة للمضايقات من قبل الأشخاص الذين يأتون ويحدقون فيه وهو يأكل، أو يجلبون معهم نسخاً من أعماله كي يوقعها.

يقرأ رئيس النادل على جويس قائمة الطعام ليوفر عليه عناء إخراج عدة أزواج من النظارات وربما العدسة المكبرة. تظاهر جويس بالاهتمام بالأطباق الفاخرة، لكن الطعام لم يعن له شيئاً، إلا في حال ما كان مرتبطاً بعمل يكتبه. وألح على عائلته وأصدقائه الذين قد يشاركونه العشاء في اختيار أفضل ما في القائمة من طعام، وأحب لهم تناول وجبة دسمة، وأقنعهم على تجربة أنواع مختلفة من النيذ، بينما هو نفسه لا يأكل إلا نادراً، ويرضى بأبسط أنواع النيذ الأبيض طالما توافر الكثير منه ويشعر بالعطش ساعة العشاء ولم يشرب قطرة واحدة أبداً طيلة اليوم، فيحرص النادل على إبقاء كأسه ممتلئاً. يجلس جويس في المطعم مع عائلته وأصدقائه لساعات طوال حتى تقرر نورا المغادرة، وبطيعتها وفق تفاهم بينهما، تفاهم من بين تفاهمات عديدة بين الثنائي الذي فهم بعضه البعض جيداً.

كان جويس يستقبل استقبال الملوك أينما حلّ بسبب شخصيته الساحرة واعتباره للآخرين، ويهرع النادل لمرافقته كلما أراد النزول من السلم والذهاب إلى حمام الرجال. جذب بصره الضعيف العديد لمساعدته.

اشتهر جويس بالبقيش الذي ينفحه للندل، والصبي الذي ينادي له مركبة الأجرة، ولا بد أن جميع من خدموه قد تقاعدوا ومعهم ثروة. لم أتذمر يوماً حيال مسألة البقيش، ولكن ولعلمي بظروفه، بدا أن جويس قد بالغ في البقيش.

يعلم كل من حلّ ضيفاً في منزل جويس مقدار الضيافة والتسلية التي يمنحها جويس لضيوفه، حيث يستفيض في العشاء الذي يجلبه أفضل المتعهدين ويقدمه نادل. يملأ جويس طبق ضيفه ويملاً كأسه بنيذ

من نوع سانت باتريك - كلو سان باتريس - الذي أرسل إلي ذات مرة صندوقاً منه. ومن أنواع النيذ المفضلة إليه كان نيذ البابا - شاتونوف دو باب - وجميعها، بالطبع، على حساب اتحادات صناعة النيذ، ويبقى جويس في خزانته عدة زجاجات من النيذ الأبيض الخاص به. نصر بعد العشاء على جورج، أو جورجيو كما اعتاد أن يُنادى، أن يغني لنا. ورث جورجيو موهبة العائلة: الصوت الجميل، وهذا مصدر رضا لوالده. فيغني لنا جورجيو إحدى أغنياته المفضلة مثل «كَنزِي»<sup>1</sup>، إحدى أغنياتي المفضلة أيضًا.

من الضيوف القلائل المدعوين إلى تلك الحفلات في السنوات الأولى ثنائيان أميركيان هما السيد ريتشارد والاس<sup>2</sup> وزوجته، والسيد مايرون نوتغ وزوجته. كان نوتغ فنانًا، وأتساءل عن مصير اللوحة التي رسمها عن جويس والتي أحببتها على الدوام. ومن المدعوين في تلك الفترة المبكرة أيضًا فيرنانديز، صديق جورجيو، والتي ترجمت شقيقته إيغا مجموعة جويس القصصية أهالي دبلن.

ساعد كل من يوجين جولاس وزوجته ماريا جويس في جعل حفلاته مفعمة بالحياة عندما ظهرا في المشهد بمنتصف العشرينيات؛ بصوت ماريا الذي كان يؤهلها لمسيرة غنائية، وطرب جويس لذخيرتها الفنية الأميركية، وعلى وجه التحديد أغنية داوم على طلبها هي «وداعًا تيتانيك»، أنشودة قد تكون مثيرة للاشمئزاز لكنها أخاذة ومثيرة

1 من أوبرا دون جيوفاني لموزارت Il mio tesoro.

2 فنان أميركي (1872 - 1927).

للإعجاب بصوت ماريا الدرامي ذي طبقة السوبرانو. لاحظت أن جويس مأخوذ بأغان أخرى بصوت ماريا، ومنها «آن الخجولة»، ولعله ربط الشخصية المذكورة في الأغنية بشخصيته الروائية أنا ليفيا.

يختتم جويس الحفل مدفوعا بإقناع الحضور له على غناء بعض الأغاني الإيرلندية، فيجلس على البيانو ويرخي أصابعه على المفاتيح ويغني بصوته الجميل ذو طبقة التينور، وتصاحبه تعبيرات وجه التي لا يمكن لأحد أن ينساها.

لم يفشل جويس يوماً في تذكّر أعياد ميلاد الآخرين، ويرسل باقات الورود الضخمة في جميع المناسبات كالكريسماس. وكانت الورود والألوان في باقاته تشير إلى العمل الذي يكتبه في حينه. وتلقت أدريان منه بعد نشرها «أنا ليفيا بلورا بيل» في مجلة السفينة الفضية سمكة سالمون باردة ومتبلة بسخاء اشتراها من محل بوتيل أند شابو، وحتى هداياه إلى نورا كانت ذات علاقة بكتبه.



## يوليسيس تذهب إلى أميركا

فاقت جهود جويس وتضحياته مكتسباته المالية، وهذا شيء مؤسف لعبقري مثله. ودائمًا ما فاقت نفقات جويس دخله، ما سبب له ولشكسبير أند كومباني بلحظات من الذعر. تخيل الناس، على الأرجح، أنني جنيت أموالًا طائلة من وراء يوليسيس، وأن في جيب جويس مغناطيسًا جذب الأموال نحوه. بينما في الواقع كنت مثل أغنية سيلفستر «كلما حاولت أكثر، بطريقة ما أو بأخرى، فإنني أجد صعوبة في تدبر المال». لم يقل لي أحد يومًا «يمكنك الاحتفاظ ببقية النقود يا سيلفستر». كنت متفهمة منذ البداية أن العمل مع أو لجويس ستكون المتعة كلها لي - متعة لا نهائية، أما الأرباح فستعود إليه. حصل جويس على جميع ما كان متوفرًا، وما حاولت تدبره، لكنه كان كل ما استطعت فعله دون تعرض مكتبتي للغرق في بحر الديون.

طلب جويس من وكيله الأدبي في لندن جيمس بينكر، وهو في حالة إحباط من القرصنة في صيف 1931، أن يحصل له على عروض لنشر يوليسيس في الولايات المتحدة. جاءت العروض، لكن معظمها من دور نشر مختصة بالإيروتيكا، وأتذكر أن دار نشر واحدة ذات سمعة جيدة قد قدمت عرضًا، هي دار النشر التي نشرت أعمال جويس السابقة والتي تعود للسيد هوبش، لكنها عرضت إصدار طبعة مهذبة

من يولييسيس، وبطبيعة الحال فإن جويس لن يقبل بذلك. أسفت كثيرًا لأن يولييسيس لن تتواجد في قائمة إصدارات السيد هويش بجانب «صورة الفنان في شبابه» و«أهالي دبلن». بدت جميع العروض من الناشرين الراغبين بيولييسيس والتي جلبها بينكر لنا غير مثيرة لاهتمامي أو لاهتمام جويس، ولم تعجبنا النبذة التي كتبت بها تلك الرسائل.

وصلت العروض إلى عنوان شكبير أند كومباني بوصفها ممثلة لجويس في باريس لا بوصفها ناشرة له، ومن الواضح أن هذا قد حدث وفق إرشادات جويس لبينكر. كان الأمر بالضبط وكأنهم يقدمون طلبًا لنشر مخطوطة لا كتاب مر على نشره عشر سنوات تقريبًا، لم تبدُ الطريقة التي جرى فيها الأمر صحيحة، وانتظرت رأيًا من جويس لكنه لم ينطق أبدًا. كنت أتوق بقدر ما كان جويس تواقًا لرؤية يولييسيس، أعظم الكتب المعاصرة، وهي تصدر في البلدان الناطقة بالإنجليزية، ومتحررة من وصمة العار الملتصقة بها «كتاب ممنوع»، وأن تتوافر للعامة. لم يخطر لي أنني قد أتلقي شيئًا في حال تدبر اتفاق ملائم لنشر يولييسيس في بلادي - حتى أدركت أنه لم يخطر في بال أحد غيري أيضًا. ثم سخطت من أمر تجاهلي، فأخبرت جويس بذلك، وأشرت إليه أنه من الأفضل ألا أبدو وكأنني أريد التخلص من يولييسيس وكأنها بضاعة كاسدة، وسألته إن كان عليّ أن أطلب مقابلًا للرواية. لم يشجعني جويس أو يشبطني عن ذلك، لذا، وفي جوابي إلى العرض التالي قلت إنني أتوقع مبلغًا للتنازل عن حقوقي، فكتب لي الشخص الذي قدم العرض مستفسرًا عن المبلغ الذي أطلبه، فقلت: خمسة وعشرون ألف دولار. انفجر ذلك الشخص وجميع من رأوا مراسلات بينكر عندما ظهرت للعلن ضحكًا (شرحت لجويس إن هذا الرقم كان الدليل الوحيد

على اعتزازي بالكتاب). ولم يحدد التاجر عما يعتبره مبلغًا عادلًا حينما سألته، لم يظن أحد أن مطالبتني كانت جادة.

إلا أن هناك ثمة استثناء واحد مهم، عرض عليّ السيد هوبش بلطف أن يدفع لي حق امتياز، لكنني لم أقبل بذلك لأنه سوف يقطع من حقوق امتياز جويس. لم يخطر ببالي فعل ذلك لحظة، ولا جويس، وأراني مصيبة في ذلك.

لم تكن مسألة العقود ذات أهمية بالنسبة لي ولجويس، وذكرت الموضوع له عند نشر يوليسيس، لكنه لم يود سماع الموضوع ولم أبال بعدها بذلك، فلم أعاود السؤال مجددًا. لكن عندما صدرت قصائد الواحدة بينس في عام 1927، طلب مني جويس صياغة عقد، وطلب فجأة في عام 1930 عقدًا ليوليسيس أيضًا. تمت صياغة العقدين وفق رغبة جويس، وقراءهما ووافق عليهما ووقعهما. كانت ورقة عقد يوليسيس مختومة، ولم يشهد عليها محام، لكن لم يبدُ عليّ أحد أن ذلك كان ضروريًا.

أظن أن غاية جويس في توقيع تلك العقود على نحو مفاجئ قد تعود إلى رغبته في إثبات أمر أشغله، ألا وهو أن حقوق يوليسيس تعود إليّ أنا لا جويس. وأظهر جويس بوضوح في رسالة إلى محام يقاضي أحد مقرصني يوليسيس أن يوليسيس هي ملك لسيلفيا بيتش. لم أر تلك الرسالة إلا في وقت لاحق.

توقفت العروض المتعلقة بصفقة يوليسيس عن القدوم، ولم أر جويس لبرهة. لكنني رأيت صديقًا قديمًا له على نحو يومي تقريبًا، ويزورني آتيا من حي روبيك ليبيدي وجهة نظره عن الناشر الجديد ليوليسيس، وحثني على التنازل عما تخيلته مطلبًا لي. فسألته يومًا ما

«لكن ماذا عن عقدنا؟»، «هل هو من وحي الخيال؟»، فقال الصديق الذي كان شاعرًا حملت له تقديرًا من سنوات المراهقة «هذا لا يعد عقدًا»، «عقدك لا وجود له». ثم صدمني بتعليق بعدما نقضت قوله «إنك تقفين بوجه مصالح جويس». هذا ما قاله.

هاتف جويس بمجرد أن غادر ذلك الصديق المكتبة، وأخبرته أنه حر في التصرف بيوليسيس بالطريقة التي تناسبه وبأنني لن أقوم بأي مطالبات أخرى.

أظن بأن جويس كان في خضم مناقشات عبر شخص من عائلته مع دار نشر راندوم هاوس، ولم يبلغني أحد عن ذلك، وبما أن الكثير من الأمور كانت على المحك، كانت طريقة جويس في نشر يوليسيس في أميركا هي الطريقة الأفضل.

أعلمني جويس بنفسه عند ظهور يوليسيس في أميركا - بطبعة فاخرة من راندوم هاوس، وتلقيت نسخة منها، بعد تبرئة القاضي جون وولزي للعمل العظيم - أنه قد تلقى خمسة وأربعين ألف دولار من الناشر. أعلم بحاجة جويس الشديدة للمبلغ، بسبب تزايد تكاليف علاج ابنته المريضة، وتدهور بصره. فرحت بالثروة الجيدة التي حصل عليها جويس، والتي ستضع حدًا لمشاكله المالية، أما عن مشاعري الشخصية، فلا يمكن للمرء أن يكون فخورًا بها، ويجب التخلص منها عندما لا تخدم غرضًا.

لم يعد عليّ العقدان اللذان وقعتهما بفائدة، وتطرق الذكر لهما في ترتيبات مع شكسبير أند كومباني في حال استحواذ ناشرين آخرين على يوليسيس وقصائد الواحدة بينس، بيد أن انتقال العملين جرى بمستقل عن الناشر الأصلي. ومع ذلك، وفي حالة يوليسيس، تركت لجويس الحرية في التصرف. وفي النهاية، فهي كتب جويس، ويعود نسب الطفل إلى الأم لا القابلة، أوليس ذلك؟

حاول جويس إقناعي بإصدار طبعة قارّية من يوليسيس، لكنني لم أهتم بالفكرة؛ كنت في ضائقة مالية، وما يعني أيضًا استمرار خدماتي له - والتي كانت مستحيلة بسبب شعوري بالتعب وحاجة المكتبة الشديدة لي. وزارني في حينها أحد أعضاء مطبعة أوديسي، وقبل بلهفة اقتراحي بطلب موافقة جويس على إصدار طبعة قارّية ليوليسيس. أعتقد أن مطبعة أوديسي هي فرع لمنشورات تاوشنيتز، والتي أصدرت صورة الفنان في شبابه سابقًا. قبل جويس العرض المقدم من مطبعة أوديسي، وأبلغتهم أن عقدي مع جويس كان مجرد مسألة بينهم وبينه، بيد أن أولئك المحترمين أصرّوا على منحي حق امتياز، ووافقت عليه بما أنه لا يكون على حساب حقوق جويس. كانت نسخة مطبعة أوديسي جذابة جدًا، وصحح أخطاءها ستيوارت غيلبرت.

انتقلت العديد من الشؤون المتعلقة بجويس في غضون ذلك من شكسبير أند كومباني إلى صديق جويس المقرب بول ليون، والذي اعتنى بأعمال جويس منذ تلك اللحظة فصاعدًا.



MEMORANDUM OF AGREEMENT made this ninth day of December, 1930 BETWEEN James Joyce, Esquire, c/o Shakespeare & Co., 12 Rue de l'Odeon, Paris (Hereinafter called the Author) of the one part and Miss Sylvia Beach, Shakespeare and Company, 12 Rue de l'Odeon, Paris (Hereinafter called the Publisher) of the other part, whereby it is agreed by and between the parties as follows:

THE AUTHOR HEREBY AGREES:

1. To assign to the Publisher the exclusive right of printing and selling throughout the world, the work entitled ULYSSES.

THE PUBLISHER HEREBY AGREES:

1. To print and publish at her own risk and expense the said Work

2. To pay the Author on all copies sold a royalty on the published price of twenty-five per cent.

3. To standon the right to said Work if, after due consideration such a step should be deemed advisable by the Author and the Publisher in the interests of the AUTHOR, in which case, the right to publish said Work shall be purchased from the Publisher at the price set by herself, to be paid by the publishers acquiring the right to publish said Work.

*James Joyce*  
*Sylvia Beach*

Facsimile of the contract for ULYSSES

تغيرت الضفة الغربية من السين بحلول الثلاثينيات، نضج ما يسمى بـ «الجيل الضائع» - فلا أستطيع التفكير بجيل يستحق أقل من هذا اللقب - إذ أصبح جيلًا مشهورًا. عاد العديد من الأصدقاء إلى الوطن، افتقدتهم، وافتقدت متعة الاكتشاف والمجلات الصغيرة ودور النشر الصغيرة. كانت فترة مرضية للخروج من الحرب عوضًا عن الدخول في واحدة أخرى، والكساد العظيم بالطبع. قطن هيمنغواي شقة في سان سوليبس، وخطط آل ماكليش للاستقرار قرب حدائق لوكس، وافترق باوند عنا، مفضلًا بلدة رابالو في إيطاليا، بيد أنه ما زال عندنا جويس، ويوجين وماريا جولاس ومجلتهما ترانزيشن، وغيرترود ستاين وأليس ب. توكلاس في شارع كريستين، بينما شغلت كاثرين آن بورتر جناحًا صغيرًا في شارع نوتردام دي شامبز، حيث كتب هيمنغواي أولى قصصه في غرفة تعلو معملًا لنشارة الخشب، واعتدنا على رؤية إزرا باوند وهو يدخل ويخرج من الأستوديو الخاص به وعلى رأسه قبعة بيديه مخملية. كان لكاثرين آن قطٌ وسيمٌ اسمه سكيبر، وكانت سيدته طاهية جيدة لدرجته أنه قد خسر قوامه، فابتكرت له نوع من التمارين السويدية، وألصقت بيكرات في شجرة أجبرت سكيبر على عمل تمارين في الحديقة، بيد أن سكيبر ليس من الصنف النحيف.

كان سكيبر في يوم ما على وشك الهروب، كان جالسًا عند بوابة الشارع ويلحظ العابرين، وخرجت سيدته ورأيت سيدة وهي تضع سكيبر في سلة كبيرة وصاحت «انتظري، هذا قطي!» لو تأخرت دقيقة واحدة

لصار مصير سكيبر كمصير العديد من القطط السمينة التي اختفت في باريس، وكانت بديلاً رائعاً ليخنة الأرناب.

دعت صديقتي كارلوتا ويلز (زوجة جيمس بريجز) كاثرين آن بورتر للحديث في نادي السيدات الأمريكيات في باريس. كانت القاعدة عندي هي عدم حبي لتلك «الحوارات»، لكنني هذا الحديث، كما كل ما تقوله كاثرين آن بورتر أو تكتبه، كان جاذباً، وأعطتني مخطوطات ملاحظاتها لأحتفظ بها.

كان ألين تيت<sup>1</sup> أحد أصدقائي منذ أواخر العشرينيات، عندما قدم إلى باريس من أجل زمالة أدبية، ثم عاد مجدداً إلى باريس وبرفقته كارولين تيت<sup>2</sup>، وغالباً ما اعتدت على رؤيتهما مع كاثرين آن بورتر. أظن أن هذين الثنائي يمثلان شيئاً منفرداً ومهما في الكتابة اليوم. وأتساءل، عندما نلخص شعر تيت بين جيله، إن كان ألين تيت سيحظى بمكانة عالية. وجدت العديد من الشعراء مثيرين للاهتمام وذوي أصالة، لكن وفي حالة شعر ألين تيت، أجدني راضية بالقول إنني قرأت لشاعر جيد بالإنجليزية.

خلال العشرينيات، صدر هدير ازداد دويه في الثلاثينيات مصدره طريق فيلا سورا، حيث تمركز هنري ميللر في الضفة الغربية. جاء ميللر ومعه صديقه اللطيفة ذات الملامح اليابانية أنايس نن لرؤية ما إن أردت نشر رواية لافتة عمل عليها ميللر هي مدار السرطان. اقترحت عرض المخطوطة على جاك كاهين، الذي قبل هذا العمل من كاتب جديد

1 شاعر أمريكي (1899 - 1979).

2 ناقدة وروائية أمريكية (1895 - 1981).



بسرور، عمل دَمَج بين القيمة الأدبية والقيمة الجنسية. كان كاهين مولعاً بالجنس الصريح والمباشر، فأصدر مدار السرطان وتبعها بـ مدار الجدي وأعمال أخرى لميلر. أحببت مجلد مقالات ميلر هاملت، والمنشور في فيلا سورا. ثم صدر كتيب بعنوان على نمط باوند المال وكيف ينتهي به المطاف. أما آخر ما سمعته من نقطة تمرکز ميلر فكانت «رسالة مفتوحة إلى الجميع ودون استثناء» وعنوانها ما الذي ستفعله مع آلف؟ وما أن تقرأها حتى تعلم بأنه أتم ذلك.

قدم توماس وولف إلى باريس والمكتبة بعيد نشر [رواية] عن الزمن والنهر، وقال إنَّ ماكس بيركنز قد سلمه شيكاً ووضع على متن قارب إلى أوروبا. تحدث وولف عن تأثير جويس على عمله، ومحاولته في الخروج عن ذلك التأثير. كان وولف شاباً عبقرياً بلا شك، ولم يحظ بالرضا على المستوى الاجتماعي، وتلقى رعاية أمومية من السيدة أديليد ماسي أثناء تواجده في باريس، رعاية كان في حاجة إليها.

انحدرت صديقتي العزيزة، وصديقة الفقراء أديليد ماسي من ميدلسبورغ بولاية فيرجينيا، وقسمت وقتها ما بين دراستها في المعهد البريطاني وكانت اليد اليمنى في عملها الخيري مع الأخت ماري ريفز، وعملها التطوعي في شكسبير أند كومباني (ما زالت ماسي في العمل الخيري الذي أسسته آن مورغان<sup>1</sup> وحازت على وسام جوقة الشرف). أبدت ماسي اهتماماً في الكتابة، واهتم الآخرون بكتاباتها، وامتلكت موهبة حتمية، واقتنع الجميع سوى ماسي أنه بإمكانها وعليها الكتابة.

---

1 محسنة وفاعلة خير أميركية (1873-1952).

قدمت السيدة ماسي للنجدة في وقت لم يكن بجانبني أحد للمساعدة في المكتبة، ولحسن حظي أنه عندما كانت لدي مساعدة شابة تأتي دائماً وهي حاملة لأمراض الأطفال تكون السيدة ماسي في متناول اليد لشغل الفراغ، غبت ذات مرة لبضعة أيام وعندما عدت إلى شكسبير أند كومباني وجدت أن المساعدة مصابة بالحصبة ونقلت إلى المستشفى في سيارة إسعاف، ورأيت السيدة ماسي وهي تبخر المكان.

لم يكن بمقدوري أبداً دفع ما يكفي للمساعدتين، لكنني كنت محظوظة كفاية بأصدقاء تجشموا العناء معي وساندوني في جميع عوائق الحياة بمكتبتي.

دائماً ما كان يأتي أحدٌ مساعدٌ للعمل في شكسبير أند كومباني منذ البداية ومروراً بالثلاثينيات ووصولاً إلى الأربعينيات. وكانت أول مساعدتين متطوعتين هما لوسي شوف وسوزان مالهيرب<sup>1</sup>، ثم جاءت ميرسيني موسكوس، التي عملت معي لتسعة أعوام. أما أول مساعدة حقيقية ومحترفة حظيت بها فكانت الآنسة جين فان ميتر، وهي الآن زوجة السيد شارلتون هينمان<sup>2</sup>، المتخصص بشكسبير. أتت الآنسة فان ميتر استجابة لإعلان وضعته في صحيفة هيرالد تريبيون الباريسية، ولم أكن أتمنى لأحد حظاً أفضل من حظي في أن أحظى بها كمساعدة في المكتبة ثم جاءت ابنتي الروحية المحبوبة سيلفيا بيتر من شيكاغو إلى باريس للدراسة في مرحلة متأخرة من الثلاثينيات رغم تهديدات الحرب، وساعدتني في المكتبة. وخلفتها إلينور أولدينبيرغر الكفوّة، ثم

1 رسامة ومصورة فرنسية (1892 - 1972).

2 أكاديمي أميركي (1911 - 1977).

جاء الدور على الشابة بريسيلا كورتيس، والتي فارقتها على مضض. كانت بريسيلا لتبقى لولا الحرب.

وانتظمت على الحضور ومساعدتي في المكتبة بعد بدء الحرب وحتى الاحتلال شابة فرنسية مذهلة هي مدام بوليت ليفي، التي كان زوجها في الجبهة، وطالبة كندية هي روث كامب، والتي لم يستطع أحد إقناعها بالعودة إلى وطنها وبقيت تساعدني عندما اجتاح الألمان فرنسا.

### أصدقاء شكسبير أند كومباني

أصبحت المكتبة مشهورة الآن، ومزدحمة دومًا بالزبائن القدماء والجدد، وكُتب الكثير عنها في المجلات والصحف. وأشارت الحافلات السياحية لشركة أميركان إكسبرس إلى المكتبة كلما توقفت لبضعة ثوان عند رقم 12 شارع أوديون. ومع ذلك، بدأت شكسبير أند كومباني بالتأثر جراء الكساد العظيم، وعانى العمل وقل على نحو سريع مع مغادرة أبناء وطني باريس. بقي أصدقائي الفرنسيون وربما ملأوا الفراغ الذي تركه زبائني العائدون إلى الوطن، لكنهم كانوا أيضًا متأثرين بالكساد.

كان الوضع مقلقًا في منتصف الثلاثينيات، وجاء أندريه ذات يوم من سنة 1936 وسأل عن الأوضاع، وأخبرته عن نيتي بإغلاق المحل. ذعر جيد فور سماعه للخبر، وقال متعجبًا «لا يمكننا التخلي عن شكسبير أند كومباني!» وجرى للشارع سائلًا أدريان مونييه إن كان صحيحًا ما قلته، وأكدت للأسف ذلك.

جمع جيد على الفور مجموعة من الكتاب معًا للتخطيط لإنقاذي. وكانت أولى أفكارهم كتابة عريضة إلى الحكومة الفرنسية لدعم شكسبير أند كومباني. وقع على العريضة كتاب وأساتذة بارزون في السوربون، بيد أن التمويل كان ضئيلاً، خصوصاً وأنه موجه لمؤسسة أجنبية كمكتبتي. ثم تشكلت لجنة من جورج دوهاميل ولوك دورتاين<sup>1</sup> وأندريه جيد ولويس جيليه<sup>2</sup> وجاك دي لاكروتل<sup>3</sup> وأندريه موروا وبول موراند<sup>4</sup> وجان بولان<sup>5</sup> وجان شلمبرغير وبول فاليري. كتب الالتماس صديقي المقرب شلمبرغير في نشرة طبعتها اللجنة لإنقاذ مكتبتي.

طُرح اقتراح أن يقوم متنا صديق بالاشتراك في خدمات المكتبة لعامين لقاء منتي فرنك في العام، وبحلول هذا الوقت ستقف المكتبة على رجلها بالتأكيد. وتولى الكتاب المشاركون في اللجنة مسألة إقامة أمسيات قراءة لأعمالهم غير المنشورة في المكتبة، وأقيمت القراءات في المكتبة مرة واحدة كل شهر، ويحق لأعضاء لجنة أصدقاء شكسبير أند كومباني حضور تلك القراءات، أما المشتركون، فقد اقتصر الحضور على متين منهم لأنه أكبر عدد يمكن حشره في المحل الصغير. أراد أكثر من منتي شخص نيل العضوية وساهم بعض الأصدقاء إسهاماً خاصاً وهم كارلوتا ويلز وبرابر والآنسة ماريان ويلارد والآنسة آن مورغان والسيدة و.ف. بيتر والسيدة هيلينا روبنستين<sup>6</sup> والسيد أرشيبالد ماكليش والسيد جيمس هيل.

---

1 شاعر فرنسي (1881 - 1959)

2 مؤرخ في فرنسي (1876 - 1943).

3 روائي فرنسي (1888 - 1985)

4 قاص فرنسي (1888 - 1976).

5 كاتب وناشر فرنسي (1884 - 1968).

6 سيدة أعمال أميركية (1872 - 1965).

أقام جيد أولى القراءات، واختار أن يقرأ من مسرحيته جينيفيف، وتبعه شلمبرغير الذي قرأ روايته غير المنشورة القديس ساتورنين، ثم جاء دور العالم اللغوي ومدير نوفيل ريفيو فرانسيه جان بولان، وقرأ الجزء الأول من عمله الجديد أزهار تارب<sup>1</sup>، كان عملاً لافتاً لكنه غير مفهوم تمامًا، مما اضطرنا للاعتراف بأنه عمل يفوقنا جميعاً - عدا الشابة التي تعمل لدي ساعية، والتي قالت إنها فهمت كل كلمة! وقرأ أندريه موروا قصة رائعة غير منشورة، أما بول فاليري فقرأ بعضاً من أجمل أبيات قصائده ومنها قصيدة «الثعبان» بطلب خاص من جويس. تأثرت كثيراً بقدوم ت.س. إليوت من لندن للقراءة في شكسبير أند كومباني، وقام هيمنغواي باستثناء وحيد لقاعدته في عدم القراءة علناً ووافق على الظهور شريطة إقناع ستيفن سبندر<sup>2</sup> بالظهور معه، فحظينا بقراءة مزدوجة سببت ضجة عارمة!

كنا في حالة من التألق في ذلك الوقت مع كل أولئك الكتاب المشهورين والمقالات الصحافية فبدأ العمل في التحسن.

بما أن أصدقائي قد فعلوا الكثير لأجلي، تصورت أنه عليّ التضحية بشيء ما، فقررتُ بيع بعض كنوزي الثمينة. بدأت بالتواصل مع شركة معروفة في لندن لبيع بعض المقتنيات، فأبدوا اهتماماً بالقائمة التي أرسلتها إليهم، وبدأت الترتيبات حتى استفسروا عن احتمالية تعرض الأصناف الخاصة بجويس، والمتعلقة بيوليسيس تحديداً للمصادرة، فأجبتهم أن ذلك وارد، فاتفقنا على الانصراف عن البيع على مضض.

1 بلدة في جنوب غرب فرنسا.

2 شاعر وروائي إنجليزي (1909 - 1995).

أصدرت دليلاً صغيراً خاصاً بي بعد هذا الحدث، وفشل هذا الدليل على الأرجح في الوصول إلى الجامعين لمقتنيات جويس - أو لعل من كانوا يجمعون ما يخص جويس في الثلاثينيات قلة. رغم ما حصل، فإن أغلب الرسائل التي تلقيتها سألت عمّا إذا أمتلك شيئاً يخص هيمنغواي، فافتقرت قسراً مع كل «طبعة أولى» لهيمنغواي أعتز بها، وعليها إهداءاته الثمينة.

زرت في ذلك الوقت صديقتي الآنسة ماريان ويلارد خلال رحلة إلى الولايات المتحدة، وهي الآن متزوجة من السيد دان جونسون مدير معرض ويلارد في نيويورك، وتنازلت لها عن مجموعة من تصحيحات يولييسيس، وحاز البروفيسور ثيودور سبنسرا لمصلحة جامعة هارفارد على المخطوطة الأولى لصورة الفنان في شبابه وتبعتها مخطوطات موسيقا الحجرة وقصائد الواحدة بنس وأهالي دبلن. جرى ذلك في وقت فقدت فيه كل الآمال في الاحتفاظ بكل ما يتعلق بجويس، استسلمت للحاجة، وكان استسلاماً مؤلماً.

### «إكسبو 1937»

لم أذهب إلى المعارض كثيراً، لكن «إكسبو 1937» في باريس كان مختلفاً. كان وزير التعليم في ذلك الوقت معجباً ببول فاليري، وطلب من الشاعر تنظيم معرض عن الكتابة الفرنسية. مُنح فاليري جناحاً كاملاً لعرض الوثائق التي تجسد الحركات الأدبية من بداياتها وحتى تطوراتها الأخيرة. حظي ذلك القسم من المعرض بشعبية هائلة،

---

1 شاعر وأكاديمي أميركي (1902 - 1949).

وكان مزدحمًا من الصباح حتى المساء. وبالطبع كانت منشورات أدريان حاضرة بين المعروضات، وبما أن المعرض هو شأن فرنسي بالكامل، فقد استثنيت منشوراتي من العرض. ومع ذلك، حظيت بمنصة في قسم الصحافة عرضت فيها المجلة الإنجليزية لايف أند لیترز توداي التي توزعها شكسبير أند كومباني في باريس، وجاءت مشاركتي في «إكسبو» بطلب من براير. احتل العدد الأحدث من لايف أند لیترز توداي مكانًا بارزًا في المعرض، بغلافها ذي الألوان اللامعة وموادها الدعائية بين المجلة الفرنسية المحترمة ريفيو دي دو موند [مجلة العالمين] ومجلة ميكي ماوس المفضلة لدى الأطفال.

نشطت مجلة لايف أند لیترز توداي في نشر الآداب الفرنسية في إنجلترا، ونشرت في أعداد سابقة ترجمات لجيد وفاليري وميشو وآخرين، وخصص العدد الأحدث بكامله للأدب الفرنسي على شرف المعرض.

## الحرب والاحتلال

استدعت الملصقات أعلى إقليم سافوي في نهاية صيف 1939 جميع الشباب للانضمام إلى كتائبهم على وقع فجيرة العائلات. ركبت آخر حافلة هبطت من الجبل قبل استدعاء السائق للخدمة ومصادرة الحافلة. كانت المحطة في شامبري مزدحمة بالجنود الحاملين لعتادهم وتدبرت قطارًا إلى باريس، وفي نفس المقصورة كانت هناك امرأة إنجليزية شابة مع رضيعها وممرضتها وكانوا يستعجلون العودة إلى إنجلترا، وودعها زوجها من منصة القطار على أمل الالتحاق بعائلته قريبًا، بيد أنه لم يصدق أننا كنا في حالة حرب.

استمرت الحرب وبقيت شكسبير أند كومباني مفتوحة، ثم اجتاح الألمان فرنسا فجأة، ومع اقترابهم أكثر فأكثر من باريس، هرب السكان أو حاولوا الهروب. تدفق الناس صباحًا ومساءً عبر شارع أوديون وأقاموا الخيام وناموا أمام محطات القطار أملًا في ركوب إحدى القطارات، وترك البعض منهم سياراتهم على جنبات الطرق بسبب نقص الوقود، وهرب معظمهم على الأقدام، حاملين الرضع أو الحقائب أو يدفعون بعربات الأطفال أو العربات اليدوية وقاد البعض دراجات هوائية. تدفقت موجات ثابتة من اللاجئين من شمال والشمال الشرقي بما فيها بلجيكا - تشرد السكان من مزارعهم وبلداتهم، وانصبوا عبر المدينة متجهين غربًا.



لم ننضم أدريان وأنا إلى النازحين. لم الهرب؟ أما روث كامب، الطالبة الكندية ومساعدتي في المكتبة فقد حاولت المغادرة؛ وتعرضت لإطلاق نار من الخنادق ثم تعرضت للاعتقال رغم محاولاتها.

بقي - حوالي - خمسة وعشرون ألف شخص في باريس، وفي يوم جميل مشمس بسماء زرقاء من شهر يوليو 1940، ذهبت بصحبة أدريان إلى بولفار سيباستوبول وشاهدنا بعين دامعة اللاجئين وهم يعبرون المدينة، آتين من البوابة الشرقية واجتازوا باريس عبورًا ببولفار سان ميشيل وحدائق لوكسمبورغ وخرجوا مرورًا بمدينة أورليان وبوابة إيتالي: عربات تجرها الحيوانات محملة بالأغراض المنزلية وعليها الأطفال والمسنون والمرضى والنساء الحوامل ونساء مرضعات وأقفاص الدواجن وقطط وكلاب، توقفت العربات بعض الأحيان في حدائق لوكسمبورغ لرعاية الأبقار.

شاهدت من نوافذ المستشفى الذي تناولت فيه الغداء مع صديقتي القديمة دكتورة بيرتراند فونتائين الموجة الأخيرة من اللاجئين، وأتوا على أعقابهم الألمان برفقة موكب لا نهائي من القوات المزودة بالآلات: دبابات وعربات مدرعة ورجال بخوذهم وأسلحتهم المطوية. اصطبغ جميع الرجال والآلات بلون رمادي بارد، وتحركوا بهدير يصم الآذان.

كان هناك قلة من المتعاطفين مع النازيين في باريس وأطلق عليهم «المتعاونون» بيد أنهم كانوا استثناء. فجميع من عرفتهم كانوا مع المقاومة، وكانت الدكتورة بيرتراند فونتائين عضوًا نشطًا في المقاومة، ومات ابنها ريمي في سن العشرين في واحد من أسوأ معسكرات الاعتقال هو معتقل ماوتهاوزن في النمسا.

عاد الباريسيون الناجون من النزوح الجماعي إلى المدينة، وابتهج أصدقائي الفرنسيون لبقاء شكسبير أند كومباني مفتوحة، فانغمسوا في كتبنا وانشغلت أكثر من قبل، وحظيت بمساعدة متطوعة هي الصديقة اليهودية الشابة فرانسواز بيرنهايم، الطالبة في اللغة السنسكريتية، لكنها استبعدت من السوربون بسبب القوانين النازية، وشجعها أستاذها على نسخ ملاحظات أصدقائها من غير اليهود وحافظت على دروسها بمساعدة من أستاذها وزملائها.

قاومت جميع جهود سفارة بلادي في إقناعي بالعودة إلى الولايات المتحدة (عبر لشبونة، وحات رسوم السفر المغربية صنفًا هو «ببغاء، وستة دولارات»). وقررت البقاء مع أصدقائي في باريس المحتلة نازيًا. وبالإضافة إلى ذلك، تجولت مع فرانسواز وشاركتها بعض القيود المفروضة على اليهود - ليس من بينها وضع نجمة داود الصفراء الكبيرة التي وضعتها على معطفها أو فستانها. تجولنا بالدراجات وسيلتنا الوحيدة في التنقل. لم يمكننا دخول الأماكن العامة مثل المسارح والسينما والمقاهي وقاعات الحفلات، أو الجلوس على مقاعد الحدائق أو حتى مقاعد الشوارع. حاولنا ذات مرة تناول غدائنا في ميدان ظليل، وجلسنا على الأرض بجانب المقاعد، وأكلنا على عجلة البيض المسلوق وشربنا الشاي من حافظات حرارية ونظر خلسة في الأرجاء، لم تكن تجربة نود تكرارها.

وضعت جنسيتي بالإضافة إلى ارتباطاتي باليهود نهاية لشكسبير أند كومباني في أعين النازيين عندما دخلت الولايات المتحدة الحرب. وكان علينا نحن الأميركيين إعلان أنفسنا لدى مقر المفوضية وتسجيل أسمائنا مرة كل أسبوع في المفوضية الواقعة في الجزء الذي نقطنه بباريس (كان على اليهود التوقيع يوميًا). كانت أعداد الأميركيين قليلة حتى أن أسماءنا قد دونت في كشكول مفقود دائمًا واعتدت أن أعثر عليه من أجل المفوضية، وبجانب اسمي وسوابقي ملحوظة: «لا تملك حصانًا». لم أستطع معرفة السبب أبدًا.

كان الزبائن الألمان نادرين، وتوقفوا عن المجيء بطبيعة الحال بعد تصنيفي «عدوًا» إلى أن حلت زيارة أنهت مسلسل الأحداث، نزل ضابط ألماني رفيع من مركبة رمادية ضخمة، وتوقف ناظرًا إلى نسخة من بعث آل فينيغان معروضة على النافذة، ثم دخل وقال لي بإنجليزية متقنة إنه يريد شراءها، «ليست للبيع»، «ولم لا؟»، شرحت له إنها نسختي الأخيرة وأريد الاحتفاظ بها. لمن؟ لنفسي. غضب الضابط الذي قال إنّه مهتم بأعمال جويس. بقيت على موقفي وغادر، ثم أزحت بعث آل فينيغان من النافذة ووضعتها في مكان بعيد وآمن.

عاد نفس الضابط بعد أسبوعين إلى المكتبة وسألني أين بعث آل فينيغان؟ وضعتها بعيدًا، أجبته. فقال وهو يرتج غضبًا «سنأتي لمصادرة كل ممتلكاتك اليوم»، «حسنًا». ثم غادر.

استشرت حارسة البناية السكنية، وفتحت لي شقة شاغرة في الطابق الثالث (كانت شقتي في الطابق الثاني)، وحملت وأصدقائي كل الكتب والصور إلى الأعلى في سلال الملابس، وحملنا جميع الأثاث وحتى الإضاءة وجلبت نجارًا ليزيل الرفوف. لم يتبق شيء في المكتبة بعد ساعتين، وأزال الدهان اسم شكسبير أند كومباني من اللافتة أمام 12 شارع أوديون. حدث هذا في سنة 1941. هل أتى الألمان لمصادرة بضائع شكسبير أند كومباني؟ إن كان كذلك، فهم لم يعثروا على المحل. في النهاية، أتوا للقبض على مالكة شكسبير أند كومباني.

عدت إلى باريس بعد قضاء ستة شهور في معسكر توقيف، ومعني ورقة تصرح للسلطات العسكرية الألمانية بأسري حال توافرت الأسباب. اتفق أصدقائي علي وجوب «اختفائي» بدلًا من انتظار إعادتي إلى المعسكر. تولت الآنسة سارة واتسون إخفائي في سكن للطلاب في 93 بولفار سان ميشيل، وعشت بسعادة في المطبخ الصغير أعلى السكن مع الآنسة سارة واتسون ومساعدتها مدام مارسيل فورنييه. شعرت أنني قد عدت إلى مقاعد الدراسة بسبب بطاقة عضوية السكن الطلابي. عقد الألمان عدة محاولات للاستحواذ على السكن، ولكن، وعلى الرغم من توقيف الآنسة واتسون لفترة من الوقت، إلا أن مدام فورنييه صنعت معجزة في الحفاظ على المكان مفتوحًا ومليئًا بالطلاب المستمرين في دراساتهم. كان السكن أميركيًا، وتتولى أميركية مسؤوليته، ولكن، وبما أن المكان مرتبط بجامعة باريس، تمكن مدير الجامعة من إخراج الآنسة واتسون من معسكر التوقيف واستمرت في منصبها مسؤولة على السكن.

زرت شارع أودويون على نحو يومي وسري، وسمعت آخر الأخبار المتعلقة بمكتبة أدريان، ورأيت العدد الأخير من منشورات منتصف الليل السرية، والمتداولة سرًا بشكل واسع، ونشرتها صديقتي إيفون ديسفاينزا وسط مخاطرة رهيبة، واعتاد بول إيلوار توزيع الأعداد الصغيرة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

## التحرير

اقرب تحرير باريس من الاكتمال - اعتمد الأمر على خلو الحي الذي تقطنه من الألمان أو لا. كان حينًا في قصر وحدائق لوكسمبورغ، حيث تخندقت قوات الأمن النازية الخاصة SS، هو آخر الأحياء التي تحررت من الاحتلال.

استقبلنا زيارة مبهجة من بيكا، صهر أدريان، مع اقتراب تحرير الدائرة الرابعة عشرة في المدينة. أتى بيكا على دراجته المزينة بعلم فرنسي صغير، وصدف أن كان يوم زيارته هو أسوأ يوم في حينًا، إذ وصل بيكا في الوقت الذي رأيت فيه من نافذتي فندق كورنيل القديم والقريب من شارع كورنيل والنيران تتصاعد منه. استغل الألمان الفندق مكاتب لهم، ودمروه وأحرقوا وثائقهم إثر انسحابهم. كنت متعلقة كثيرًا بفندق كورنيل لأن جويس أقام فيه عندما كان طالبًا - مذكرات جويس التي تخص تلك الفترة تتواجد الآن في مكتبة لوكوود العامة في مدينة بوفالو - وقطن الفندق من قبل جويس كل من بيتس وجون سينغ<sup>1</sup>.

---

1 شاعر وكاتب مسرحي إيرلندي (1871 - 1909).

جاءت تهنئات بيكا في وقت مبكر جداً، واضطر للعودة إلى الطريق المؤدي للأقبية حاملاً معه دراجته. صممت الأقبية كي تفتح على بعضها البعض طبقاً لتعليمات الدفاع المدني.

اندفع الألمان بدباباتهم ذهاباً من لوكسمبورغ في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً، واتجهوا إلى بولفار سان ميشيل، ويطلقون النار بشكل عشوائي، ما أثار استهجاننا ونحن واقفون أمام المخبز ساعة خروج الخبز من الفرن. ثمة شيء آخر لم يعجبني هو إطلاق النار العشوائي في شارعنا، حيث انشغل الأطفال بالدفاع عنا وراكموا الأثاث والمواعد وSlال القمامة وغيرها على أطراف شارع أوديون، ووقف الشباب الذين ارتدوا شارة المقاومة F.F.I. خلف تلك المتاريس مع تشكيلة غريبة من الأسلحة قديمة الطراز التي صوبوها على الألمان المتمركزين عند المسرح أول الشارع. كانوا جنوداً خطرين، لكن صبية المقاومة كانوا شجعاناً وأدوا دوراً هاماً في تحرير باريس.

غادرت سكن الطلاب أخيراً وعدت إلى شارع أوديون للبقاء هناك. أصبح التجول في الأرجاء بغيضاً أكثر فأكثر، وتوقفت وأدريان عن الخروج بعد تجربة مخيفة؛ عندما سمعنا «إنهم» سيتركونا، انضمنا إلى جمهور مبتهج من الباريسيين السائرين في بولفار سان ميشيل وهم يغنون ويلوحون بفِرش المراحيض. شعرنا بالسعادة والتحرر، بيد أنه صدف «أنهم» قد انسحبوا مع بقايا آلياتهم في نفس اللحظة. لم يَرُق «لهم» الاحتفال، ففقدوا أعصابهم وبدأوا بإطلاق نيران بنادقهم الآلية على الحشود في جانبي الطريق. رقدت وأدريان على بطوننا كما فعل الجميع وزحفنا نحو أقرب باب، ونهضنا عندما توقفت النيران، ورأينا الدم على الأرصفة ونقالات الصليب الأحمر تحمل المصابين.

كان ما يزال هناك الكثير من إطلاق النيران في شارع أوديون، سئنا من الوضع حتى جاء في ذات يوم موكب من سيارات الجيب للشارع وتوقف الموكب أمام منزلي. سمعت صوتًا عميقًا ينادي «سيلفيا!» وتداول جميع من في الشارع صيحة «سيلفيا!»

«إنه هيمنغواي! إنه هيمنغواي!» صاحت أدريان. هبطت السلم سريعًا واصطدمنا عند اللقاء؛ التقطني هيمنغواي وأرجحني وقبلني بينما هتف الناس في الشارع ومن النوافذ.

صعدنا إلى شقة أدريان وجلس هيمنغواي. كان يلبس زي المعركة، ومكسوفًا بالسخام والدماء، وأوقع بندقيته الآلية على الأرض فأصدرت قعقعة، وطلب من أدريان قطعة صابون، وأعطته آخر قطعة من الكعكة. أراد هيمنغواي معرفة إن كان هناك شيء يمكنه فعله لنا، فطلبنا منه إن كان باستطاعته فعل شيء ما حيال القناصة النازيين على أسطح شارعنا، وتحديدًا القناص المتمركز على سطح أدريان. أخرج هيمنغواي رفاقه من مركبات الجيب وأصعدهم إلى السطح، وسمعنا إطلاق النيران للمرة الأخيرة في شارع أوديون. نزل هيمنغواي ورجاله مجددًا وصعدوا مركبات الجيب - «لتحرير قبو حفظ النبيذ في فندق ريتز» حسب قول هيمنغواي.

**انتهى**



## ملاحق العور





سيلفيا بيتش أمام مكتبة شكسبير في، ٨ شارع دوبويترين



آدریان مونیہ امام مکتبہ شکسپیر



آزرا باوند، جون کوین، فورد مادوکس، جیمس جویس



ت. س. إليوت



برایر



جونتا بارنز



سيلفيا بيتش في مكتبها



أدریان مونییه فی مکتبتها



سیلفیا بیتش و جورج أنتیل



جون رودكر، جيمس جويس، سيلفيا بيتش وسيريان بيتش



جيمس جويس في بوغنور





سیلفیا پلتش و جیمس جویس



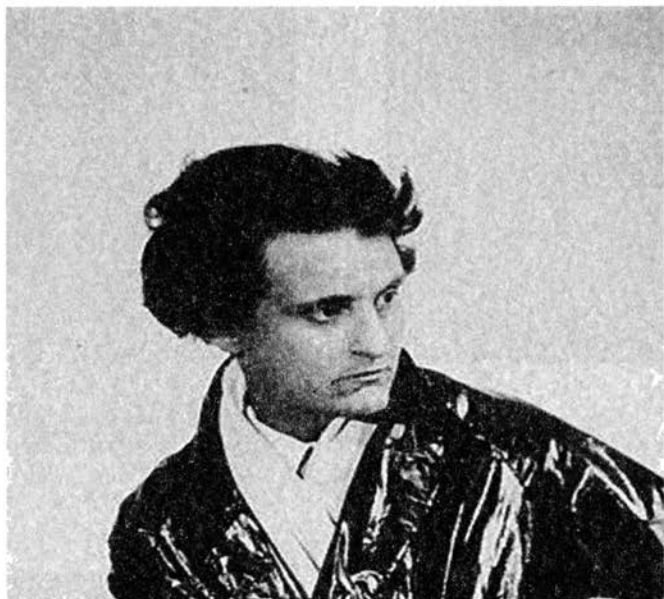
هاریت ویفر



جیمس جویس وابنته لوسیا



جیمس جویس وجولین جولاس



سيلفيا بيتش



جورج أنتيل



ألين تيت



ثورنتون وايلدر



جانيت فلانر



إزرا باوند



فاليري لاربو



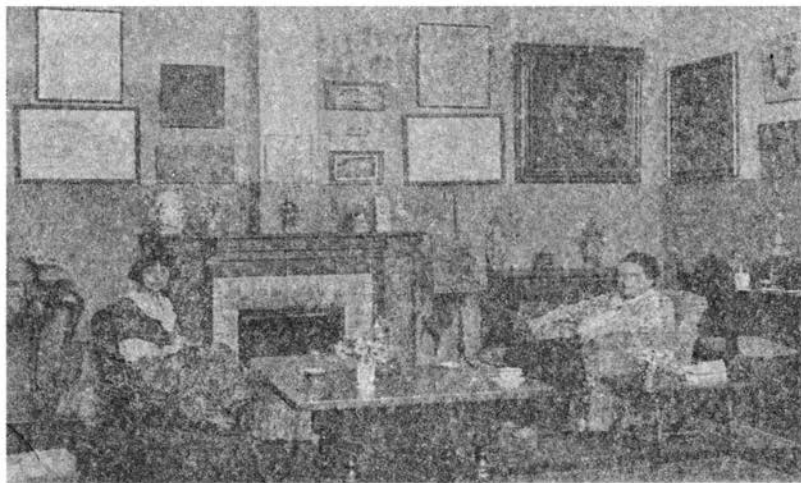
آرشیالد ماکلیش



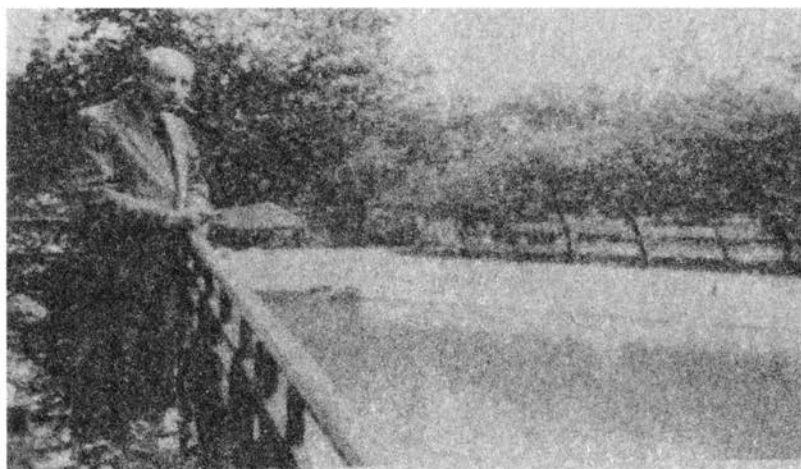
ارنست هیمنجوای



ارنست هیمنجوای و روبرت مکالمون



أليس ب. توكلاس و غيرترود ستاين



ستورات غيلبرت

« سيلفيا بيتش

## مكتبة شكسبير الباريسية

كتبت سيلفيا إلى والدتها: "أنا بحاجة إلى الأموال، سأفتتح مكتبة". من هنا حاولت سيلفيا الاقتراض من أجل الحصول على الأموال الكافية لإقامة مشروع ثقافي كبير، وتوفير ما يحتاجه القارئ، واستقطاب أكبر عدد ممكن منهم لتكون المكتبة منارة ثقافية كانت تحلم ببنائها.

في هذا الكتاب تقدّم سيلفيا بيتش مذكراتها في صناعة النّجاح، وكيف ابتدأت مستعرضة لنا العقبات التي واجهتها كما سردت قصصها مع الزوّار من القراء والكتاب، وبعض الناشرين، الذين ساهموا بشكل كبير في إنجاح المكتبة. كما نقلت سيلفيا حوض تجربتها في عالم النشر، كانت هذه التجربة قفزة نوعية في سيرة المكتبة خاصة وأنها لم تعمل على نشر الكثير من الكتب، ولكن كان جُل اهتمامها طباعة ونشر عمل جيمس جويس المشهور يوليسيس.

مكتبة

t.me/soramnqraa



JADAL.PUBLISHING

JADALBOOKSTORE.COM